اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق في القرن الرابع الهجري

القاضي التنوخي (ت 384 هـ / 994 م) نموذجاً

د . محمد عبد الله القدحات
جامعة الملك فيصل



اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق

في القــرن الرابـــع الهجـــري

القاضي التنوخي (ت384 هـ / 994م) نموذجاً

• اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق في القرن الرابع الهجري

•د .محمد عبد الله القدحات /مؤلف من الأردن

•الطبعة الأولى2008

•حقوق النشر والتوزيع محفوظة:





•الإشراف الفني :محمد الشرقاوي

•تصميم الغلاف :دار ورد للنشر و التوزيع

•رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية2008/6/1928

اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق

في القــرن الرابــع الهجــري

القاضي التنوخي (ت384 هـ / 994م) نموذجاً

د. محمد عبد الله القدحات

جامعة الملك فيصل





بسْـــمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الإهداء:

إلى زوجتي ....

وأبنائي:

اليمان و وسن

التاريخ من أهم ميادين المعرفـة التـي اهـتم بهـا العـرب وتدارسـوها وصـنّفوا فيهـا. ويرجع اهتمامهم بها إلى ما قبل الإسلام، حيث كانوا يؤمنون بـان أعـمال الآبـاء والأجـداد تسبغ على الأبناء مكانة في المجتمع، وهذا ما دفعهم إلى الاهتمام بالنسب، وحفظ شجرته وتدارسها، والاهتمام معها بالتاريخ.

بظهور الإسلام حدثت تغيرات أساسية في الحياة العربية، إذ جاء الإسلام ديناً وأسلوب حياة؛ فهو عقيدة تجمع العرب والمسلمون من حولها، وبفضلها تحولوا إلى أمة واحدة بعد أن كانوا قبائل متفرقة، وحلَّت الدولة محل القبيلة. وكانت الأفكار التي جـاء بهـا الإسـلام هي عماد الدولة والحضارة في شتى نـواحي الحيـاة. وفي مجـال المعرفـة التاريخيـة كانـت فكرة التاريخ في الإسلام هي بؤرة النشاط والتطور في هذا الميدان.

بيد أن أهم تأثيرات الإسلام على الوعي التاريخي لدى العرب يتمثل في وعيهم بـأنهم أمة واحدة، وهي الحقيقة التي تعكسها كتب التاريخ الإسـلامي العـام. فالحقيقـة أنـه لا يوجد في التراث التاريخي لدى العرب قبل الإسلام ما يَشي بأن العرب قد تصوروا أنفسـهم كأمة يجمعها تراث تاريخي واحد. وقد كان الإسلام دافعا لهـم إلى إنتـاج فكـري هائـل في التـاريخ، فـأقبلوا عـلى التـأليف في التـاريخ في مختلـف الأزمنـة والأقـاليم . تناولـت تلـك المصنّفات التاريخية جوانب متعددة من النشاط الإنساني، حتى لتكاد تقول أنهم لم يتركـوا جانباً من جوانب هذا النشاط. يضاف إلى ذلك أنهم اهتموا بدراسة جوانب متعـددة مـن أحـوالهم المعـاصرة: كالجغرافيـة، والعـادات والتقاليـد، وأخبـار مختلـف فئـات المجتمـع. وهكذا فان دراسة التاريخ لم تقتصر على جانب واحد من جوانبه.

كان الأستاذ العلامة عبد العزيز الدوري قد درس نشأة علـم التـاريخ [1] عنـد العـرب وانتقاله من مرحلة الخبر إلى العلم، منذ ظهور الإسلام إلى نهايـة القـرن الثالـث الهجـري/ التاسع الميلادي، مؤكداً عـلى عـاملين لعبـا دوراً حاسـماً في تطـور الكتابـة التاريخيـة هـما: التأكيد على وحدة تجارب الأمة، ووحدة الرسالات.

---

(1) في دراسته المعنونة " بحث في نشأة علم التاريخ "

إذا كانت كتب التاريخ حتى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي تعبر عن وحدة تجارب الأمة ووحدة الرسالات، فقد حلّ القرن الرابع الهجري بتطورات سياسية خطيرة، كان أخطرها على الإطلاق حالة الضعف التي وصلت إليها الخلافة العباسية، وما نجم عن ذلك من دويلات وإمارات انفصلت عن جسم الخلافة. حاول حكام الأقاليم والمدن (المستقلة) تأسيس دول ذات شخصية سياسية وثقافية مستقلة عن مركز الخلافة، محاولين في الوقت نفسه إضفاء الشرعية على حكمهم، فاستقطبوا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، وأجزلوا لهم العطاء، ليكونوا ضمن حاشيتهم، ويسخروهم لتحقيق غايتهم. ومع مرور الأيام تحولت مدنهم إلى عواصم ثقافية لا يمكن إغفالها عند الحديث عن الحياة العلمية في الدولة الإسلامية.

تأثر علم التاريخ بالتطورات السياسية والثقافية الجديدة, فأخذ يستجيب لمتطلبات تلك التطورات. ومن صور هذه الاستجابة ظهور اتجاهات وأنماط جديدة من الكتابة التاريخية، كان على رأسها تاريخ المدن كاتجاه مهم في هذه المرحلة. وكان هدف هذا النوع من الكتابة إبراز دور تلك المدن في أحداث العالم الإسلامي السياسية والحضارية.

ويعد التاريخ لمختلف الفعاليات الثقافية والاجتماعية من استجابات الكتابة التاريخية للتطورات أيضاً, فقد ظهرت مؤلفات متخصصة تحت عناوين " الطبقات" : كطبقات الفقهاء, المحدّثين, الأدباء و الشعراء. بل إن بعض المؤرخين سجل أخبار الفئات المتدنية من المجتمع كأخبار الطفيليين والمغنين.

لقد شكلت هذه التطورات والظروف دافعاً لاختيار موضوع " اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق في القرن الرابع الهجري, القاضي التنوخي(ت384هـ/994م) نموذجاً" ليكون عنوانا لهذه الدراسة.

ولقد قُسّمت الدراسة إلى بابين بعد تمهيد تناول الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في العراق في القرن الرابع الهجري, وتوضيح دورها في ظهور التحولات الثقافية والاجتماعية.

اشتمل الباب الأول على فصلين.

تناول الفصل الأول اتجاهات الكتابة التاريخية الرئيسية في القرن الرابع الهجري. بدأ بالحديث عن أثر التطورات التي شهدتها الكتابة التاريخية في القرن الثالث الهجري

في الكتابة التاريخية في القرن الذي يليه - نقصد القرن الرابع - ثم استعرض الأسباب والظروف المختلفة: السياسية, الاجتماعية والثقافية التي كانت وراء تلك التطورات التي شهدتها الكتابة التاريخية. وبعد ذلك تناول البحث اتجاهات الكتابة التاريخية التي صنّفت إلى: تاريخ العالم, التاريخ الحولي.

وبحث الفصل الثاني من هذا الباب اتجاهات الكتابة التاريخية التي تبلورت في القرن الرابع ا لهجري, وأضحت عناوين رئيسية لسلسلة من المؤلفات التاريخية, وشملت: التاريخ على عهود الخلفاء, تاريخ المدن, التراجم والتاريخ الحرّ.

وخُصص الباب الثاني لاستعراض مؤلفات أحد المؤرخين الذين عاشوا في العراق في القرن الرابع الهجري وهو القاضي المُحسّن بن علي التنوخي(ت384هـ/994م).

قد يُسأل لماذا التنوخي دون غيره من المؤرخين الذي أُختير ليكون نموذجا من نماذج. الكتابة التاريخية في القرن الرابع الهجري ؟.

لقد كان وراء اختيار التنوخي ومؤلفاته موضوعا للدراسة أسباب جوهرية أهمها: أن التنوخي يعتبر أول من خالف غيره من المؤرخين الذين اهتموا بالأحداث السياسية وجعلوها محور كتبهم، فالتفت التنوخي إلى تاريخ ما أهملته كتب التاريخ العام, فكانت كتبه تصويراً لمختلف الفعاليات الاجتماعية والثقافية في مجتمع الخلافة الإسلامية. سجّل فيها أخبار الصوفية والزهاد, وأخبار المغنين و المغنيات, وأشار إلى أسواق النخاسة وأسعار الجواري. كما صور من قبل حياة البذخ والترف التي كان يعيشها بعض الخلفاء كالمقتدر, وغير ذلك الكثير, حتى وصف المستشرق مرجليوث كتاب النشوار - مع تحفظنا على ما أورده في وصف تاريخ الطبري- بقوله:" استطاع أن يحصل على قدر كبير من المعلومات الغريبة, التي تؤلف تكملة لتاريخ الطبري الهزيل بحكم قضائه كل حياته في مجتمعات مشاهير العراق وفارس, واتصاله خاصة بالرجال الذين جمعوا كل ما أمكنهم اكتشافه من التاريخ من أسلافهم ومعاصرهم اتصالاً وثيقا" .

تناول الفصل الأول من الباب الثاني حياة القاضي التنوخي(ت384هـ/994م) نشأته، والعوامل التي أثرت في تكوينه الثقافي، ثم مسيرته العلمية والعملية، وما لحقه من محنٌ ومضايقات، ودور هذه المحنّ في تأليف كتبه وخاصة كتاب الفرج بعد الشدّة. ثم

استعرض البحث بعد ذلك كتبه: النشوار، الفرج، والمستجاد من حيث: مادتها، وأهميتها في تدوين أخبار المجتمع الإسلامي.

وعالج الفصل الثاني منهجية التنوخي، والتي من أهم مرتكزاته:

1. قام منهجه على استعمال الإسناد، واستعمل صيغاً تدل على السماع والمشاهدة.

2. اهتمامه بإيراد معلومات مهمة حول حياة الرواة، كاسم الشهرة، وبلده ومذهبة وعمله.

3. محاولة التدقيق في الروايات وإعطاء أحكاما بصحتها أو خطئها، لكن ذلك لم يتوفر في جميع رواياته، ولعل ذلك عائد إلى تنوعها.

كُرّس الفصل الثالث لدراسة مصادر القاضي التنوخي، التي قسمت إلى:

أ. مصادر مكتوبة:رسائل ووثائق، وكتب: التاريخ والأنساب، والأدب والسمر و النوادر.

ب. الروايات الشفوية، وكانت متنوعة، شملت جميع فئات المجتمع مثل: القضاة، الفقهاء، المحدّثين، الأدباء، الشعراء، والوزراء والكتاب. إضافة إلى العديد من أفراد الفئات الأخرى من المجتمع كالحذائين والمتصوفة. وقد عكس هذا التنوع في المصادر قدرة القاضي التنوخي في تتبع مادته من مصادرها المختلفة.

أولا الحياة السياسية

ضعفت الخلافة العباسية بعد منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، " فصارت الدنيا في أيدي المتغلبين، وصاروا ملوك الطوائف، وكل من حصّل في يده بلد ملكه، ومنع عنه، فصارت واسط والبصرة والأهواز في أيدي البريديين، وفارس في يد علي بن بويه، وكرمان في يد ابن أبي الباس، وأصبهان والري والجبل في يد أبي علي الحسن بن بويه، ويد وشكمير يتنازعونها بينهما، والموصل وديار ربيعة وديار بكر في أيدي بني حمدان" [1].

وبالرغم من أن أمراء الأطراف أصبحوا الحكام الفعليين في مناطقهم إلا أنهم اعترفوا للخليفة بمنزلته الدينية، على أن يقوم بإصدار تقليدٍ لهم، ويرسل لكل منهم عهداً ليتسم حكمه بالشرعية. ويكتفي الخليفة عادة بتعهد الأمير المستولي بأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة وعلى السكة[2].

ونتيجة للأوضاع المضطربة التي عانت منها الخلافة العباسية قبيل السيطرة البويهية، والتي تمثلت بمقتل الخليفة المقتدر بالله على يد قائد الجيش مؤنس سنة (320هـ[3]/932م) وشغب الجند على الخليفة الجديد القاهر بالله بسبب قلة المال، ومطالبة الجند بأرزاقهم، فكانت نهايته المأساوية[4]. لكل ذلك اقترح الخليفة الراضي بالله على قائد الجيش محمد بن رائق أن يتولى تأمين نفقات الدولة مقابل أن يتقلد " الأمارة ورياسة الجيش وجعله أمير الأمراء[5]" .

1) مسكويه، تجارب، ج1، ص 366-367.
2) للمزيد من التفصيلات حول علاقة الخلاقة بأمراء الأطراف أنظر: الدوري، دراسات، ص 123-124؛ Siddiqi, Caliphate and kingship, P-1 3.
3) عريب، صلة، ص 33؛ مسكويه، تجارب، ح1، ص241.
4) عريب، صلة، ص44.
5) مسكويه، تجارب، ح1، ص 350-351؛ ابن الأثير، الكامل، ح8، ص323؛ الدوري، دراسات، ص236.

وبالسيطرة البويهية[1] على العراق عام (334هـ/945م) بدأ فصل جديد من تاريخ الخلافة العباسية، وعلاقتها مع الأمراء المتسلطين، إذ كان عصرهم فاتحة عهود السيطرة الأجنبية[2]، فقدت الخلافة سلطتها الفعلية، " وغلب عليها الموالي والصنائع[3]".

استولى أحمد بن بويه سنة (334هـ/945م) على بغداد في خلافة المستكفي بالله (329-333هـ/ 940-944م) بسبب حالة الضعف التي وصلت إليها الخلافة العباسية، وكثرة المشكلات التي عجز أمير الأمراء التركي عن حلها، ومطالبة الجند بأرزاقهم[4]. ولقّب الخليفة أحمد بن بويه معزّ الدولة، ولقّب أخوه عليٌّ عماد الدولة، ولقّب أخوه الحسن ركن الدولة، وضُربت كناهم على الدنانير والدراهم[5].

أصبح بنو بويه أصحاب الحلّ والعقد، والخليفة بأيديهم بغير إرادة ولا اختيار. وتولى معزّ الدولة أحمد بن بويه أصغر الأخوة الثلاثة إمرة الأمراء في بغداد نيابة عن أخيه عماد الدولة[6].

ولما استبد البويهيون بالسلطة دون الخليفة العباسي، تغير الحال عما كان عليه في السابق؛ فاستولوا على جميع أملاكه وذخائره، وخصصوا له راتباً يومياً، فالخليفة

1) اختلف الباحثون وأصحاب السير في نسبهم، فمنهم من يقول أنهم من سلالة الملك الساساني بهرام يزد جرد، ويرى بعضهم أن نسبهم يرجع إلى كبير وزراء بهرام نوسى، ولكن يرجح أن البويهيين من الديلم، ومن أسرة فقيرة، كانت تقطن قرية كياكيس، إحدى قرى ناحية لياهج ببلاد الديلم. للمزيد من التفصيل ينظر، الصّابئ، المنتزع، ص21؛ ابن الأثير، الكامل ج8، ص264-267؛ ابن خلكان، وفيات، ح1، ص157؛ سترشتين، مادة بويه، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص354-358 ليسترنج، بلدان الخلافة، ص 206-208؛ الكروي، البويهيون والخلافة، ص 82-83.
2) الدوري، النظم، ص61.
3) ابن خلدون، تاريخ، ح4، 432.
4) كاهن، تاريخ الشعوب، ص 245.
5) مسكويه، تجارب، ح2، ص85؛ ابن الجوزي، المنتظم، ح6، ص340.
6) ابن الجوزي، ح6، ص271، ابن الأثير، الكامل، ح6، ص450.

المستكفي بالله، خُصص له راتب قدره خمسة آلاف درهم، لم يكن يصله بانتظام، ثم قطع معزّ الدولة هذا الراتب وحدد له إقطاعات يعيش منها[1].

كان البويهيون شيعةً، على المذهب الزيدي الذي نشأوا في كنفه، ورغم اعتقادهم بأن العباسيين قد اغتصبوا الخلافة، إلا أنهم لم يعملوا على نقلها منهم إلى آل البيت، وأبقوا الخلافة العباسية[2]. رغم أن المصادر أشارت إلى تفكير معزّ الدولة البويهي بنقل الخلافة إلى العلويين، إلا أنه عدل عن فكرته، بعد نصيحة خواصه الذين حذروه من سخط الناس ومخالفتهم، لأن عامة الناس اعتادوا الدعوة العباسية في الأقطار الإسلامية، ودانوا لدولتهم، وأطاعوهم، وأظهروا له خطر تلك السياسة على مستقبله، ومستقبل أمراء بني بويه، وقالوا له:" ليس هذا برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة، كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا" [3].

أما الأستاذ جب (Gibb) فإنه لا يعتقد بأن البويهيين كانوا زيدية، بل أنهم اثنا عشرية. ثم يستعرض جب (Gibb) التطورات السياسية والإدارية في عهد العباسيين، وما نتج عن هذه التطورات من ابتعاد الدين عن المؤسسات السياسية والدنيوية حيث ولّد شعوراً في بعض الحلقات بأن الأمل الوحيد لحفظ القيم الإسلامية بصورة فعالة يكون بفصلها عن التنظيم السياسي. وكان الشّيعة الإمامية أول من أدرك ضرورة فصل الدين عن السياسة، واعترفت به وطبقته، فكانت غيبة الإمام الثاني عشر قبولاً ضمنياً

1) مسكويه، تجارب، ج2، ص85؛ ابن الأثير، الكامل، ح8، ص450؛ الكروي، البويهيون والخلافة، ص178.

2) أشار الشهرستاني إلى أن السبب في عدم قضاء البويهيين، على الخلافة العباسية يرجع إلى اعتقاد الزيدية بأن الإمامة من مصالح الدين يحتاج إليها لإقامة الحدود، وحتى لا يكون الأمر فوضى بين العامة، فلا يشترط أن يكون الإمام أفضل الأئمة علماً، وأقدمهم عهداً، وأسداهم رأياً، إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل. الملل والنحل، ص 180.

3) ابن الأثير، الكامل، ح8، ص452-453؛ عمر، الخلافة العباسية، ص80.

للحقيقة القائلة بأن العمل على إقامة خلافة علوية سوف لا يغير سير الحوادث، بل أنه سوف يؤدي إلى اضطرابات جديدة في المجتمع الإسلامي وتفرقه دون كسب حقيقي.[1]

اعتبر عدد من الباحثين بصحة هذه الرواية [2]، وأنها كانت السبب في عدول معزّ الدولة عن رأيه، لما قد يتعرض إليه سلطانه السياسي من خطر بوجود خلافة علوية يطيعها الجند، وفضّل أن يستبد بالسلطة في ظل خليفة عباسي ضعيف، على أن يكون تابعاً لخليفة يعترف بإمامته، مع أن الفرصة كانت مواتية، لوجود خلافة علوية قائمة بالأمر وقتذاك في مصر وهي الخلافة الفاطمية[3].

وبعد أن استتب الأمر لمعزّ الدولة في بغداد، وأصبحت له الكلمة العليا في تصريف شؤون البلاد، حدثت أمور أدخلت الريبة في نفسه من ناحية الخليفة المستكفي بالله وقهرمانته عَلم حيث أن الخليفة قبض على رئيس الشّيعة، ولم يقبل له شفاعة للإفراج عنه، كما وردت إليه الأخبار باجتماع الخليفة ببعض الأشخاص سراً، لهذا دبَّر لخلع الخليفة. كان خلعه بصورة مزرية حيث " تقدم من الخليفة رجلان مدا أيديهما للسلام عليه، ثم جذبا الخليفة، وطرحاه أرضاً، وساقاه ماشياً إلى دار المعز حيث اعتقل" [4].

عندئذ وقع اختيار معزّ الدولة على أبي الفضل بن المقتدر ليستخلفه على البلاد، وأطلق عليه لقب المطيع لله (334-363هـ/946-974م). ثم أحضر إليه الخليفة المخلوع، فسلّم عليه بالخلافة، فأشهد على نفسه بالخلع، فسُملت عيناه، وأعتُقل عنده إلى أن قضى نحبه[5].

يتضح زوال سلطة الخليفة من كتاب المطيع لله سنة (361هـ/971م) إلى بختيار حين طلب منه مالاً للجهاد، مدّعياً أن هذا من واجب الإمام. قال المطيع:" الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وعليّ تدبير الأموال والرجال، وأما الآن وليس لي منها إلا القوت

---

1) Gibb,.Islam, p.126. ، منينمة، تاريخ الدولة البويهية، ص 186.
2) الدوري، دراسات، ص248-49؛ حلمي، الخلافة والدولة، ص164؛ عمر، الخلافة العباسية ، ص80.
3) الكروي، البويهيون والخلافة، ص182.
4) مسكويه، تجارب، ج2، ص86؛ الدوري، دراسات، ص249.
5) الهمذاني، تكملة، ص355.

القاصر عن كفائي، وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف، فما يلزمني غزو ولا حج، ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي تخطبون به على منابركم تسكتون به رعاياكم، فأن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضاً، وتركتكم والأمر كله" [1]. وأشار سيد أمير علي إلى حالة الضعف التي وصل إليها خلفاء هذا العهد، فقد صار الخليفة مجرد ظل يتقاضى من الخزانة راتباً مقداره خمسة آلاف دينار فقط[2].

ولم يقنع البويهيون بأخذ السلطة، بل شاركوا الخلافة في مظاهر سيادتها الأخرى، فقد كانت الخطبة في بغداد رمز سيادة الخليفة السياسية، فلم يمض ربع قرن حتى اغتصب البويهيون هذا الامتياز، وأصبح اسمهم يذكر مع اسم الخليفة ثم صار ذلك سُنة لمن بعده من الأمراء[3].

وصارت السكة وهي الرمز الثاني لسيادة الخليفة بيد البويهيين، فحذفوا لقب أمير المؤمنين، واكتفوا بذكر اسم الخليفة على النقود، في حين أن الأمير البويهي لم يكتفِ بذكر اسمه، بل أضاف لقبه وكنيته[4].

كانت من مظاهر سيادة الخلافة قرع الطبول على أبواب الخليفة في أوقات الصلوات الخمس، فحاول معزّ الدولة أن يشارك في هذا الامتياز، فأخفق، ولكن عضد الدولة أجبر الطائع لله سنة (368هـ/978م) على أن يمنحه حق ضرب الطبول على بابه ببغداد ثلاث مرات يومياً[5].

وهكذا سلب البويهيون السلطة من الخلفاء العباسيين، وشاركوهم لأول مرة في تاريخ العباسيين في كل مظاهر سيادة الخلافة ومميزاتها، وقد فكر عضد الدولة بنقل الخلافة إلى البيت البويهي، بإقامة علاقة مصاهرة مع الخليفة الطائع لله (363-381هـ/974-991م) حيث زوّجه أبنته الكبرى على أن يرزق ولداً ذكراً منها، فيتولى

---

1) مسكويه، تجارب، ج2، ص307.

2) Amir Ali, Ashort History, P303

3) مسكويه، تجارب، ج2، ص396؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص115.

4) الدوري، دراسات، ص 253؛ Siddiqi, Caliphate and King ship, p112

5) مسكويه، تجارب، ج2، ص396؛ ابن الجوزي المنتظم، ج7، ص92.

العهد وتصير الخلافة في بيت بني بويه " ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة البويهية" [1].

ثانيا: الحياة الاجتماعية

كان المجتمع الإسلامي في العصر البويهي يتكون من عناصر بشرية مختلفة (عرب، فرس، أتراك، وأكراد، وهنود، وزنج...). هذه العناصر اختلفت فيما بينها، فهي تراوحت بين الحضارة المترفة والبداوة الخشنة. رغم ذلك فإن التأثيرات الإسلامية كانت قد توغلت عميقاً داخل المجتمع الإسلامي منذ زمن، حتى باتت الغلبة الثقافية والاجتماعية للحضارة الإسلامية[2].

على العموم فإن أكثرية السكان كانت من المسلمين، مع وجود جماعات صغيرة مجوسية ويهودية ومسيحية[3] وصابئة.

ورغم قلّة عدد أهل الذمة إذا ما قورنوا بالمسلمين، فقد عاشوا في جو من التسامح، وعملوا بكثير من المهن كالجهبذة[4]، والكتابة في الدواوين[5]. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل بل إن نصر بن هارون النصراني تولى الوزارة لعضد الدولة ، وكان قد استأذن عضد الدولة في عمارة البيع والأديرة فأذن له[6].

انقسم المجتمع في هذه الفترة إلى طبقتين هما: طبقة الخاصة، وطبقة العامة. كانت طبقة الخاصة أغلبها من ذوي النفوذ والسلطان، ومسيطرة على مقدرات الدولة، جمعت الثروات الطائلة بطرق مختلفة. ومن الأمثلة على ذلك الغنى، ما تذكره المصادر من أن

---

1) مسكويه، تجارب، ح2، ص414.

2) منينمة، تاريخ الدولة البويهية، ص277.

3) أشار ادم متز بعد أجرائه لمقارنات بين قيمة الجزية التي كان يدفعها النصارى، إلى أن عددهم في أوائل القرن الرابع تراوح بين أربعين وخمسين ألف شخص. الحضارة الإسلامية،ج1 ص66.

4) النشوار، ج3، ص31. والجهبذ: هو النقّاد الخبير العارف بغوامض الأمور وطرق النقد. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص157.

5) مسكويه، تجارب، ج2، ص243.

6) مسكويه، تجارب، ج2، ص243.

فخر الدولة بن بويه (ت 387هـ/988م) خلّف عند موته " ألفي ألف وثمانمائة ألف وخمسة وسبعين ألفاً ومائتين وأربعة وثمانين ديناراً، وكان في خزائنه من الجوهر واليواقيت واللؤلؤ والبلخش أربع عشرة ألف وخمسمائة وعشرين قطعة قيمتها ثلاثة آلاف دينار، ومن أواني الذهب ما وزنه ألف ألف دينار، ومن أواني الفضة ما وزنه ثلاثة آلاف ألف، ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل، وخزانة السلاح ألفا حمل، وخزانة الفرش ألف وخمسمائة حمل" [1]. كما بلغ من غنى الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص، أن لقب " بصاحب الأموال التي لا تحصى" ، فعندما صودر، وجُد بحوزته عشرون ألف ألف دينار وأكثر" [2].

طبيعي أن يظهر هذا الثراء العريض في أساليب حياة الطبقة الخاصة، فيغشاها الترف والنعيم، ويسودها البذخ والإسراف، لذا تجد الأغنياء في هذه الأوساط المترفة يتأنقون في المأكل والمشرب واللباس والسكن، فينشؤن القصور الفخمة، ويحيطونها بالبساتين والحدائق، ويملأونها بأدوات الترف وصنوف الزينة وفاخر الرياش[3]. ذكر ابن الأثير أن الأمير معزّ الدولة صرف على داره إلى السنّة التي توفي فيها " ثلاثة عشر ألف ألف درهماً صادرها من جماعة من أصحابه" [4]. أما الوزير المهلّبي فقد ورد عن إسرافه كثير من الأخبار، منها ما رواه ياقوت نقلاً عن التنوخي بقوله" [5]: شاهدت أبا محمد المهلّبي قد ابتيع له في ثلاثة أيام ورد بألف دينار، وطرحه في بركة عظيمة كانت في داره، ولها فوارات عجيبة" . ومما يدل على إسراف هذه الطبقة أيضاً أنة قد خصص للوزير أبي طاهر محمد بن بقيه وزير عزّ الدولة بختيار من الشمع ألف منّ[6] في كل

1) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص197-198.
2) مسكويه، تجارب، ج1، ص35.
3) الزهيري، الأدب في ظل بني بويه، ص45.
4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص534.
5) ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص987.
6) المنّ: يعادل مائتين وستون درهماً. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص444.

شهر، وعلق ابن خلكان على هذا الخبر قائلاً:" إذا كان راتب الشمع خاصة مع قلة الحاجة إليه، فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة إليه[1]" .

ورغم الثراء الفاحش الذي كانت تعيشه طبقة الخاصة فأن أفرادها، لم يحاولوا التخفيف من وطأة الفقر الذي لحق بالعامة. وقد أشار القاضي التنوخي إلى ذلك بقوله:" تجارينا ذكر شدة زماننا وفقر الناس فيه وضيق أحوالهم، وتوصية الناس بعضهم بعضاً به، وتحذر التجار من معاملات الناس، ومسك الناس أيديهم عن الإحسان إلى أحد، أو بِرِّه"[2].

شاعت في بيوت الخاصة، مجالس الشرب والغناء وكثر المغنين والمغنيات[3]. أشار التوحيدي إلى ذلك بقوله:" وقد أحصينا ونحن بالكرخ أربعمائة وستين جارية في الجانبين، ومائة وعشرين حره، وخمسة وتسعين من الصبيان البدور" [4].

أما طبقة العامة[5] فقد أثقلت كاهلها الضرائب الفادحة، وأنهكتها ويلات الحرب المستمرة بين الأمراء. أشار المقدسي إلى كثرة الضرائب، ونتائجها على عامة السكان عندما قال:" وأما الضرائب فكثيرة محدّثة في النهر والبر، وفي البصرة تفتيش صعب، وشوكات منكرة، وكذلك في البطائح، تقوَّم الأمتعة وتفتش، وأما القرامطة[6] فلهم

---

1) ابن خلكان، وفيات، ج5، ص118.

2) النشوار، ج2، ص275.

3) الثعالبي، اليتيمة، ج4، ص394.

4) التوحيدي، الإمتاع، ج2، ص183. البدور: بدرَ، بدرتُ إلى الشيء أبدُرُ بدوراً، أسرعت وكذلك بادرت إليه، والبدر: القمر إذا امتلأ، وسميت ليلة البدر لتمام قمرها. ويقال بدرَ الغلام، إذا تم واستدار، تشبيهاً بالبدر في تمامه وكماله. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص340-341.

5) قسَّم ابن الربيع العامة إلى نوعين: أحداهما يضم التجار وأهل المراتب، وهم يحصلون العيش من أحسن وجوهه، ويتميزون بالاكتساب الدائم، ويضم ثانيهم السوقة والجمهور، وهم في أدنى المراتب المبذولة لكل دنيء نفس. ابن أبي الربيع، سلوك الممالك، ص123.

6) تعددت أراء المؤرخين في تفسير أصل كلمة القرامطة، وعزوه إلى معاني مختلفة، ولكن الأغلب أن لفظ قرمط كان لقب لحمدان بن الأشعث، زعيم قرامطة جنوب العراق. ومعناها في أصلها النبطي أحمر العينين. حول ذلك أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص233-235؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج2، ص929؛ زياد أبو سنينة، القرامطة في السواد وبلاد الشام في القرنين الثالث والرابع، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، 1998، ص32-48. وأشار الطبري أن نشأتهم كانت في عام

ديوان على باب البصرة، وللديلم ديوان أخر، حتى أنه يؤخذ على الغنمة الواحدة أربعة دراهم" [1].

عانت هذه الطبقة من الفقر والحرمان، وعدم توفر الحاجات الأساسية للحياة الكريمة. وصف التنوخي فقيراً بأنه " أشعث أغبر في السبال، في هيئة سؤال الخراسانية وزيهم، وأخر يلبس عمامة وسخة ورداء وجبة وقميصاً طويلاً، وهو بلا سراويل" [2].

ومما يدل على انتشار الفقر المدقع بين طبقة العامة ما عاناه بعض العلماء والأدباء من بؤس وفقر؛ فالأديب أبو حيان التوحيدي عانى من شظف العيش، ما أضطره إلى إلى الكتابة إلى الوزير ابن سعدان[3] يطلب منه تخليصه من الفقر. ومما جاء في رسالته إليه:" خلصني أيها الرجل من التكفف، أنقذني من لبس الفقر، أطلقني من يد الضرء اشترني بالإحسان، اعتبدني بالشكر، استعمل لساني بفنون المدح، أكفني مؤونة الغداء والعشاء، إلى متى الكسيرة اليابسة، والبقلية الذاوية، والقميص المرقع.." [4].

كان من أسباب سوء حالة عامة السكان، ظهور الأزمات السياسية والاقتصادية التي كانت تحدث بين فترة وأخرى. من ذلك ما حدث سنة (334هـ/945م) وقت دخول الدّيلم بغداد، فقد انتشرت المجاعة حتى أن بعض النساء " كبُسن وهن يأكلن أبناءهن، أو أبناء جاراتهن، عقب موجة الغلاء" [5]. كما أنه لما دخل الدّيلم بغداد، نزل الجنود في بيوت الناس، لذلك وقفت العامة من الناس إلى جانب ناصر الدولة الحمداني،

(278هـ/891م) بقوله:" وفيها وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة" . تاريخ، ج10، ص23. وبعد إحدى عشر عام أي سنة (289هـ/901م) استطاعت الخلافة العباسية من القضاء على الحركة في سواد الكوفة. الطبري، تاريخ، ج10، ص86.

1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص133.
2) الفرج، ج3، ص272.
3) هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمام الدولة البويهي سنة 373هـ وقتله سنة 375هـ الروذداري، ذيل، ج3، ص85، ص107.
4) التوحيدي، الإمتاع، ج3، ص ص226-227.
5) النشوار، ج1، ص351؛ مسكويه، تجارب، ج2، ص95.

الذي جاء ليدافع عن الخليفة ضد معزّ الدولة. ولكن بعد هزيمة ناصر الدولة، قتل الدّيلم جماعة منهم، وانطلقوا في بغداد ينهبون الأسواق وينتقمون من العامة[1].

ونتيجة للأوضاع السيئة كانت العامة تستغل أي ظرف للتعبير عن أرائها وأوضاعها، كما حدث سنة (361هـ/971م) عندما استولى البيزنطيون على نصيبين[2]، فظهر العامة ووقعت فتنة عظيمة ببغداد. وصف التوحيدي ذلك بقوله:" وصارت العامة طائفتين، طائفة ترق للدين ولما دهم المسلمين، وطائفة وجدت فرصتها في العبث والفساد والنهب والغارة بواسطة التعصب للمذهب" [3]. كما أخذوا أموال الناس مستغلين الدعوة للجهاد[4]. وتكرار مثل ذلك سنة (364هـ/974م) عندما تمكن عضد الدولة من السيطرة على بغداد من يد ابن عمه بختيار، فتمرد عليه القادة، ووقف البويهيون ضده، فاغتنم العيّارون الفرصة " وتحركوا وتجاسروا على عضد الدولة بعد أن ضبط الأمور"[5].

تميزت هذه الفترة بالفتن المذهبية بين السنّة والشّيعة، فمنذ أن دخل البويهيون بغداد أظهروا تأييدهم للشيعة، حتى قيل أن أحد الأسباب التي كانت وراء خلع الخليفة المستكفي هو قبضه على زعيم الشّيعة[6]، وأصبح الصراع بين السنّة والشّيعة جزءاً من المعاناة التي يعانيها الناس، تتكرر بين فترة وأخرى، فقد تجددت الفتنه سنة (338هـ[7]/949م) ثم سنة (340هـ[8]/951م) وسنة(349هـ/960م) حتى عطلت الجمعة الجمعة في جميع مساجد السنّة[9].

1) مسكويه، تجارب، ج2، ص95.
2) مسكويه، تجارب، ج2، ص304.
3) التوحيدي، الإمتاع، ج3، ص51.
4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص619.
5) مسكويه ، تجارب، ج2، ص348.
6) المصدر نفسه، ج2، ص86.
7) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص 363-364.
8) المصدر نفسه، ج6، ص369.
9) المصدر نفسه، ج6، ص394-395.

ولكن في سنة (351هـ/962م) أظهر معزّ الدولة البويهي تأييده العلني للشيعة، فعندما كتبت العامة على مساجد بغداد لعن معاوية ولعن من غصب فاطمة، ومن أخرج العباس من الشورى، ومن نفى أبا ذر، لم يمنع معزّ الدولة ذلك، بل إنه عندما بلغه أن أهل السنّة قد محوا ذلك، أراد أن تعاد الكتابة لولا نصيحة وزيره المهلّبي بان يكتب مكان ما مسح، لعن الظالمين لآل رسول الله، ولعن معاوية فقط[1].

لم يقتصر الأمر على ذلك، بل ابتدع معزّ الدولة في العام التالي (352هـ/963م) أعياداً ومناسبات، تذكر بما لحق آل البيت من ظلم واغتصاب لحقهم بالخلافة، ومن تلك المناسبات يوم عاشوراء[2]، حيث ألزم الناس إغلاق الأسواق وعطّل البيع، وخرجت النساء منشورات الشعور، ينحن ويلطمن على الحسين[3]، كما أمر في 18 ذي الحجة سنة (352هـ/963م) بإظهار الزينة في بغداد، وذلك فرحاً بعيد الغدير[4]. هذه الويلات دفعت الناس إلى ممارسة الكثير من الأفعال البعيدة عن القيم الأخلاقية والمثل العليا، فانتشرت اللصوصية، ومن النص التالي يتضح ذلك، أورد التنوخي قصة اللص الكرخي وسبب لجوئه إلى اللصوصية، حيث قال الكرخي:" نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح، وجئت إلى بغداد أطلب الديوان، فما قبلني أحد فانضاف إلى هؤلاء الرجال، فطلبت قطع الطريق، ولو كان السلطان أنصفني وأنزلني بحيث استحق من الشجاعة، وانتفع بخدمتي

---

1) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص7-8.

2) عاشوراء: إحياءً لذكرى مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما الذي قتل في العاشر من محرم سنة (61هـ/680م) . الطبري، تاريخ، ج5، ص400 وما بعدها.

3) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص15.

4) المصدر نفسه، ج7، ص16؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص549. وهذا العيد عندهم بمثابة إحياء لذكرى الخطبة التي ألقاها الرسول (ص) في الموقع المسمى بغدير خم، بين مكة والمدينة، بعد عودته من حجة الوداع، والتي قال فيها بعد أن أخذ بيد علي بن أبي طالب:" من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه، وعادي من عاداه" ، لذلك كانوا يحيون ليلته بالصلاة، وفي صبيحته يذبحون الذبائح وينصبون القباب. للمزيد حول حديث غدير خم: انظر: فضائل الإمام علي في: ابن ماجة، السنن، ص 18-19؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص 108-111 ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 76.

ما كنت أفعل هذا بنفسي" [1]. ويتضح من هذا النّص أن اللجوء إلى اللصوصية لم يكن إلا بعد أن عزَّت لقمة العيش وضاقت سبل الحياة.

صوّرت كتب الأدب بعض الممارسات الاجتماعية التي برزت نتيجة لسوء الأحوال المعيشية، فقد قدّم أبو المطهر الأزدي وصفاً لحال طفيلي فقال:" يشمّ القدور شمّ الذباب، وإذا ما استبان آثار عرس أو ختان، لم يرع دون الدخول، ولم يرهب على الباب لكزة البواب" [2]. كما قدم بديع الزمان في مقاماته وصفاً لأحوال المُكدين ووسائلهم في الحيلة على الناس، لأجل الحصول على الأموال[3].

وأصبح المجون واللهو في القرن الرابع أمراً مألوفاً ومنتشراً بين الخاصة والعامة، فالتنوخي أورد في النشوار قصة ابن الخرّاصة الذي ضمن البغاء ببغداد بعشرين ألف درهم في الشهر[4]. فكان من نتيجة تساهل الحكومة أن كثرت دور البغاء وبيوت اللهو والخلاعة، يدل على ذلك ما تحدّث به المقدسي عن شيوع الفسق والفجور في فارس والأهواز بقوله وهو يتكلم عن مدينة السوس قصبة الأهواز:" ترى دور الزّنا عند أبواب الجامع ظاهرة، ثم لا ترى لقرَّائهم ولا لمشايخهم هيبة، ولا لمذكريهم قيمة، ويقطعون أوقاتهم بالرقص" [5].

نتيجة لما سبق من اضطراب في الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عانى منها المجتمع، انتشرت المعتقدات الشعبية، فأقبل الناس على الحُجب " التي تعلق على أجسام أصحابها لتمنع عنهم الضرر" [6]، وشاع الاعتقاد بمعرفة الطالع[7]، كما شاع التبرك بالقبور، بالقبور، حتى أن عضد الدولة جرّب ذلك بنفسه، بعد أن كان يعتقد أن ذلك من

1) الفرج، ج4، ص237.
2) الأزدي، حكاية أبي القاسم، ص ص13-14.
3) الهمذاني، المقامات، ص ص70-73.
4) النشوار، ج1، ص351.
5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص407.
6) الفرج، ج1، ص222.
7) المصدر نفسه، ج1، ص197، ص205.

مبالغات العامة[1]. وانتشر كذلك الاعتقاد بالرقى، فكانت هناك رقى للحمل[2]، وأخرى للرعاف[3]. وزاد الاهتمام بالعرّافين، حتى أن عضد الدولة ضمّ إلى جملة خَدمه رجل عرّاف عرّاف يدعى أبا القاسم غلام زحل[4].

كانت الأعياد والاحتفالات مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية التي شاركت بها جميع فئات المجتمع. ومن أشهر تلك الأعياد عيدي الفطر والأضحى. ففي ليلة العيد توزع الصدقات على الفقراء، وفي أول أيام العيد يخرج الناس إلى المصلى حيث يؤدي الخليفة وكبار رجال الدولة صلاة العيد، ثم يعود الخليفة إلى القصر، ليتقبل التهاني من كبار رجال دولته[5].

كما احتفل الناس بأعياد مبتدعه وأخرى محلية، منها: عيد الغدير الذي ابتدعه معزّ الدولة سنة (352هـ/963م) حيث تنصب القباب وتعلق الزينة وتشعل النار في ليلته[6]. أما عيدي النيروز[7] والمهرجان[8] فهما عيدان فارسيان، وكانت العادة أن يجلس الأمير البويهي، ويوزع الهدايا على الجند، ويخلع على القادة والأمراء[9]، كما يقدم الناس الهدايا للأمراء البويهيين، فهذا أبو إسحق الصّابئ والذي كان محبوساً في سجن عضد

---

1) المصدر نفسه، ج1، ص242.
2) المصدر نفسه، ج3، ص147.
3) النشوار، ج3، ص151.
4) المصدر نفسه، ج3، ص327.
5) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص ص331-332.
6) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص26؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص549.
7) النيروز: معناه اليوم الجديد، وهو رأس السنّة الفارسية، أو مطلع الربيع وكانت الاحتفالات فيه تستمر فيه ستة أيام وكان اليوم السادس يسمى النيروز الأكبر. ابن شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص365؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص480.
8) المهرجان كان حلوله إيذاناً بالانقلاب الشتوي، وكان يحتفل فيه في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان، وبينه وبين نيروز مائة وسبعة وسبعين يوما. ابن شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص365؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، 448.
9) الروذراروي، ذيل، ج3، ص67.

الدولة أهدى يوم المهرجان إلى عضد الدولة -من حبسه- " قصيدة مرفقة بدرهمين وكتاب المسالك والممالك" [1].

ومن الأعياد الفارسية أيضاً يوم السذق. وتفسيره المائة، لأنه يبقي مائة يوم على دخول السنّة الجديدة من سنينهم، ويسمى أيضاً يوم الوقود. وفي هذا العيد يوقدون نيراناً، وينحرون القرابين لتدفع عنهم الشر[2].

شارك المسلمون في أعياد النصارى، قاصدين التنزه واللهو في مناطق أديرة بغداد، وكانت معظم هذه الأعياد تقام في الأديرة. ذكر الشابشتي أن أعياد النصارى ببغداد مقسومة على ديارات معروفة ومنها أعياد الصوم.[3] ومن أعياد النصارى أيضاً عيد الفصح، الذي كانت الاحتفالات به تتم في دير سمالو. وكان الاحتفال بعيد الشعانين، من المناسبات التي يخرج البغداديون فيها للتنزه واللعب، فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون.[4]

ثالثاً: الحياة الثقافية

رغم ما ساد العراق في هذا العصر من التعصب المذهبي، والفساد الإداري والسياسي، والانهيار الاقتصادي، فإن انعكاسه لم يكن سريعاً أو مباشراً على الحركة العلمية والفكرية في العراق والمشرق الإسلامي، فقد عاش المجتمع في هذا العصر نهضة علمية شاملة، نشطت فيها العلوم على اختلاف أنواعها، وصارت بغداد -عاصمة الخلافة العباسية- قبلة العلماء.

كان لأمراء آل بويه دورٌ مهمٌ في إبقاء بغداد مركزاً للإشعاع العلمي، ذلك أنهم ضمّوا إلى بلاطهم نخبة من رجالات العلم والأدب، وكانت مجالسهم تعج بالضليعين في تلك العلوم، فعضد الدولة جعل " لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه، وهو الحجرة التي يختص الحجاب، فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة،

1) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص ص331-332.
2) المصدر نفسه، ج2، ص246.
3) الشابشتي، الدّيارات، ص324.
4) المصدر نفسه، ص14.

آمنين من السفهاء ورعـــاع العامة، وأقيمت لهم رســـوم تصل إليهم، فعاشت العلـوم وكانـت مواتـاً، وتراجـع أهلهـا وكـانوا أشـتاتا، ورغِـب الأحـداث في التـأدب، والشـيوخ في التأديب" [1].

ولم يقف الأمر عند حدّ التشجيع، بل أن الجيل الثـاني مـن أمـراء آل بويـه تـأثر تـأثراً كبيراً بالثقافة العربية وأثّر فيها، فعضد الدولة كان " يُؤثر مجالسة الأدبـاء عـلى مجالسـة الأمراء" [2]. وكان مجلسه محط أنظار كبار رجال العلم والأدب، فقصده العلـماء مـن كـل بلد، وصنّفوا له الكتب، منها: (كتاب الإيضاح والتكملة في النحو) الذي صـنّفه لـه الشـيخ أبو علي[3] الفارسي[4]، و(كتاب التاجي في أخبار بني بويه) لأبي إسحق الصّابئ[5]، وصـنّف له علي بن العباس المجوسي،(الكتاب الملـكي في الطـب)[6]. كـما قـرّب عـزّ الدولـة بختيـار العلماء والأدباء، وأجزل لهم العطاء[7]. كـذلك شـجع شرف الدولـة بـن عضـد الدولـة (ت 379هـ/990م) العلماء والأدباء، وكان مولعاً بالنجوم[8]، مع أن عهده كان أضـعف العهـود البويهية في العراق[9].

وساهم التنافس بين الأمراء في الولايات والإمارات الناشئة على تشجيع العلم والأدب، حيث أخذوا يتسابقون على اجتـذاب العلـماء ورعـايتهم، وصـاروا يغـدقون علـيهم المـنح والعطايا. فقد كان الصاحب بن عباد محط أنظار الملوك، فعندما راسله نـوح بـن منصـور الساماني طالباً منه تولي الوزارة اعتذر، ومما قاله في اعتذاره:" كيف يحسن

---

1) مسكويه، تجارب، ج2، ص408.
2) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص257.
3) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي، ولد بخسا ثم انتقل إلى بغداد وصحب عضد الدولة، مات سـنة 377هــ ابـن خلكان، وفيات، ج2، ص80.
4) القفطي، إنباه، ج2، ص387.
5) ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص131.
6) القفطي، أخبار العلماء، ص155.
7) التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص ص152-153.
8) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص141.
9) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص188.

لي مفارقة قوم -يقصد البويهيين- بهم ارتفع قدري، وشاع بين الأنام ذكري، ثم كيف لي بحمل أموالي مع كثرة أثقالي، وعندي من كتب العلم خاصة، ما يحمل على أربعمائة جمل" [1].

وسار وزراء البويهيين على نهج أمرائهم في العناية بالعلوم والعلماء، فالوزير أبو محمد المهلّبي (ت352هـ/963م) وزير معزّ الدولة ضمَّن مجالسه العلمية كثيراً من العلماء والأدباء والكتّاب، وأغدق عليهم الهبات والصلات، حتى قيل عند وفاته:" مات بموته عن الكتّاب الكرم والفضل" [2].

وممن شجع العلم أيضاً الوزير أبو الفضل محمد بن العميد، وزير الأمير ركن الدولة بن بويه، الذي كان من ألمع شخصيات عصره علماً وأدباً وسياسة، فقد كان عالماً بالفلسفة والنجوم، فضلاً عن الأدب والترسل[3].

أما الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن فخر الدولة البويهي فقد كان من أبرز الوزراء الذين شجعوا العلم. بلغ من حبه للعلم أنه كان يرسل في كل عام خمسة آلاف دينار إلى بغداد لتُفرق بين العلماء وأهل الأدب[4].

إضافة لتشجيع الأمراء البويهيين للثقافة والعلوم، فقد لعبت المجالس الأدبية والعلمية التي كانت تعقد في قصورهم وقصور وزرائهم دوراً بارزاً في إثراء الحركة العلمية، من خلال ما كان يدور فيها من مناظرات ونقاشات شملت مختلف فروع المعرفة. ومن تلك المجالس مجالس الأمير عضد الدولة البويهي، فكان مجلسه ندوة للمناظرات العلمية والأدبية. نقل القفطي مثالاً منها، فقال:" دار البحث ذات يوم في مجلس عضد الدولة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصل استنباطهما" .[5] وحرص الأمير عزّ الدولة بختيار على عقد مثل تلك الندوات في مجلسه بحضور جمهرة من العلماء.[6]

1) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص231.
2) مسكويه، تجارب، ج2، ص198.
3) التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص270.
4) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص180.
5) القفطي، أخبار العلماء، ص 283.
6) التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص152-153.

وسار وزراء بني بويه على نهج أمرائهم في تشجيع العلم ومجالسه، فقد كان الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة أحد هؤلاء، فكان بيته منتدى يجتمع فيه العلماء والأدباء، وكان ابن سعدان يعتز غاية الاعتزاز بمجلسه ويفخر به على مجالس غيره من الوزراء بقوله:" والله مال هذه الجماعة شكل ولا نظير، وأنهم لأعيان أهل الفضل ومسايرة ذوي العقول، وأن جميع ندماء المهلّبي لا يفون بواحد من هؤلاء...وأن جميع أصحاب ابن العميد ليشتهون أقل من فيهم، وأن ابن عبّاد ليس عنده إلا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويتصايحون" [(1)].

أما مجالس الوزير ابن العميد فقد حفلت بطوائف العلماء والأدباء، وعقد مجالس علمية مختلفة، للفقهاء يوماً وللأدباء يوماً وللفلاسفة يوماً. وصف التوحيدي أحد مجالسه التي عقدت ببغداد فقال:" دخل شهر رمضان فاحتشد وبالغ، ووصل ووهب، وجرت في هذه المجالس غرائب العلم وبدائع الحكمة" [(2)].

وكان الصاحب بن عباد من الوزراء الذين لهم الفضل في ازدهار الحركة العلمية، فقد ضمت مجالسه جمهرة كبيرة من العلماء، وفدوا إليه من كل مكان، يتناظرون ويتحاورون.[(3)] قال الثعالبي في وصف أحد مجالسه:" مجلسه مجمع لصوب العقول، وذوي العلوم، ودرر القرائح" [(4)].

وعند الحديث عن المجالس العلمية لا بد من الإشارة إلى دور مجالس النقباء (نقباء الأشراف) فقد كانت بيوتهم منتديات للعلماء والأدباء، والشعراء والمثقفين، يتداولون فيها بعض أمور الثقافة والعلوم.[(5)] ومن أمثلة تلك المجالس مجلس نقيب الطالبيين بنيسابور أحمد زبارة بن محمد الحسيني (ت 360هـ/970م) فقد كان يعقد مجلسه في داره ويضم الأشراف والعلماء والقضاة، وتجري فيه مناظرات علمية كثيرة.[(6)] ومن

---

1) التوحيدي، الصداقة والصديق، ص 80.
2) التوحيدي، مثالب الوزيرين، ص270.
3) ياقوت ، معجم الأدباء، ج2، ص665-668.
4) الثعالبي، اليتيمة، ج3، ص 225.
5) السامرائي، نقابة الأشراف في المشرق ، ص 287.
6) ابن طباطبا، منتقلة الطالبية، ص 338-339؛ السامرائي، نقابة الأشراف، ص 288.

مجالسهم أيضاً مجلس نقيب النقباء أبو الحسين أحمد بن القاسم العلوي. فقد كان يحضر مجلسه الشيوخ والعلماء والقضاة حيث تجري المناظرات بينهم.[1] ومنها أيضاً تلك المناظرة التي تمت بين بديع الزمان الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي، و شارك فيها النقيب نفسه وجميع الحضور، واستمر المجلس إلى ساعة متأخرة من الليل، " فأمال النعاس الرؤوس وسكنت الألحان والنفوس، وسلب الرقاد الجلوس، وأصبحوا فتفرقوا، وبعض القوم، يحكم بغلبة البديع، وبعضهم يحكم بغلبة الخوارزمي" .[2]

مما سبق، فإن تلك المجالس شملت جميع فروع المعرفة، فمنها: المسائل الأدبية والنحوية[3]، والمناظرات الشعرية[4]، والفلسفة والمنطق[5]، والقضايا الفقهية ومسائل الحديث[6]. وهناك إشارة إلى أن تلك المناظرات كانت تسجل وتدون. أشار إلا ذلك التوحيدي عند حديثه عن المناظرة التي جرت بين الفارابي وأبي سعيد السيرافي، فقال:" والمناظرة جرت في مجلس عام حضره أقوام كتبوها في ألواح كانت معهم، ومحابر أيضاً" .[7]

إلى جانب رعاية الأمراء والوزراء للحركة العلمية، هناك عوامل أخرى أسهمت في ازدهارها تمثلت بالكتاتيب والمكتبات والمساجد التي أدت دوراً كبيراً في خدمة العلم، لدرجة أن بعض العلماء تمنى أن يدرِّس في مسجد المنصور ببغداد، فهذا أحمد بن علي الخطيب البغدادي عندما حج سنة (362هـ/972م) سأل ربه ثلاث حاجات، إحداها أن يملي الحديث بجامع المنصور ببغداد[8].

1) العميدي، المشجر الكشاف، ص218.
2) ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص 239.
3) ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص237.
4) المصدر نفسه، ج1، ص 239.
5) التوحيدي، الإمتاع، ص107.
6) النشوار، ج8، ص186.
7) التوحيدي، الإمتاع، ص107؛ حمارنة ، الفارابي والمنهج العلمي، ص 23.
8) ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص385.

ومن أشهر المكتبات: مكتبة عضد الدولة. وصفها المقدسي بأنها " لم يبق كتاب صنّف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم كلِّها إلا وحصله فيها" [1]. أما مكتبة حبشي- أخ الأمير عضد الدولة، فكان فيها من الكتب أكثر من خمسة عشر- ألف مجلد[2]. وكان في مكتبه الوزير الصاحب بن عباد من الكتب ما يحمل على أربعمائة بعير، ويقع فهرسها بعشر مجلدات[3]. إضافة إلى عدد كبير من خزائن الكتب العامة والخاصة[4].

ولابدَّ من ذكر نبذ عامة ومختصرة عن محاور النشاط العلمي في هذا العصر.

لقد كانت علوم القرآن الكريم محوراً رئيساً لأنشطة العلماء، أمثال: أبي بكر محمد بن الحسن بن محمد النقّاش، شيخ المعتزلة ببغداد (ت 351هـ/962م) الذي ألّف تفسيراً كبيراً في اثني عشر ألف ورقه، إضافة إلى كتابه (شفاء الصدور المهذب في تفسير القرآن)[5]. القرآن)[5]. وأبو بكر محمد بن الحسن ابن يعقوب العطار المقرئ (ت354هـ/965م). فقد فقد قرأ بحروف تخالف الإجماع، واستخرج لها وجوهاً من اللغة ذكرها في كتابه (الاحتجاج للقراء)[6]. وصنّف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت385هـ/995م) تفسيراً للقرآن الكريم، بلغ من قيمته، أن قيل للصاحب بن عباد هلاّ صنّفت تفسيراً ؟ فقال: وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً[7].

أما الحديث، فمن رواده في هذا العصر- أبو الحسن علي بن محمد الدارقطني (ت385هـ/995) فكان من أكبر محدّثي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي،

---

1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص449.
2) مسكويه، تجارب، ج2، ص246.
3) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص231.
4) للمزيد حول المكتبات، انظر:عواد، خزائن كتب العراق، ص220 وما بعدها.
5) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص298.
6) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص30-32؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص343.
7) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص299.

ووضع عدداً من الكتب في علوم الحديث منها: (كتاب السنن)، و(كتاب الصفات)، و(كتاب الضعفاء والمتروكين) وغيرها[1].

وحظيت علوم اللغة العربية بنصيب كبير من العناية في العصر البويهي، فقد شهد هذا العصر فتحاً جديداً في مجال العلوم العربية في ميدان النحو والمعاجم اللغوية. ويبدو أن أئمة اللغة في هذا العصر قد شعروا بالحاجة إلى منهج علمي دقيق يسيرون عليه، وإلى تناول مادة بحثهم بطريقة منظمة[2]. ولعل هذا يوضح السبب الذي دفع أحمد بن فارس الرازي (ت395هـ/1004م) إلى تصنيف كتاب المجمل، حافلاً بالشواهد والأدلة التي تؤكد معاني الألفاظ[3]. وأكبر ما تمّ على أيدي علماء اللغة، هو تحديد معاني الكلمات وعمل المعاجم، تجلى ذلك في كتاب (الصحاح) للجوهري (ت398هـ[4]/1007م). ونال النحو حظه من العناية في هذا العصر، وبرز من علماء النحو : أبو الحسين علي بن إبراهيم (ت340هـ/951م) صاحب كتاب (إعراب القرآن)[5]، وأبو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج (ت360هـ/970م) صاحب كتاب (الأصول في النحو) [6]، وعلي بن عيسى الرماني النحوي (ت384هـ/994م) صنّف في النحو كتاب (الحدود الأكبر)، وكتاب (الحدود الأصغر)، و(شرح كتاب سيبويه)[7]. ووضع أبو الفتح عثمان بن جنّى (ت 392هـ/1001م) كتاب (اللمع) وكتاب (الخصائص)، وكلاهما في النحو[8].

أما الأدب، فيعد هذا العصر الذهبي للأدب. وأهم ما في موضوع الأدب ظهور المقامات كلون من ألوان الأدب والتي وضعت قواعدها على يد بديع الزمان الهمذاني

1) الخطيب، تاريخ، ج12، ص34؛ ابن خلكان، وفيات، ج3، ص297.
2) متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص417.
3) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص118.
4) القفطي، إنباه، ج1، ص195.
5) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص300.
6) المصدر نفسه، ج4، ص339.
7) المصدر نفسه، ج3، ص229.
8) ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص1585.

(ت398هـ/1007م). ويلاحظ أن بديع الزمان في تلك المقامات لم يكن هدفه فقط الخوض في شؤون الأدب، بل تعداه إلى المعضلات الكلامية، فعرض لمذهب المعتزلة بالتحقير والتسفيه، وصور الفساد الاجتماعي في ذلك الوقت، كما جاء في المقامة الخمرية التي شرح فيها حيل اللصوص[1].

وظلّ الشعر محتفظاً بحيويته وقوته، ملتزماً بأغراضه فلم يحفل عصر من عصور الإسلام بظهور عدد من الشعراء يضاهي ما ظهَر في هذا لعصر فقد ذاع صيت المتنبي، وابن العميد[2] وابن عباد[3]، وغيرهم[4].

أما علم التاريخ فقد نال أيضاً نصيباً وافراً من الاهتمام والدراسة، وبرز الاهتمام بشكل خاص في ميدان الكتابة التاريخية، ودراسة الأقاليم والمدن. تنوعت الاتجاهات في التأليف التاريخي، فمع استمرار الاهتمام بتاريخ السير وتاريخ الأنساب والطبقات، ظهرت اتجاهات جديدة يمكن ملاحظتها بوضوح في هذا المجال، فألّف المسعودي (ت346هـ/957م) كتابه الشهير (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، إضافة إلى كتابه (التنبيه والاشراف)[5]. كما ألف ثابت بن سنان بن قرة (ت365هـ / 976م) كتاب (التاريخ) الذي بدأه بفترة حكم الخليفة المقتدر (295-320هـ/908-933م) متبعاً المنهج الحولي في كتابه، وقد توقف عن متابعة الكتابة قبل وفاته بشهور أي سنة (360هـ/975م[6]).

كان تاريخ ثابت بداية لسلسلة من التواريخ كتبت من قبل أفراد آل الصّابئ، وكلها تعد ذيولاً لتاريخ الرسل والملوك للطبري (ت310هـ/922م). قال القفطي:" وعمل

---

1) الهمذاني، المقامات، ص ص70-73؛ ص ص236-242.
2) الثعالبي، اليتيمة، ج3، ص215-220.
3) المصدر نفسه، ج3، ص ص225-233.
4) للمزيد انظر: الثعالبي، اليتيمة. ج2، ص173-250، ص393-443.
5) النديم، الفهرست، ص171، كحالة، التاريخ والجغرافيا، ص51.
6) مرجليوث، دراسات، ص150.

ثابت كتاب التاريخ المشهور في الآفاق، الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب، وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المُحسّن ولولاهما لجهل شيء كثير من التاريخ" [1].

وألّف أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصّابئ (ت384هـ/994م) كتاب (التاجي في أخبار الدولة الديلمية)[2]، بناءً على طلب عضد الدولة[3] ووضع أبو الحسين هلال بن المُحسّن الصّابئ (ت448هـ/1056م) كتاب (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء)[4]. وبرز أبو علي أحمد بن مسكويه (ت421هـ/1030م) وأهم كتبه (تجارب الأمم وتعاقب الهمم)[5].

وظهر في هذا العهد عدد من علماء الجغرافية والبلدان، وضعوا مؤلفات في أحوال البلدان وممالكها وأهلها. منهم أبو إسحق إبراهيم بن محمد الإصطخري الكرخي، الذي صنّف كتاب (المسالك والممالك)[6]، وألف أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل (ت367هـ/977م) كتاب (صورة الأرض). ذكر فيه المفاوز والممالك والأقاليم وطبائع أهلها وخواصها[7]. كما ألف أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت380هـ/990م) كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) [8].

وفي الطب برز عدد من الأطباء، من أشهرهم: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت311هـ/923م)، والذي تولى بيمارستان الري ثم بيمارستان بغداد في أيام المكتفي، ومن أشهر كتبه: (الحاوي) و(كتاب الجامع) [9]. كذلك ثابت بن إبراهيم بن زهرون

---

1) القفطي، أخبار العلماء، ص100.
2) وهذا الكتاب مفقود، والمتوفر منه قطعة قصيرة قام بتحقيقها محمد الزبيدي ونشرها تحت عنوان " المنتزع من كتاب التاجي" . وزارة الإعلام، بغداد، 1977.
3) ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص131.
4) ابن خلكان، وفيات، ج6، ص101.
5) المصدر نفسه، ج4، ص191.
6) كحالة، التاريخ والجغرافيا، ص253.
7) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ج1، ص ص177-193.
8) نشر هذا الكتاب بطبعتين، الأولى طبعة ليدن، سنة 1909، وطبع حديثة بتحقيق محمد مخزوم عن دار إحياء التراث العربي بيروت، 1988.
9) ابن خلكان، وفيات، ج5، ص 157-158؛ القفطي، أخبار الحكماء، ص178.

(ت365هـ[1]/975م). وكان أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة من بيت مشهور بالطب، وتولى الإشراف على البيمارستان العضدي ، وخدم الكثير من خلفاء بني العباس[2]، وبرع ابن وصيف الطبيب (ت350هـ/961م) في طب العيون ولم يكن في زمانه أعلم منه في طب العيون[3].

وفي هذا العصر نالت علوم الرياضيات والفلك والنجوم حظاً وافراً من الدراسة، فنبغ فيها جماعة من العلماء، أشهرهم أبو محمد بن محمد البوزجاني (ت387هـ/997م) وصار أحد الأئمة المعدودين في الرياضيات، ومن مؤلفاته المشهورة (المجسطي) وكتاب (الجبر والمقابلة) [4].

أما علم الفلك والنجوم، فقد اعتنى به البويهيون عناية فائقة، خصوصاً في عهد عضد الدولة، وابنه شرف الدولة (ت379هـ/989م) الذي أنشأ مرصداً في بغداد، عمل فيه عدد من رواد الفلك[5]. ومن أشهر علماء الفلك: أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر الصوفي (ت367 هـ[6]/977م)، وأبو القاسم علي بن الحسين المعروف بابن الأعلم (ت375 هـ[7]/985م)، وأبو حامد أحمد الصّاغاني (ت380هـ/990) الذي برع بصناعة الإسطرلاب[8].

مما سبق يتضح أن هذا العصر يمثل العصر الذهبي للثقافة الإسلامية، حيث بلغت أوجها، لدرجة جعلت كلود كاهن يجري مقارنه بين الثقافتين: الإسلامية والأوروبية، ويعطي الأفضلية للثقافة الإسلامية " لأنها تميزت من الوجهة الاجتماعية بانتشار أوسع، يرجع سببه إلى نهضة العمران وصناعة الورق، وكان معظم رجال العلم من أصحاب

---

1) القفطي، أخبار العلماء، ص78.
2) القفطي، أخبار العلماء، ص260، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص304.
3) القفطي، أخبار العلماء، ص284، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص313.
4) النديم، الفهرست، ص341.
5) القفطي، أخبار العلماء، ص220.
6) النديم، الفهرست، ص342.
7) القفطي، أخبار العلماء، ص220.
8) المصدر نفسه، ص56.

المهن، ولم توجد مدينة إلا واختصت بمكتبة أو مكتبات عديدة ومدارس وطلاب يؤمون المساجد أو المؤسسات الخاصة" [1].

1) كاهن، تاريخ الشعوب، ص323.

البـاب الأول
تطور الكتابة التاريخية في العراق
في الرابع الهجري

الفصل الأول: الاتجاهات الرئيسية للكتابة التاريخية في العراق في الرابع الهجري

الفصل الثاني: الاتجاهات التاريخية التي تبلورت في العراق في القرن الرابع الهجري

الفصل الأول

اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق في القرن الرابع الهجري

- العوامل المؤثرة في تطور الكتابة التاريخية
- الاتجاهات الرئيسية في الكتابة التاريخية

أ. التاريخ العالمي: المسعودي

ب. التاريخ الحولي: آل الصّابئ، مسكويه

حقيقة أضحت معروفة للجميع، وهي أن علم التاريخ عند العرب ارتبط في نشأته وتطوره بالعلو الدينية الإسلامية من: فقه وتشريع وحديث، واندماج المعارف الثقافية ومناهجها التي استمرت منذ مرحلة ما قبل الإسلام. بل وتعزز بعضها مع نشوء الدولة الإسلامية وتنظيم جهازها، كالاهتمام بالأنساب ورواياته (أيام العرب) وتناقل الأخبار اللغوية والأدبية والقصصية المختلفة.

درس الدكتور الدوري في كتابه (بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب) هذه الظواهر التي كونت خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى أسس الكتابة التاريخية العربية، فحاول أن يرى في أصول تكونها انطلاقاً من تصنيف طبيعة النزعات العقائدية والاهتمامات السائدة، ومن الفروقات في البيئات السياسية التي برزت فيها اتجاهين أطلق عليهما: الاتجاه الإسلامي والاتجاه القبلي. يقول في هذا التصنيف:" سارت الدراسات التاريخية في بدايتها في اتجاهين عامين متميزين الواحد عن الآخر: اتجاه أهل الحديث، والاتجاه القبلي الذي كان لحد ما استمراراً للفعاليات القبلية السابقة. وهذان الاتجاهان يعكسان تيارين أساسيين في مجتمع صدر الإسلام-الاتجاه الإسلامي والاتجاه القبلي- أثّرا في مختلف جوانب الحياة" [1].

فالأستاذ الدوري يحدد في محاولة التصنيف هذه عاملين مهمين من عوامل فرز الاتجاهات في تكون الكتابة التاريخية العربية الأولى وأساليبها المنهجية وهما: العامل العقائدي والعامل السياسي. فالمدينة مركز الاتجاه الإسلامي أو اتجاه أهل الحديث، والأمصار ولا سيما العراق مركزاً للاتجاه القبلي. وقد التقت هذه العوامل في عملية نشوء الدولة الإسلامية[2].

1) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ، ص 21 وما بعدها.

2) كوثراني، بعض خصائص الكتابة التاريخية، ص56-57.

إن أهم تأثيرات الإسلام على الوعي التاريخي لدى العرب تمثّل في وعيهم بأنهم أمة واحدة[1]، وهي الحقيقة التي تعكسها كتب التاريخ الإسلامي العام. فالحقيقة أنه لا يوجد في التراث التاريخي لدى العرب قبل الإسلام ما يشي بأن العرب قد تصوروا أنفسهم كأمة يجمعها تراث تاريخي واحد، ذلك أن " الأنساب" و" الأيام" لم تكن تحتوي على مادة تربط بين ماضيهم جميعاً كأمة، وبين حاضرهم على نحو حضاري شامل، فقد اهتمت شجرات النسب بالنسب الجزئي لكل قبيلة على حده. كما كانت " الأيام" تهتم بتاريخ القبيلة في إطار ملحمي، وترى في القبائل الأخرى عوالم أخرى غير القبيلة التي تُعدّ عالماً قائماً بذاته. وإذا كان العرب قد رجعوا في أصولهم إلى جدّ أعلى ينتسبون إليه جميعاً، فإن هذه المحاولات لم تكن تخلو من المسحة الأسطورية من ناحية، أو لم تكن تؤثر على تصورهم الجزئي لحاضرهم كقبائل متنافرة متخاصمة من ناحية أخرى. أما الأيام فكانت تقصر اهتمامها على الوصف الجزئي لبعض الأحداث، كما أنها لم تكن تمثل في مضمونها الحقيقي مادة تاريخية يُعتد بها[2].

إن علم التاريخ عند العرب المسلمين هو تطور طبيعي في الإسلام، فالدين الجديد وتكون إمبراطورية ووضع تقويم ثابت، إضافة إلى الشعور لدى الجميع برسالة تاريخية، كل هذه هيأت الأساس للكتابة التاريخية، وهذا يوضح ذلك التنوع وتلك السعة في الكتابات التاريخية[3]. وكان الطبري (ت 310هـ/823م) تتويجاً لهذه المرحلة ولهذا الاتجاه في الكتابة التاريخية، فعبَّر عن فكرة تكامل الرسالات أو عن فكرة وحدة تجارب الأمة أو الإجماع. فالتاريخ في نظره تعبير عن المشيئة الإلهية [4].

عبّر الطبري عن الاكتمال التكويني للكتابة التاريخية العربية منهجاً وموضوعاً بعبارات صريحة يقول:" وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن ابتدأ ربنا جل جلاله خلق خلقه إلى حال فنائهم، من انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه نشكر نعمه، من رسول إلى مرسل ذو ملك مسلط أو خليفة مستخلف،

---

1) الدوري، بحث، ص 136.
2) قاسم، الإسلام والوعي التاريخي، ص 96.
3) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ ، ص 57.
4) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ ، ص 136.

فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمة في العاجل نعماً، وإلى ما تفضل به عليه فضلاً، ومن آخر ذلك له منهم، وجعله له عنده ذخراً، ومن كفر منهم نعمة فسلبه ما ابتدأوه به من نعمة، وعجل له نقمة، ومن كفر منهم نعمة فمنعمة بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه، مقروناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه، وجمل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه" [1].

إن نظرة الطبري إلى التاريخ وأسلوبه في كتابته متأثرة بدراسته وثقافته كمحدّث وكفقيه. لذا فإن طريقته في نقد الروايات تتجه إلى الإسناد ، في حين أن مصادره مؤرخون لهم منزلة موثوقة في حقولهم أو في الموضوعات التي كتبوا عنها، مركزاً على أهمية خبرات الأمة واتصالها من جهة أخرى، وإن مثل هذه الخبرات عظيمة الأهمية في سلوك الأمة في حالات الوحدة أو الاختلاف، وهي في الحالين توضح ما يصيب الأمة في تاريخها[2].

فمؤرخو القرن الثالث وضعوا الخطوط الرئيسة لعلم التاريخ عند العرب المسلمين، وركزوا الآراء والأفكار التاريخية[3]، كما أصبحوا أساتذة لمن بعدهم، حيث صارت مؤلفاتهم موضوعاً للشرح أو الاختصار أو النظر إليها باعتبارها الأثر التقليدي الباقي[4]

إضافة إلى ما سبق ، فإن تطور التاريخ من مرحلة الخبر إلى علم قائم بذاته عائد إلى ظهور طبقة من الرجال في القرن الرابع أمثال: آل الصّابئ، والمسعودي ومسكويه، تجسدت فيهم التطورات الثقافية التي حدثت في القرن السابق ممن أصبحوا عناصر رئيسة في الحياة السياسية، وعرفوا بواطن الأمور[5].

وتميز الكُتَّاب خاصة بكتابة المؤلفات التاريخية، وكانوا يضعون أيديهم عملياً على مصادر التاريخ الأساسية من خلال إطلاعهم على سجلات ووثائق الدواوين. فكان التاريخ أقرب مجالات العلم لعملهم بعد الأدب. هذا بجانب التعليم والتثقيف السياسي،

---

1) الطبري، تاريخ، ح1، ص 6.
2) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ ، ص 55.
3) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ ، ص 130.
4) مرجليوث، دراسات عن المؤرخين، ص 115.
5) روزنثال، علم التاريخ، ص 197.

حيث المادة التاريخية قد أضحت مادة أساسية في ثقافة الجهاز الوظيفي، وقد خصص ابن حمدوّن مجلداً من اثني عشر مجلداً تتألف منها (تذكرته) للتاريخ وحده.

بناءاً على ذلك، تحرر التاريخ في القرن الرابع من الوصاية الدينية عليه. فطبقة الكتاب التي دخلت ميدان التأليف أوجدت فيه بجانب اللون الديني اللون الدنيوي. وانتقال تدوين التاريخ السياسي إلى أيدي طبقة الكُتّاب ترك أثره العميق في التاريخ سواء في مادته، أو في أسلوبه، أو في هدفه. فلم يعد الحدث السياسي كما كان في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين تشريعاً، ولكن مجرد حدث سياسي في أسبابه ونتائجه وقيمته[1].

وشهدت الكتابة التاريخية في القرن الرابع تطوراً جديداً، تمثل في الاعتماد على السجلات والوثائق الرسمية كمصدر جديد لتدوين الأخبار. إن هذا التطور يرتبط- كما أشرنا سابقاً - بدخول ميدان الكتابة التاريخية فئة جديدة غير علماء الحديث واللغة، ونقصد بهم الكُتّاب ورجال الدولة وندماء الخلفاء. وقد خدمهم في الحصول على هذه الوثائق، قربهم من بلاط الخلفاء ودواوينهم. فلا يخلو كتاباً صنّف في هذه الفترة من احتوائه على بعض الوثائق[2].

رافق إدخال التاريخ الفارسي والهندي من خلال حركة الترجمة التي شهدها القرن الثالث الهجري ضمن تواريخ العالم بعض الإشارات إلى أفكارهم الفلسفية التي شجعت بعض المحاولات لإعطاء الفلسفة منزلة خاصة في بحث التاريخ[3].

كان المسعودي " صاحب العقلية الموسوعية" من أوائل المؤرخين المسلمين الذين أقحموا الفلسفة في كتبهم التاريخية. لكنه لم يحاول أن يقعّد نظرية فلسفية للتاريخ،

---

1) مهنا، التدوين التاريخي، ص 91.

2) أورد التنوخي في النشوار ست وثائق تتعلق بالشؤون الإدارية والاقتصادية، ج3، ص 169، ج8، ص 10، ص 120، ص 129، ص 191، ص 266، وفي القطعة التي وصلتنا من تاريخ هلال الصّابئ بعضها، ص 341-345، ص 358، كما أورد هلال بن المُحسّن الصّابئ في كتابه الوزراء وثائق رسمية استطاع الحصول عليها من خلال عمله في ديوان الإنشاء، الوزراء، ص 15، ص 100، ص 102، ص 166، ص 170، ص 245.

3) روزنثال، علم التاريخ، ص 161.

وإنما بثّ آراءه الفلسفية والمنطقية[1] وآرائه في الإلهيات والطبيعيات في ثنايا كتبه التاريخية، وخاصة (مروج الذهب)[2]

والمحاولة الثانية لإخضاع التاريخ للفلسفة - وكانت أجرأ قليلاً من الأولى- تمثلت بكتابات ثابت بن سنان الصّابئ الطبيب والمؤرخ. ورغم ضياع أصل كتاب ثابت، إلا أن الشذرات التي وصلتنا منه تظهر ذلك. فقد عبّر ثابت بن سنان عن ذلك في مقدمة كتابه . يقول المسعودي في معرض نقده لثابت:" قد ألف كتاباً جعله رسالة إلى بعض إخوانه من الكُتَّاب واستفتحه بجوامع من الكلام في أخلاق النفس وأقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية، وذكر لمعاً من السياسات المدنية مما ذكره أفلاطون في كتابه السياسة" [3]. يضيف المسعودي:" قد تكلف ما ليس من مهنته، ولو أقبل على علمه الذي انفرد به من علم إقليدس والمقطعات والمجسطي والمدورات، ولو استفتح آراء سقراط وأفلاطون وأرسطاليس، فأخبر عن الأشياء الفلكية والآثار العلوية، والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات، والصنائع المركبات، ومعرفة الطبعيات من الإلهيات والجواهر والهيئات، ومقادير الأشياء، وغير ذلك من أنواع الفلسفة.... لكان قد سلم مما تكلفه، وأتى بما هو أليق بصنعته" [4].

غير أن أدق محاولة لإخضاع التاريخ للفلسفة من الناحية الظاهرية على الأقل هي التي قام بها المطهّر بن طاهر المقدسي. فقد خصّص أربعة فصول من أصل أربع وعشرين

---

1) وفي سبيل معالجة مثل هذه القضايا، فإنه أفرد كتباً خاصة منها (كتاب في الأسرار الطبيعية) و(الرؤوس السبعة في الإحاطة بسياسة العالم) و (الرؤيا والكمال) و(طب النفوس) . ورد ذكر هذه الكتب وغيره في مروج الذهب، وعندما كان يريد إرشاد للقارئ إليها خوفاً من الإطالة والتكرار، مروج، ح2، ص 180، ص 184، ص 191، ص 192.

2) وذلك من خلال الحديث عن بعض الموضوعات التي أقحمها في كتاب المروج، كحديثه عن النفس البشرية والأرواح، والرؤيا وأسبابها، مروج الذهب، ح2، ص 165، ص 169، ص 173ص 187، ص 228.

3) المسعودي، مروج الذهب، ح1، ص 11. يؤكد ابن خلكان على هذه النظرة بقوله:" سلك مسلك جده ثابت في نظرته في الطب والفلسفة والهندسة، وجميع الصناعات الرياضية وله تصنيف في التاريخ، أحسن فيه" ، وفيات الأعيان، ح1، ص 414.

4) المسعودي، مروج الذهب، ح1، ص 11.

فصلاً من كتاب (البدء والتاريخ) للبحث عن المعرفة والعقل. ويتجلى فيه استهداف المؤلف النظر إلى الكون وتاريخه بمنظار الفلسفة، وهو يتبع في هذا الكتاب التنظيم المألوف من خليفة العالم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخه وصحابته، وتاريخ الدولتين الأموية والعباسية. ويؤكد في بحثه على بعض الموضوعات كصفات الخالق، والأهمية الثقافية والفلسفية للأديان القديمة، إلا أنه كما يقول روزنثال لم ينجح قط في إبداع صورة متماسكة للتاريخ باعتباره من وظائف العمليات العقلية[1].

ولعلّ النظرة الإسلامية إلى علوم الأوائل " الفلسفة والمنطق" هي أهم الأسباب في فشل مثل هذه المحاولات في إخضاع التاريخ للفلسفة، حيث كان الاشتغال بها تهمة تصل إلى التكفير والقتل[2].

ونتيجة لتطور الكتابة التاريخية من حيث الأسلوب والمحتوى، وتراكم المادة الخصبة، أصبح الاشتغال بالتاريخ هو النشاط الثقافي الأساسي لبعض العلماء دون غيره من العلوم.

وكان لحلول الطابع المدني بدل الطابع الديني للتاريخ أن أصبح ميداناً شارك فيه أهل الذمة وخاصة النصارى. وقد كان معظم هؤلاء أطباء وكتاب بلاط الخلفاء، الذي سهّل عليهم الإطلاع على مناجم المواد الأساسية الأولية للكتابة التاريخية.

ولا بد قبل الخروج من الحديث على اتجاهات الكتابة التاريخية في القرن الرابع من إضاءات نوجزها يمكن من خلالها فهم أكثر لتطور الكتابة التاريخية.

أ - كان التاريخ-كما أشرنا سابقاً- في القرون الثلاثة الأولى جزءاً من النشاط الثقافي العام للعلماء: المحدّثين والفقهاء واللغويين، كل منهم يبحث عن شواهد وأدلة لإثبات رأي فقهي أو لغوي. فكان تركيز علماء الدين على أقوال الرسول وسيرته للاعتماد عليها في التشريع وفي التنظيم وفي شؤون الحياة، واللغويون شاركوا في دراسة التاريخ لاحتياجات لغوية وركزوا على الشعر، وقد أكدت هذه الدراسات الصراع

1) روزنثال، علم التاريخ، ص 161.

2) انظر: ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص 147. أبو شامة، الذيل، ص 56.

الثقافي بين العرب والعجم بعد ظهور الحركة الشعوبية[1]. لكن منذ مطلع القرن الرابع الهجري، ونتيجة للتطورات الثقافية والحضارية التي شهدها العالم الإسلامي، أن اطلع العرب على ما لدى الشعوب الأخرى من تراث علمي وحضاري، ساهم في تقعيد النظام الإداري والاقتصادي في الدولة الإسلامية، لذلك ظهرت كتب جديدة تبحث في النظم ككتب الخراج والدواوين والوزارة.

ب- توطدت خطوط التاريخ في القرن الرابع في ثلاثة مسارات: تاريخ الأحداث (التاريخ السياسي)، وتاريخ الرجال (التراجم)، وتاريخ الأفكار والعلوم والنظم والمجتمع (التاريخ الحضاري).

جـ- وإذا كان مفهوم التاريخ قد انصبّ أول الأمر على التراجم وأخبار الرجال، وقد قلّ المعنى الديني بسبب اختصاصه أيضاً بحَملة الحديث، فإنه سرعان ما توسع عن هذا المفهوم منذ أواخر القرن الثالث ليحمل دون أن يتركه معنى الأخبار السياسية. ثم فرضت كتب التاريخ الحضاري نفسها تارة بوصفها تراجم لرجال العلوم المختلفة والآداب، وتارة بوصفها أخباراً عن نواح طريفة أو هامة من الحياة العامة، ولكن دون أن تحمل إلا في النادر عنوان التاريخ[2]. وسنتناولها تباعاً.

أ. التاريخ العالمي

بدأ المؤرخون بكتابة التواريخ العامة منذ منتصف القرن الثالث الهجري. وقد ضمنوا كتبهم تاريخ العرب وغير العرب. قام عملهم على التوفيق بين ما استمدوه من كتب السير والتأليف التاريخية، ثم سعوا لإدماج كل ذلك في رواية تاريخية متماسكة. وكتب بعض المؤرخين بإيجاز أو بإسهاب تاريخ العالم بادئين به منذ الخليقة، جاعلين ذلك مقدمة للتاريخ الإسلامي. وقد كتبت مقدمة هذه الكتب دون تمحيص أخبارها،

1) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ ، ص 43.

2) مصطفى، التاريخ العربي، ج1، ص 461.

لذلك تسربت الخرافات إليها، وصار من الصعب التمييز بين العناصر الخرافية في القضايا المتعلقة بتاريخ الأمم الأخرى من غير العرب[1].

وفي القرن الرابع نجد ظهور العنصر العقلي في التأليف التاريخي عند العرب، والرغبة في المعرفة لذاتها، واستقل علم التاريخ عن العلوم الأخرى الدينية، وازداد عدد المؤلفات في هذا الباب زيادة كبيرة حتى بلغت ألفاً وثلاثمائة كتاب[2].

انصبّ اهتمام مؤرخينا على كتابة التاريخ العربي الإسلامي، فلم يعالجوا تواريخ الشعوب المجاورة المعاصرة لهم من هنود وفرس وبيزنطيين وغيرهم إلا بقدر ما له علاقة بتاريخ العرب والإسلام، وكانت دراستهم لتواريخ هذه الأمم من زاوية علاقتها بتاريخنا، مع وجود بعض الحالات الاستثنائية، لوجود قلة من الرحالة ممن جابوا العالم المعروف، وكتبوا عنه، وعلى رأسهم المسعودي.

ظلت سلسلة التواريخ العامة (العالمية) مطردة من حيث انتهى الطبري، ففي القرن الرابع -موضوع الدراسة-وضع أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 346هـ /976م) كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) فكان مسوعة تجمع في مادتها بين الدراسة التاريخية والجغرافية متأثراً بسلفه اليعقوبي (ت 284هـ/897م). أما منهجيته في الكتابة، فإن المسعودي لم يلتزم بخط معين من الكتابة التاريخية، فجمع بين فكرة التاريخ العالمي والتاريخ على الموضوعات وعهود الخلفاء جاعلا كل ذلك على تعاقب السنين.

لذا يمكن تقسيم تاريخه من حيث المنهجية إلى قسمين:

أ- التاريخ العالمي ويغطي الجزء الأول من الكتاب.

ب-التاريخ على عهود الخلفاء وقد خصصه للخلفاء المسلمين من أبي بكر إلى خلافة المطيع العباسي[3] (ت 336هـ/966م).

---

1) المدخل إلى التاريخ، ص 284.

2) بيطار، العرب والوعي التاريخي، ص 143.

3) وسنتناول هذا القسم فيما بعد عند الحديث عن التاريخ على عهود الخلفاء.

يعبر (مروج الذهب) في جزءه الأول عن خلاصة وافية للتاريخ العالمي. راعى المسعودي فيه التسلسل التاريخي للفترات والحوادث. فهو يبدأ بالخليقة وخصص لها الباب الثالث من كتابه. ثم تاريخ الأنبياء، وقرن ذلك بتدوين أخبار الدول والحضارات القديمة. ولم يقصر حديثه على الحضارات التي ظهرت في بلاد العرب كالآشوريين والبابليين، بل كان أشمل، فتحدث عن حضارات الشرق: كالهنود والبلغار والخزرّ والصين، وفي بلاد الغرب: كاليونان والرومان والفرنجة.

تأثر المسعودي بأسلوب ومنهجية المؤرخ اليعقوبي، لكنه طوّر وأضاف إليها[1] من تجاربه وخبراته الكثير، فمزج الدراسات التاريخية بالجغرافية، وفتح آفاقاً جديدة في الدراسات الاجتماعية، واهتم بمعالم الحضارات المختلفة[2].

لزم المسعودي الطريقة الموضوعية في تنظيم مادة كتابه (مروج الذهب)، لكنه حرص على ترتيب هذه الموضوعات ترتيباً زمنياً أي على أساس التعاقب الزمني للشخصيات كالأنبياء والملوك وغيرهم. ثم تناول تاريخ الدول والأمم القديمة: كاليونان والرومان والفرس، ثم انتقل إلى تاريخ العرب قبل الإسلام، ومن بعد ذلك كله ولج إلى التاريخ الإسلامي. فالتاريخ القديم لم يبحثه لذاته، بل كمقدمة وتمهيد للتاريخ الإسلامي.

تأثر المسعودي بالبيئة الثقافية التي عاش فيها، تلك الثقافة التي تدعو إلى الانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى، فاتجه إلى التأليف الموسوعي الذي يمزج مختلف المعارف لخدمة التاريخ. هذه النظرة الجديدة التي تبناها المسعودي، ومن قبله وبصورة أقل وضوحاً كل من: الجاحظ (ت 255هـ/868م) واليعقوبي (ت 292هـ/903م) تجاوزت نظرة أهل الحديث في الكتابة التاريخية، فقد أدرك أصحاب النظرة الجديدة عزوف أهل الحديث عن استيعاب فكر الأمم الأخرى وجدل عقائدها وأديانها وتراثها، لذلك كان التجديد في النظرة للتاريخ، وهذا بدوره انعكس على المسعودي وغيره من

---

1) رغم التطورات التي أحدثها اليعقوبي في الكتابة التاريخية إلا أنه في كتابه التاريخ فصل التاريخ ن الجغرافيا.

2) الخربوطلي، المسعودي، ص 30.

المجددين في النظرة التاريخية، وذلك من خلال توظيف معارف جديدة غلبت عليها الصبغة الدنيوية: كالطب والفلك والجغرافيا والفلسفة وسواها.

لم يعتمد المسعودي على النقل كمصدر لمادة كتبه، بل نجده يقتفي سيرة رجال الحديث الذين تكبدوا كثيراً من المشقة والعناء في سبيل جمع الحديث ضمن منهج وصفي واضح يرتكز على الواقعية والتقريرية، ويعتمد الرحلة والمشاهدة والمشافهة وصولاً إلى الغاية التي فيها صحة المصدر وسلامة النقل، لذا نراه يجوب الأقطار[1]، ويتنقل في الأقاليم تحقيقاً لقفزة نوعية في كتابة التاريخ تعتمد على المعاينة[2]، وتسجيل المشاهد، وتأنف من الخط التقليدي في كتابه التاريخ[3]، ذلك الخط المرتكز على النقل من بطون الكتب والاكتفاء بالتبويب والترتيب. يقول المسعودي بعد أن يتحدث عن دوافع تأليف كتابه:" فإنا وجدنا مصنّفي الكتب في ذلك مجيداً ومقتصراً ومسهباً ومختصراً، ووجدنا الأخبار زائدة مع زيادة الأيام، حادثة مع حدوث الأزمات، وربما غلب البارع منها على الفطن الذكي، ولكل واحد قسط يخصه بمقدار عنايته، ولكل إقليم عجائب يقتصر على عملها أهله، وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه، كمن قسم عمره على قطع القفار، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخرج كل دقيق من معدنته وإثارة كل نفيس من مكمنه" [4].

لذا نرى المسعودي مؤرخاً من نموذج جديد يحاول أن يكتب التاريخ بطريقة جديدة تبتعد عن الطريقة التي اتبعها أسلافه من المؤرخين التي تسرد التاريخ في نمط يعتمد الزمن سنين متصلة، وتسوق الحوادث من غير اتصال، فجاء كتابه (مروج الذهب) سفراً جديداً يخرج عن المألوف، ويسوق الحوادث باعتبار الأمم والدول، وضمن فصول

---

1) مروج الذهب، ج1، ص 4.

2) انظر على سبيل المثال: مروج الذهب، ج1، ص 45، ص 49.

3) ذهب روزنثال إلى أن ظهور مؤرخين جغرافيين أمثال المسعودي لم يكن وليد الصدفة وإنما هو ناجم عن التأثر بالأوضاع الفكرية بعد انتشار حركة الترجمة لعلوم الإغريق، وخاصة الجغرافية الإغريقية والرومانية، فآثار في المسلمين الرغبة للقيام بأنفسهم بالبحث الشخصي وتوسيع أفقهم السياسي بالإطلاع على الشعوب الأجنبية. علم التاريخ، ص 154.

4) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 6.

مخصصة تلمح فيها تسجيل للمشاهدات المتنوعة التي تتوزع بين التاريخ والجغرافيا وبين وصف لمختلف الجوانب الحضارية لتلك الأمم.

تحدث المسعودي في مقدمة كتابه (مروج الذهب) عن بعض المؤرخين الذي تأثر بهم، فتحدث عن قيمة كتاب (المعارف) لابن قتيبة[1]، ثم أشاد بكتاب الطبري:" فقد جمع أنواع الأخبار، وحوى فنون الآثار، واشتمل على صنوف العلم، وهو كتاب تكثر فائدته، وتنفع عائدته" [2]. أما كتاب (الأوراق) للصولي:" فإنه ذكر غرائب لم تقع لغيره، وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه" [3]. وساق عدداً كبيراً من الكتب التي اطلع عليها واستفاد منها في كتابه[4]، ويختم الحديث عن مصادره بقوله " ولم نذكر من كتب التواريخ والأخبار والسير والآثار ألا وقد أوردناها في هذا الكتاب مفصلاً، أو ذكرناه مجملا، أو أشرنا إليه بضروب من الإشارات، أو لوحنا إليه بفحوى من العبارات" [5].

حاول المسعودي إظهار أهمية التاريخ بين العلوم، فهو المستودع الثري الذي تتكئ عليه العلوم الأخرى" إذ كان كل علم فمن الأخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه منها يستثار، والفصاحة منه تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس، وآداب سياسة الملك والحرب منها تلتمس، وكل غريبة منها تعرف، وكل عجيبة منها تستطرف، وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل، ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، ويأنس بمكانه وينزع إليه الخاصي والعامي، ويميل إلى روايته العربي والعجمي. وبعد فإنه يوصل به كل كلام، ويتزين به في كل مقام، ويتجمل به في كل مشهد، ويحتاج إليه في كل محفل. ففضيلة علم الأخبار بينة على كل علم وشرف، منزلته صحيح في كل فهم، ولا يصير على علمه ويتقن ما فيه وإيراده

---

1) مروج الذهب، ج1، ص هـ مقدمة المحقق.
2) مروج الذهب، ج1، ص 8-9.
3) مروج الذهب، ج1، ص 9.
4) مروج الذهب، ج1، ص 9.
5) مروج الذهب، ج1، ص 11.

وإصداره إلا إنسان: قد تجرد للعلم وفهم معناه، وذاق ثمرته، واستشعر من غره، ونال من سروره" [1].

أشار المسعودي في مقدمة مروج الذهب إلى دوافعه لتصنيف الكتاب. ويعتبر الدافع الشخصي والمتمثل في البحث عن مكانة له بين كبار المؤرخين العامل الرئيس وراء هذا الرغبة، يشير المسعودي إلى هذا العمل بشكل صريح في مقدمة للكتاب بقوله:" محبة احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن نبقي للعالم ذكراً محموداً، وعلماً منظوماً عتيداً" [2]. وسبب آخر أشار إليه المسعودي تلميحاً دفعه لوضع الكتاب، بأنه طالع كتب المتقدمين من المؤرخين فأعجبه بعضها: كمؤلفات الطبري وقدامة والصّولي[3]، وأخرى انتقدها أمثال مصنفات ثابت بن سنان[4]. فجاء كتابه جامعاً لكل حقول المعرفة:" ولم نترك نوعاً من العلوم ولا فن من الأخبار، ولا طريقة من الآثار إلا ما اشتهر مصنّفوها، وعرف مؤلفوها، ولم تتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الأحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم" [5].

وأسلوب المسعودي في عرضه للمادة التاريخية يميل إلى الإيجاز والابتعاد عن التفاصيل التي تجلب الملل والسأم للقارئ. فهو يشير إلى أن كتبه التاريخية سلسلة متصلة، كل واحد منها يعالج فترة تاريخية أو موضوعات خاصة:" فإنا صنّفنا كتابنا في أخبار الزمان، وقدمنا فيه في هيئة الأرض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها، وجبالها وأنهارها، وبدائع معادنها، وذكر شأن المبدأ، وأصل النسل، وتباين الأوطان..." [6]. فكتاب (أخبار الزمان) هو جغرافية تاريخية للعالم وأقاليمه. ويأتي (الكتاب الأوسط) "

---

1) مروج الذهب، ج2 ص272.
2) مروج الذهب، ج1، ص 6.
3) مروج الذهب، ج1، ص 9.
4) مروج الذهب، ج1، ص 11.
5) مروج الذهب، ج1، ص 11.
6) مروج الذهب، ج1، ص 3.

في الأخبار عن التاريخ وما اندرج في السنين الماضية من لدن البدء إلى الوقت الذي عنده انتهى كتابنا الأعظم وما تلاه من الكتاب الأوسط" (1).

يحرص المسعودي -كعادته الى التنبيه بين الفينة والأخرى- إلى الأسباب التي تدفعه إلى الاختصار وعدم الإطالة:" ولولا أن النفوس إلى الطارق أحنّ، وبالنوادر أشفق، وإلى حصار الأحاديث أميل وبها أكلف، لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين ما لم نذكره في هذا الكتاب، ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحاً بالقول دون الإيضاح والشرح، إذ كان معولنا في جميع ذلك على ما سلف من كتبنا، وتقدم من تصنيفنا" [2].

ويضيف:" وقد ذكرنا في هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب، على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والإيجاز، لمعاً سيعرفها من تأمل، وينسبه بها من رآها. ولم نعرض في كتابنا هذا الكثير من الأخبار، بل لوحنا بالقول بها تخوفاً من الإطالة ووقوع الملل، إذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمل النية على ما ليس في طاقتها، ويسوم النفس ما ليس في جيلتها، وإنما الألفاظ على قدر المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها" [3]، لذا نجده مهتماً بالاختصار في مادة كتابه (المروج) منبهاً إلى ذلك حتى ينفي عن كتابه الخلل كقوله:" قد ذكرنا فيما سلف من كتابنا"[4]، أو سنذكر جمل من أخباره في في موضعه" [5]. أو أنه تناول ذلك الموضوع في كتب أخرى يرشد للقارىء إليها، ولا داعي للإعادة، وخاصة في حديثه عن الفرق والمذاهب الإسلامية أو بعض القضايا العقائدية" وأفردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب"[6]

1) مروج الذهب، ج1، ص 4.
2) مروج الذهب، ج2، ص 287.
3) مروج الذهب، ج2، ص 287.
4) انظر: مروج الذهب، ج2، ص 85، ص 88، ص 95، ص 114، ص 122، ص 143، ص 250، ص 285، ص 300 . ج3، ص 167، ص 204، ص 256. ج4، ص 263، ص 233.
5) مروج الذهب، ج2، ص 136. ج3، ص 213، ص 270. ج4، ص 192.
6) مروج الذهب، ج3، ص 254. ج3، ص 254، ص 270، ص 359. ج4، ص 192.

يمثل كتاب (مروج الذهب) تتويجاً وخلاصة لأعماله، إلا أنه جاء بمعلومات فريدة لم تذكر فيما تقدم من كتبه:" وأرينا إيجاز ما بسطناه، واختصار ما وسطناه، في كتاب لطيف، نودعه لمع ما في ذينك الكتابين وغير ذلك من أنواع العلوم، وأخبار الأمم الماضية، والأعصار الخالية، مما لم يتقدم ذكره فيهما" [1].

والمسعودي في معالجاته لبعض القضايا الخلافية يحرص على إيراد مختلف الآراء حول تلك القضية ثم يدلي في النهاية برأيه أو يرجح أحدها. مثال ذلك عند حديثه عن الصفات الوراثية للإنسان، فبعد أن يورد آراء مختلفة حول القضية يذكر رأيه مدعماً بالآيات القرآنية:" والذي يقضي على سائر ما تقدم وصفه، وينقطع علم العقول عنده هو ما أخبره به البارئ عز وجل -في كتابه قوله تعالى :" هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم" [2]. وكذلك حول نسب الرسول صلى الله عليه وسلم[3]. ويتكرر ذلك عند حديثه عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم[4].

يرى كراتشكوفسكي إن المسعودي يحتل المكانة الأولى بين أكثر الكتاب الجغرافيين أصالة في القرن الرابع الهجري[5]. ويضيف إن منهج المسعودي امتاز بالتنوع والموضوعية والحياد والتحليل والاعتماد على المشاهدة. فهو يسأل باهتمام ممثلي مختلف العقائد، ويفحص بانتباه فائق كتبهم، ويتعرف جيداً على آدابهم، فكان موقفه محايداً إزاء اليهود والنصارى والصّابئة[6].

تميز المسعودي عن غيره من المؤرخين بما نسميه اليوم العقلية التاريخية والحاسة التاريخية، وظهرت عقليته التاريخية من خلال اهتمامه بالتطور الزمني وربط بين الأحداث التاريخية، وعقد كثير من المقارنات، فهو مثلاً يشبه ضعف الدولة العباسية بدولة الإسكندر بعد وفاته. أما الحاسة التاريخية فقد اكتسبها من رحلاته الواسعة إلى

---

1) مروج الذهب، ج1، ص 4.
2) سورة آل عمران، الآية 6. مروج الذهب 230/2.
3) مروج الذهب، ج2، ص 288-289.
4) مروج الذهب، ج2، ص 305.
5) تاريخ الأدب الجغرافي، ص 77.
(6) تاريخ الأدب الجغرافي، ص 183.

بلاد مختلفة. ولما كان هدفه من الرحلات الواسعة إلى بلاد مختلفة البحث والاستقصاء، فقد اهتم بأن ينظر إلى كل ما يراه بعين النقد والاختبار والتحليل، والموازنة بين ما شاهده وبين ما سمعه من قبل أو قرأه في الكتب[1].

يقول رينو (Reinuad): لا يوجد موضوع في التاريخ والجغرافية لم يتناوله المسعودي في كتابيه، وفي كل مكان رحل إليه، مما جعل كتبه مصادر أساسية لأي بحث[2].

ثم أن المسعودي كتب كتاباً مقتضباً هو كتاب (التنبيه والإشراف) أشار فيه بكثرة إلى بعض كتبه الأخرى، مما يدل بجلاء على أن غرضه من تلك السلسلة هو بحث ظواهر العالم المادية كافة ضمن نطاق التاريخ[3].

جمع المسعودي في التنبيه ألواناً متعددة متنوعة من الثقافات والعلوم، فقد لخص فيه آراء الفلاسفة والعلاقة بين كل من الحيوان والنبات والمعدن. ونجد في الكتاب أيضاً صوراً تاريخية إسلامية، وصوراً جغرافية ووصف لكثير من البلاد والأقاليم. وقد انتهى من كتابه سنة 345هـ[4]. ذكر المسعودي السبب في تأليفه، أنه أراد أن يودعه لمعاً من ذكر الأفلاك وهيئاتها، والنجوم والعناصر وتركيباتها، وكيفية أفعالها...وذكر الأقاليم السبعة وما كان من الحوادث العظيمة إلى وقتنا هذا، وهو سنة 345هـ من خلافة المطيع[5].

ب. التاريخ الحولي

عند الحديث عن الكتابة التاريخية على المنهج الحولي في العراق، فإن أول ما يطالعنا عائلة (غير مسلمة) اشتهرت بالثقافة والعلم، مقرونة بمنزلة هامة في الجهاز الإداري للدولة العباسية، فنبغ من هذه العائلة عدد من الأطباء الذين خدموا الخلفاء

1) عويدي، الارتباط بين الدراسات التاريخية والجغرافية، ص 174.
2) Reinuadm, Arab Geography, P 42.
3) روزنثال، علم التاريخ، ص 187.
4) الخربوطلي، المسعودي، ص 38.
5) التنبيه، ص 217.

العباسيين ورجال دولتهم. ونقصد بهذه العائلة آل الصّابئ[1]. لقد أعطاهم عملهم القريب من الخلفاء والأمراء، فرصة نادرة لم تتح لغيرهم في رؤية ومراقبة ما يدور في خفايا القصور والدواوين.

توفر لأفراد هذه العائلة مخزوناً ثراً من المعلومات والوثائق والسجلات، دفعتهم كما دفعت غيرهم من رجال الدولة وخاصة الكُتاب لتدوين مشاهداتهم وذكرياتهم، فظهر منهم مؤرخين لا يمكن إغفالهم عند الحديث عن الكتابة التاريخية. بل إن كتاباتهم غطت فترات تاريخية مهمة من عمر الخلافة الإسلامية وكانت مصدراً لمن كتب فيما بعد عن تلك الفترات، حتى أن مصطفى جواد عندما يتحدث عن تاريخ هلال الصّابئ يقول:" إن أكثر تاريخ هلال الصّابئ والذي لابنه غرس النعمة[2]، مدمج في تاريخ مرآة الزمان لسبط بن الجوزي" [3].

أول من يطالعنا من مؤرخي أسرة الصّابئ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة (ت365هـ/975م) كان مؤرخاً مشهوراً، وعلامة في الطب، نال مرتبة عالية عند عضد الدولة البويهي، فكان يقرأ عليه كتب أبقراط وجالينوس[4]. كما كانت له اهتمامات

1) أطلق هذا الاسم على فرقتين متميزتين تماماً هما: المنديا أو الصبوة، وهي فرقة نصرانية، تمارس شعيرة التعميد في العراق (نصارى يومنا المعمدان) . والثانية: صابئة حران، وهي فرقة وثنية، بقيت أمداً طويلاً في ظل الإسلام، ولها شأنها بعد أن خرج منها عدد من العلماء. وقد أفرد الشهرستاني فصلاً مطولاً في الحديث عنهم، وهو يجعلهم مع الروحانيين، وخاصة روحاني الكواكب الكبرى. وكان الصّابئة أول الأمر مبعثرين في شمال العراق ومركزهم حران يمارسون شعائرهم بالسريانية. وكان أول وجود لهم في بغداد في عهد الخليفة المعتضد (ت 289هـ) حيث هاجر أحد الصّابئة من آل قرة من حران إلى بغداد ليعمل في منجمي الخليفة وهو الذي أدخل رئاسة الصّابئة إلى أرض العراق، فثبت أموالهم وعلت مراتبهم وبرعوا في الطب والعلوم والفلك والأدب والتاريخ. للمزيد، انظر: النديم، الفهرست، ص 383. الشهرستاني، الملل، ج2، ص 305. المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 253، ص 265. ومقال كاراده فو، في دائرة المعارف الإسلامية فقد حشد فيه مصادر كثيرة حول الصّابئة.

2) يقصد تاريخ ابنه محمد بن هلال المعروف بغرس النعمة (ت 480هـ) والذي أكمل فيه تاريخ والده.

3) مقدمة رسوم دار الخلافة، ص 17-18.

4) العزاوي، التاريخ، ص 51.

بالتاريخ وتدوينه، فصنّف كتاباً مفرداً في (أخبار الشّام ومصر) في مجلد[1]، وكتاب (وفاءات من توفي في كل سنة) من سنة ثلاثمائة إلى السنّة التي مات فيها[2]. ومن أشهر مؤلفات ثابت بن سنان كتابه (التاريخ) الذي وضعه على السنين.

لم يصلنا تاريخ ثابت بن سنان كاملاً، وكل ما وصلنا وصفه وبعض النقول منه[3]. ولعل أكبر قطعة تصلنا منه (أخبار القرامطة)[4]، والتي تغطي الفترة (278-339هـ). وتاريخ ثابت تاريخ على السنين، يبدأ حديثه عن كل سنة جديدة بقوله:" وفي سنة كذا"[5]. ثم يذكر الأحداث، وأحياناً يحدد الحدث بالشهر الذي وقع فيه، وفي حالات يحدد اليوم من الشهر[6]. يقول المسعودي في معرض نقده لتاريخ ثابت:" ...ثم خرج إلى أخبار يزعم أنها أنها صحت عنده ولم يشاهدها، ووصل بذلك بأخبار المعتضد بالله، وذكر صحبته إياه، وأيامه السالفة معه. ثم ترقّى إلى خليفة خليفة في التصنيف"[7].

وتاريخ ثابت هو بداية سلسلة من التواريخ كتبت من قبل أفراد الصّابئ. وكلها تعتبر ذيولاً على تاريخ الطبري. وهي في حدّ ذاتها على غاية من الأهمية تغطي فترات انفردت تقريباً في رواية أخبار أحداثها. ثم أن خدمة آل الصّابئ للخلفاء العباسيين ورجالاتهم وشخصيات دولتهم قد أعطى معلوماتهم ورواياتهم التاريخية ميزة خاصة وقيمة عالية[8].
عالية[8]. ومفيد هنا أن ننقل ما كتبه القفطي في هذا المجال:" إذا أردت التاريخ مفصلاً فعليك

1) ياقوت، معجم الأدباء، (ط الكتب العلمية) ، ج2، ص 365.
2) الجامع في أخبار القرامطة، ص45.
3) انظر على سبيل المثال:مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص 99، ص 231، ص 238، ص 268، ص 375، ص 387، ج2، ص 72، ج14، ص 151. سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (الفترة البويهية) ، ص 100، ص 103، ص 130، ص 156، ص 168.
4) هذه القطعة نسخة فريدة ابتاعها المستشرق برنارد لويس من القاهرة قبيل الحرب العالمية الثانية، وقد أعارها لويس إلى طالبه سهيل زكار الذي قام بدراستها وتحقيقها. انظر: الجامع في أخبار القرامطة، جمعها سهيل زكار، ج1، ص 159.
5) انظر: الجامع في أخبار القرامطة، ج1، ص 197، ص 200.
6) انظر: الجامع في أخبار القرامطة، ج1، ص 200، ص 202.
7) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 11.
8) زكار، الجامع في أخبار القرامطة ، ج1، ص 161.

بكتاب أبي جعفر الطبري -رضي الله عنه-من أول العالم إلى سنة تسع وثلاثمائة، ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية، وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده، وهما في الانتهاء قريبا المدة، والطبري أزيد منهما قليلاً، ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فإنه يداخل الطبري في بعض السنين...ثم كتاب هلال بن المُحسّن إبراهيم الصّابئ، فإنه داخل كتاب خاله ثابت، وزاد عليه إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة، ولم يتعرض أحد في مدته إلى ما تعرض له من أحكام الأمور والإطلاع على أسرار الدول، وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأمه كاتب الإنشاء، ويعلم الوقائع وتولى هو الإنشاء أيضاً، فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه" [1].

اعتمد ثابت في تدوين أخباره على مصادر، لكنه لم يشر إليها صراحة في رواياته، وإنما أشار إلى اعتماده على تلك المصادر في مقدمة " أخبار القرامطة" ، يقول ثابت:" وبعد فهذا كتاب توخيت في تدبيجه أخبار طائفة مما مضى من البشر تدعى القرامطة، وأوضحت فيها ما كانوا عليها من النحلة والعقيدة مما كانوا عليه إلى زمن انقراضهم واضمحلال أمرهم وهلاكهم، وقطع دابرهم، معتمداً في ذلك على آراء معاصريهم من المؤرخين الحجّة الثقة" [2].

يمكن تقسيم الروايات التي وصلتنا من تاريخ ثابت من حيث مصادره إلى قسمين: القسم الأول وردت معظم رواياته في تاريخ الطبري[3]، والقسم الثاني تمت أحداث رواياته رواياته بعد وفاة الطبري، فقام ثابت بتدوينها. وكثير من أخبار هذا القسم مما عاصره ثابت[4].

يبدأ تاريخ ثابت بن سنان بحوادث سنة (295هـ) وينتهي بأحداث سنة (363هـ) على ما ذكره القفطي:" ثم يتلو ذلك كتاب ثابت، فإنه يداخل الطبري في بعض السنين، ويبلغ إلى بعض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة" [5]. ويؤكد ذلك ابن أبي

---

1) القفطي، أخبار الحكماء، ص 111.
2) الجامع في أخبار القرامطة، ج1، ص 185.
3) وينتهي هذا القسم بأحداث سنة 302هـ وهي السنّة التي ينتهي فيها تاريخ الطبري.
4) سهيل زكار، الجامع في أخبار القرامطة، ج1، ص 159.
5) القفطي، أخبار الحكماء، ص 110، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 290.

أصيبعة بقوله:" كتاب التاريخ ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في زمانه وذلك في سنة خمس وتسعين ومائتين إلى حين وفاته ووجدته بخطه، وقد آبان فيه عن فضل" [1].

كما أفسح ثابت بن سنان مجالاً للحديث عن بعض الجوانب الحضارية في تاريخه، فقد نقل عنه ابن أبي أصيبعة أمر الخليفة المقتدر لوالده سنان الصّابئ بتنظيم العمل الطبي في بغداد بعد انتشار الأخطاء الطبية. يقول ثابت إنه لأجل تحقيق هذا الهدف قام والده بإجراء امتحان لكل ممارس للطب، فبلغ عدد من اجتاز الفحص 860 شخص في جانبي بغداد[2].

كان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون (ت 384هـ/994م) ثاني أفراد أسرة آل الصّابئ الذين اشتهروا بالعلم والأدب. حتى وصفه الثعالبي بقوله:[3]
" أوحد العراق في البلاغة، ومن به تثنّى الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة والصناعة" . وقد أهلته هذه القدرات ليتولى ديوان الإنشاء للخليفة الطائع، ثم ديوان الرسائل لعزّ الدولة بختيار[4].

حافظ أبو إسحاق على ديانته وديانة آبائه، رغم المغريات التي عرضت عليه من قبل الخلفاء والأمراء، حتى أن عزّ الدولة بختيار عرض عليه الوزارة مقابل إسلامه " فلم يهده الله تعالى إلى الإسلام كما هداه لمحاسن الكلام" [5]. ومع ذلك فقد أحسن العشرة للمسلمين، يصوم رمضان، ويحفظ القرآن، ويستخدم آياته في رسائله وكتاباته[6].

بقي أبو إسحاق يتمتع بالمنزلة الرفيعة حتى إذا دخل عضد الدولة بغداد بعد تغلبه على ابن عمه عزّ الدولة، فكان في جملة من قبض عليهم عضد الدولة. كان السبب في غضب الأمير عضد الدولة عليه أنه كانت تصدر رسائل وكتب عن عزّ الدولة من إنشاء أبي إسحاق " تؤلمه ويسرها في نفسه " . فلما تملّك عضد الدولة الأمر، سجنه وصادر

1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 280-281.
2) ياقوت، معجم الأدباء، (ط الكتب العلمية) ، ج4، ص 228.
3) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص 287.
4) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص 289.
5) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص 288. ياقوت، معجم الأدباء(ط الكتب العلمية) ، ج1، ص 182.
6) ياقوت، معجم الأدباء، (ط الكتب العلمية) ، ج1، ص 182.

أمواله وثرواته[1]. وبعد وساطات طويلة، قبل عضد الدولة بالإفراج عنه، مقابل أن يضع كتاباً في مآثر أهله وتاريخهم[2]، فوضع أبو إسحاق كتاباً اسماه (التاجي في أخبار بني بويه)، نسبة إلى لقب عضد الدولة " تاج الملة" [3].

ورغم ذلك فإن الوشاة أفسدوا عليه أمره، فقد دخل عليه أحدهم وهو منهمك في عمله، فسأله عما يعمل، فقال:" أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألفقها" [4]. فلما سمع عضد الدولة بذلك زاد حنقه عليه، وأمر بإلقائه بين أرجل الفيلة، ولم يبق على حياته إلا تدخل بعض خواص عضد الدولة، الذين شفعوا به على أن تصادر أمواله ويُسجن. بقي إبراهيم في السجن إلى أن خلف صمصام الدولة والدة عضد الدولة، فأطلق سراحه[5].

اقتصر جهد إبراهيم على وضع كتاب (التاجي) والذي لا يمكن اعتبار صاحبه من المؤرخين المشهورين. فالكتاب جاء استجابة لرغبة صاحب السلطة والنفوذ، وضعه مجبراً للتخلص من الأزمة التي كان يعيشها، فجاءت رواياته منتقاة لتلبي رغبة سيده. فحاول تأصيل نسب آل بويه، مرجعاً نسبهم إلى ملوك الفرس الساسانيين، متصل بالملك بهرام جور بن يزد جرد.

والكتاب رغم ما أورده من معلومات مفيدة في تاريخ الأسرة البويهية، إلا أنه يبقى موضعا للانتقاد، خاصة في تناوله لنسب البويهيين. وأول من تصدى لكتاب التاجي المؤرخ البيروني (ت 440هـ/1048م) قال في الرد على ما جاء به إبراهيم الصّابئ:" وليست تلك الأمم معروفة بحفظ الأنساب، ولا مذكورة بتخليد ذلك، ولا بأنها كانت تعرف

1) يقول الثعالبي في سبب ذلك:" كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبي إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار وهو:" وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق، والمعالي السوابق التي تلزم لك دان وقاص، وعام وخاص، أن يعرف له حق ما كرم به منها، ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها، فإنه أنكر عليه هذه اللفظة أشد إنكار" . اليتيمة، ج2، ص 291.

2) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ، ج1، ص 182.

3) العزاوي، التاريخ، ص 110.

4) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ، ج1، ص 182.

5) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص 291. ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ، ج1، ص 182.

ذلك منهم قبل انتقال الدولة إليهم. وقلّ ما تُحفظ الأنساب إذا طال الزمان وامتدت الأيام"[1]. وقد اعترف الصّابئ ببطلان ما كتبه في نسب البويهيين " أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألفقها" [2].

من المعروف أن كتاب (التاجي) مفقود، ولم يصلنا منه إلا قطعة صغيرة، التي اختارها مجهول تحت اسم (المنتزع من كتاب التاجي) [3]. تتكون هذه القطعة من أربعة فصول كان الأول للمقدمة، والثاني في مساكن الديلم والجيل ومفاخرهم، وبحث الفصل الثالث في إسلام الديلم والجيل، والرابع في خبر أبي جعفر مكي بن نعمان الديلمي الساجي.

في دراسته عن المؤرخين المسلمين، ذهب مرجليوث إلى أن معظم كتاب (التاجي) مدمج في (تجارب الأمم) لمسكويه[4]، معتمداً في ذلك على قول للروذراوري الذي قال:" ووجدنا آخره موافقاً لآخر كتاب تجارب الأمم، حتى أن بعض الألفاظ تتشابه في خاتمتها، وانتهى القولان في التاريخ بهما إلى أمد واحد" [5]. والذي يتصفح كتاب مسكويه (تجارب الأمم) يجده يشير دائماً إلى رواته، وإذا كان فعلاً قد اعتمد على (التاجي) فما الذي حدا به إلى عدم ذكر مؤلفه ضمن رواته العديدين والمتناثرين في صفحات كتابه[6].

كذلك ذكر مرجليوث أن بعض قطع منه (يقصد التاجي) وردت في (اليتيمة) للثعالبي. ولكن عند قراءة النصوص التي أوردها الثعالبي لا تخرج عن نطاق رسائله

1) البيروني، الآثار الباقية، ص 39-40.
2) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ج1، ص 182.
3) حققه ونشره محمد حسين الزبيدي، عن وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1977.
4) مرجليوث، دراسات عن المؤرخين، ص 25.
5) الرواذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج3، ص 23.
6) العزاوي، التاريخ، ص 116.

وشعره[1]، ولا يمثل فيها المعاني التاريخية، ولا تتماثل والنصوص التي وردت في (المنتزع من كتاب التاجي)[2].

وكان أبو الحسين هلال[3] بن المُحسّن بن إبراهيم (359-448هـ/969-1056م) ثالث أفراد عائلة الصّابئ التي اشتهرت بالكتابة التاريخية، إضافة إلى إتقان الكتابة والأدب ومعرفة بالطب والهندسة. فقد عاش هلال في كنف جده أبي إسحاق إبراهيم الصّابئ الذي كان يتمتع بمكانة رفيعة في السلّم الإداري في ظل آل بويه بتوليه ديوان الرسائل لمعزّ الدولة ثم عزّ الدولة بختيار، فنال هلال فرصة لم تتح لغيره من أبناء جيله، فأتقن فنون الكتابة وأصول البلاغة التي كانت من المؤهلات المطلوبة لمن يرنو للعمل في الدواوين، فكان لذلك أثره في عمله في ديوان الإنشاء، ولم يتجاوز من العمر عشرين عاماً. وأتيح له أن يطلع على شؤون دار الخلافة ورسومها وأسرارها وخفاياها وأحوال ساكنيها، وأن يطلع أيضاً على أحوال وزراء عصره، وأن يرى من الوثائق الرسمية التي وفرت له مادة غنية استغلها أحسن استغلال في التأليف. فضمن كتابيه: (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء)[4] و(رسوم دار الخلافة) خلاصة تجاربه.

وأهّلته تجاربه أيضاً أن يؤلف في التاريخ العام كتاباً جعله ذيلاً على تاريخ خاله ثابت بن سنان، بلغ به إلى سنة (447هـ/1055م) ولئن ضاع اليوم كتاب هلال في التاريخ ولم يبق منه إلا جزءاً[5] من أربعين[6]، إلا أنه بقيت لنا فيه وفي مؤلفه شهادة القفطي إذ يقول:"

---

1) فقد ترك في جملة كتبه (الرسائل) وهي نحو ألف ورقة وهي تقسم على أبواب في المراسلات، وقد قام بتحقيقها محمد عبد العال لنيل درجة الدكتوراه، جامعة القاهرة، عام 1977 تحت عنوان (المختار من رسائل الصّابئ) ، وله ديوان شعر. ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ، ج1، ص 182.

2) العزاوي، التاريخ، ص 116.

3) ينظر: ترجمته في مقدمة رسوم دار الخلافة (ص 7، ص 39، وفيها ذكر مفصل لمراجع ترجمة هلال وأخباره في أكثر من أربع صفحات مرتبة على السياق الزمني لوفيات مؤلفيها.

4) انظر: تفاصيل ذلك عند الحديث عن هذا الكتاب مفصلاً لاحقاً في كتب تراجم الوزراء.

5) وهو الجزء الثامن منه، وهو قطعة صغيرة تشمل حوادث سنة 389- إلى سنة 393هـ وقد نشرها آمدروز أولا ملحقا (بتحفة الوزراء) ، ثم ملحقاً (بتجارب الأمم) لمسكويه.

6) أشار إلى ذلك السخاوي في الإعلان له " تاريخاً في أربعين مجلداً" ، ص 682.

لم يتعرض أحد في مدته إلى ما تعرض له من أحكام الأمور، والإطلاع على أسرار الدول، وذلك أنه أخذ ذلك عن جده، لأنه كاتب الإنشاء ويعلم الوقائع، وتولى هو ديوان الإنشاء أيضاً، فاستعان هو بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه" [1].

أوصى هلال قبيل وفاته ابنه محمد المعروف بغرس النعمة بمتابعة تاريخه، وتأليف صلة لكتابه[2].

ولعل أهم حدث في حياة هلال قصة إسلامه، فهو أول من أسلم من آل زهرون، وكان أجداده يغرون بالوزارة إن هم أسلموا فلا يستجيبون. وكان إعلان إسلامه عام (403هـ/1012م) [3].

عرف هلال بالصدق والأمانة، وشهد له بذلك معاصره الخطيب البغدادي في تاريخه فقال:" كتبنا عنه، وكان ثقة صدوقاً" [4].

سار هلال بن المُحسّن في تاريخه على نهج جده ثابت بن سنان، فكان المنهج الحولي وترتيب الأحداث على السنين الهيكل العام للكتاب، فعرض الأحداث مستخدماً ألفاظاً معتادة في هذا المنهج " في سنة كذا" . ثم يبدأ بتناول الأحداث مرتبة على الشهور و الأيام. وتخلل سرد الأحداث الإشارة إلى وفاة بعض كبار العلماء والأعيان والأمراء وكبار رجال الدولة[5].

---

1) القفطي، أخبار الحكماء، ص 111.

2) يقول غرس النعمة في خطبة تاريخه:" وبعد، فكان والدي أوصى إلي لما أحس بقدوم الوفاة، ويئس من أيام الحياة، ولمعت له لوامع المنية، وقرعت سمعه قوارع البلية، رغبة في زيادة الذكر ونمائه وانتشاره وبقائه، بصلة كتاب التاريخ الذي ألفه إلى آخر سنة 447هـ" . مقدمة رسوم دار الخلافة، ص 17-18، نقلاً عن سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، مخطوط.

3) انظر: تفاصيل قصة إسلامه عند ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص 177-179.

4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص 77.

5) هلال، تاريخ، ص 345، ص 348، ص 349، ص 401.

من الإضافات التي أدخلها هلال في هيكل الترجمة ذكر بعض الصفات الخُلقية لصاحب الترجمة، نحو قوله في ترجمة فخر الملك محمد بن علي بن بويه (ت 407هـ/1016م):" كان طلق الوجه، حلو اللفظ، كثير البشر، واسع الصدر" [1].

ورغم تركيز هلال بن المُحسّن في تاريخه على أحداث العراق، إلا أنه تعرض لبعض الأحداث السياسية في بلاد الشّام كحملة الدمستق على بلاد ربيعة ونصيبين، مفصلاً في الجرائم التي ارتكبها بعد دخوله تلك البلاد[2]. كما تناول دخول المعز لدين الله الفاطمي لمصر عام (362هـ/972م) [3]. وحرص هلال في نهاية عرض أحداث العام على ذكر أمراء الحج في تلك السنّة[4].

ومن خلال القطعة التي وصلتنا من تاريخه، ومن الروايات التي نقلها عنه بعض المؤرخين وخاصة سبط بن الجوزي، لم نلحظ من هلال اهتماماً بالجوانب الحضارية أو الاقتصادية، إلا ما له علاقة في الأحداث السياسية كحديثه عن ارتفاع الأسعار في بغداد عام (392هـ/1001م) بسبب الفيضانات التي أغرقت الأراضي الزراعية في سواد الأنبار حتى المُحوّل[5].

وكانت لهلال اهتمامات فلكية، فحرص على إيراد بعض الأخبار المتعلقة بالكواكب والنجوم[6].

أما أسلوب هلال في عرض تاريخه، فهو يميل إلى الاختصار في المواضع التي تحتاج إليه، منبهاً إلى سببه بقوله:" وقد ذكرنا" [7]. وفي الحالات التي يكون الاسترسال والتفصيل مفيداً، يشير إلى ذلك بقوله:" شرح الحال في ذلك" [8].

---

1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (الفترة البويهية) نقلاً عن تاريخ هلال بن المُحسّن، ص 303
2) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص 176 (نقلاً عن تاريخ هلال) .
3) عن ذلك،انظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ص176 ص 179 (نقلاً عن تاريخ هلال) . وانظر: كذلك، ص 240 ص 311.
4) هلال، تاريخ، ص 340، ص 374، ص 409.
5) تاريخ هلال، ص 418-419.
6) تاريخ هلال، ص 335، ص 447.
7) تاريخ هلال، ص 389، ص 393، ص 410.
8) تاريخ هلال، ص 224، ص 295، ص 348، ص 398، ص 428.

اعتمد هلال في تصنيف تاريخه على ثلاثة أنواع من المصادر:

1. الروايات الشفوية التي اعتمدها كمصدر للأحداث التي سبقته ولم يعاصرها[1].

2. الوثائق والكتب الرسمية التي حصل عليها بحكم عمله في ديوان الإنشاء، فأورد وثائق مهمة جداً لم نجد لها نظيراً في غيره من المصادر التاريخية، منها ثُبت فيه تفاصيل الثروة التي خلّفها الأمير فخر الدولة علي بن بويه:" ووجدت نسخة لما خلفه فخر الدولة من المال عيناً وورقا من الجواهر والأواني والفضة والفرش والسلاح وغير ذلك إلى يوم مات، وغير ذلك ألف ألف وثمانمائة ألف وخمسة وسبعون ومائتان وأربعة وثمانون ديناراً، ومن الورق والنقرة والفضة مئة ألف ألف وثمانمائة ألف وستون ألف وسبعمائة وتسعون درهما" [2].

3- المشاهدة والعيان للأحداث التي وقعت في عصره، فسجلها كشاهد عيان[3].

وترك هلال بن المُحسّن مجموعة كتب تاريخية أخرى تناولت جوانب إدارية وسياسية ركز فيها على كل ما له علاقة بدار الخلافة العباسية، فرسوم دار الخلافة[4]يتكون الخلافة[4]يتكون من تسعة عشر فصلاً عدا المقدمة والخاتمة، صنّفه وهو يتولى ديوان الإنشاء بدار الخلافة، وهذا الكتاب أقرب ما يمكن تسميته (بالبرتوكولات التي يتم التعامل بموجبها في بلاط الخلافة).

ومن كتبه أيضاً (غرر البلاغة في الرسائل) أي الخطابات الرسمية، وقد جمعت هذه الرسائل-كما يقول كرنكو- ووصلت إلينا مخطوطة. وهذه الرسائل على جانب

---

1) تاريخ هلال، ص 352، ص 353، ص 363، ص 368، ص 370، ص 400.

2) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (الفترة البويهية) ، ص 261، (نقلاً عن تاريخ هلال) ، وانظر: كذلك تاريخ هلال، ص 341-345، ص 358.

3) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، (الفترة البويهية) ، ص 310، ص 311، ص 314، ص 322، ص 326، ص 327 (نقلاً عن تاريخ هلال) .

4) حققه ميخائيل عواد، ونشر في بغداد عن مطبعة العاني عام 1964.

عظيم من الناحية التاريخية؛ لأنها تكمل معلوماتنا عن عهد اضمحلال الخلافة العباسية[1].

ووضع هلال كتاباً خاصاً في تاريخ أسرته ومآثرها ودورها في الحياة السياسية والعلمية[2].

1) كرنكو، دائرة المعارف الإسلامية، ج14، ص 15. وقد أشار إلى أماكن تواجده. فمنها نسخة في ليدن رقم (2345)، وباريس 3314.
2) مقدمة رسوم دار الخلافة، ص 16.

الفصل الثانـي

اتجاهات الكتابة التاريخية التي تبلورت في القرن الرابع الهجري

أ. التاريخ على عهد الخلفاء

ب. تاريخ المـدن

ج. التـراجــم

د. التاريخ الحرّ (الاجتماعي)

أ.التاريخ على عهود الخلفاء

الكتابة التاريخية حسب هذا المنهج قوامها الحكام (الخلفاء). حيث أصبح الخليفة وعاصمة حكمه مركزاً للأحداث السياسية التي تناولها المؤرخون في هذا النوع من الكتابة التاريخية، الذي هو تطور طبيعي واستجابة للحالة السياسية للدولة الإسلامية. فبعد أن كان المؤرخ المسلم في القرون الأولى يُعبّر في كتاباته عن وحدة الأمة الإسلامية ووحدة تجاربها، جاء القرن الرابع الهجري بتطورات سياسية لم يعتدها المؤرخ المسلم، تمثلت بانفصام عُرى الوحدة الإسلامية، وانقسامها إلى دويلات وإمارات، لم يعد يربطها برمز الوحدة السياسية (العاصمة والخليفة) سوى بعض المراسيم الشكلية كالخطبة والسكة باسم الخليفة، فجاء هذا النوع من الكتابة محاولة-ولو رمزية- للإبقاء على وحدة الخلافة واستمرارية وحدة الأمة.

تعود الإشارات إلى هذا النوع من الكتابة إلى فترات مبكرة، فمن جملة تصانيف الهيثم بن عدي (ت 207هـ/822م) كتابان في هذا المجال: كتاب (الدولة) يقصد الدولة العباسية، وكتاب (أخبار الخلفاء الكبير). ابتدأه بأخبار أبي بكر وختمه بأخبار الخليفة المعتصم[1]. ووضع الحسن بن ميمون بن نصر البصري (ت 252هـ/866م) كتاباً سماه (الدولة وكتاب المآثر)[2]. وصنّف تلميذه محمد بن صالح بن مهران المعروف بابن النطاح كتاب (الدولة -يقصد الدولة العباسية- وأخبارها)[3]. كما صنّف في هذا المجال أبو بكر عبيدا لله بن محمد بن أبي الدنيا (ت281هـ/894م) وسماه (تاريخ الخلفاء)[4]. وسار على نهجهم أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد، حفيد عبد

1) النديم، الفهرست، ص 115. وله كتب أخرى في تناوله الخلفاء منها: كتاب(تسمية الخلفاء وكناهم) ، وكتاب(تاريخ أعمار الخلفاء) وكتاب (حلي الخلفاء) . الفهرست، ص 115.

2) النديم، الفهرست،

3) النديم، الفهرست، ص 120، وروى عنه الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص 357-358. حاجي خليفة، كشف، ج1، ص 281. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص 42.

4) الصفدي، الوافي، ج1، ص 51. السخاوي، الإعلان، ص 545. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص 133. مقدمة كتاب الإشراف على مناقب الأشراف للمؤلف.

الحميد الكاتب في كتابه (أخبار خلفاء بني العباس) [1]. وصنّف محمد بن علي بن سعيد المعروف بسمكة (أخبار العباسيين) [2]، الذي نقل عنه الجهشياري قائمة من قوائم الخراج في عهد الخليفة الرشيد [3]. ووضع محمد بن حبيب (245هـ/859م) أحد علماء الأنساب في عهد الخليفة المتوكل ببغداد كتاباً سماه (تاريخ الخلفاء) [4].

وهناك عدد من المؤرخين الذين أفردوا كتبا للحديث عن واحد من الخلفاء، فكانت هذه الكتب أقرب إلى السيرة الذاتية لأولئك الخلفاء، منها: (أخبار المنصور) لعمر بن شبه، و (أخبار المأمون) لمؤلف مجهول، و (أخبار المعتضد) جمعها ثابت بن سنان [5]، وكذلك أبو الزهر محمد بن مزيد النحوي (ت 325هـ/936م) وكتابه (أخبار المستعين والمعتز) [6]. لم يصل إلينا من هذا الجهد شيئاً سوى روايات مبثوثة في المصادر.

أول كتاب وصلنا - جزءا-منه في هذا المجال هو كتاب (تاريخ بغداد(7)) لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المروزي المعروف بابن طيفور(8)(ت 280هـ/893م). يصنّف معظم المؤرخين كتاب ابن طيفور ضمن تاريخ المدن، لكن من خلال الجزء السادس الذي وصلنا والذي يتحدث عن خلافة المأمون، يمكن القول أن ابن طيفور قدم للكتاب

1) الجهشياري، الوزراء، ص 281، نقل عن الطبري، تاريخ الرسل، ج6، ص 571. سزكين، تاريخ الأدب، ج1، ق2، ص 156.
2) النديم، الفهرست، ص 154.
3) الجهشياري، الوزراء، ص 281-288.
4) النديم، الفهرست، ص 119. ياقوت، معجم الأدباء (ط دار الكتب) ، ج5، ص 288.
5) النديم، الفهرست، ص 125.
6) النديم، الفهرست، ص 165. حاجي خليفة، كشف، ج1، ص 283.
7) طبع هذا الكتاب ثلاث مرات أولها على يد المستشرق الألماني همسي كار (H.Keller) في ليبزيغ عام 1908، ثم في القاهرة عام 1949 بتحقيق محمد زاهد الكوثراني، وأعيد طبعه مرة أخرى عام 1994 عن دار الخانجي في القاهرة، وطبع في بغداد تحت عنوان (بغداد في تاريخ الخلافة العباسية) عن دار المثنى سنة 1968، وترجم الكتاب إلى الإنجليزية عام 1920 عني بها المؤرخ سكلي ((C.Scely.
8) انظر ترجمته في: النديم، الفهرست، ص 164، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص 212.

في بداية كتابه (المفقود) مقدمة طبوغرافية لمدينة بغداد وخططها، ثم تناول الخلفاء واحداً بعد الآخر. يؤكد هذا القول ما أورده الخطيب البغدادي في ترجمة ابن طيفور، قال:" كان أحد البلغاء والشعراء والرواة، ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم، وله كتاب بغداد المصنّف في أخبار الخلفاء وأيامهم" [1]. ويؤكد ذلك أيضاً ما قاله النديم في حديثه عن ابنه عبيدا لله بن أحمد:" إنه سلك طريقة أبيه في التصنيف والتأليف، وروايته أقل من رواية أبيه، فأما الدراية والتأليف، فكان أحمد بن أبي طاهر أحذق وأمهر. ولابنه من الكتب ما زاده على كتاب أبيه في أخبار بغداد، فإن أباه عمل إلى آخر أيام المهتدي، وزاد ابنه أخبار المعتمد، وأخبار المعتضد، وأخبار المكتفي، وأخبار المقتدر، ولم يتمه" [2].

في الجزء السادس-الذي وصلنا- تحدث ابن طيفور عن أحداث الخلافة العباسية في عهد الخليفة المأمون منذ دخوله بغداد عام (204هـ/819م) إلى وفاته سنة (218هـ/833م).

ويبدو ابن طيفور في هذا الجزء مؤرخاً حسن الإطلاع، انفرد بعدد من الأخبار عن عهد المأمون لا نجدها لدى غيره، منها خبر خروج طاهر بن الحسين إلى خراسان[3]، وخبر تولية المأمون لطلحة بن طاهر إمارة خراسان[4].

وطريقة ابن طيفور في تسجيل الأحداث مدعاة للاطمئنان ،لأنه يذكر أولاً عدة ممن عنوا بتدوين أنباء الزمن، ويشير عند ذكره للأخبار المتعاقبة والتي وردت عن أكثر من

---

1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص 212، وكذلك سماه السخاوي (أخبار الخلفاء) ، الإعلان، ص 546.
2) النديم، الفهرست، ص 164، وينقل عن تاريخ بغداد لعبيد الله بن أحمد الصّابئ في الوزراء، ص 199.
3) ابن طيفور، تاريخ بغداد، ص 34.
4) ابن طيفور، تاريخ بغداد، ص 74. وانظر كذلك: ص 78، ص 83، ص 97، ص 101، ص 132، ص139، ص 144.

راوٍ الى ذلك بقوله:" قالوا[1]" أو حدثوني[2]، وعند انفراد أحدهم برواية يقول:" حدثني" [3] و " أخبرني" [4].

كان ابن طيفور من أوائل المؤرخين الذين أدركوا أهمية الوثائق والسجلات الرسمية في الكتابة التاريخية، فحرص على إيراد ما استطاع الوصول إليه. ومعظم الوثائق التي أوردها كانت صادرة عن الخليفة المأمون منها: رسالة المأمون إلى نصر بن شبث يدعوه إلى العودة إلى الطاعة بعد خروجه على الخلافة في خراسان[5]، وكتابين أرسلهما المأمون إلى الفقيه أبي الحسين إسحاق بن إبراهيم الذي أوكل إليه امتحان الفقهاء ويتعلقان بالمحنّة (محنّة القول بخلق القرآن) [6]. ووصية طاهر بن الحسين إلى ابنه عبيد الله عندما ولّي ديار ديار ربيعة، يوصيه بها بالعدل والاعتبار بمن سبقه من أهل السلطان[7].

يلاحظ أن ابن طيفور أطنب في الحديث عن قائد جيش المأمون طاهر بن الحسين وأبنائه، وخصص لهم عناوين رئيسة:" من أخبار طاهر بن الحسين" [8]، " من كلام طاهر بن الحسين وتوقيعاته" [9]، " ذكر وفاة طاهر بن الحسين" [10].

وابن طيفور رغم تركيزه على الأحداث السياسية، فإنه أفسح مجالاً في نهاية الجزء السادس للحديث عن بعض الجوانب الحضارية، فخصص باباً للشعراء[11]، وآخر للمغنين[12]، وختم هذا الجزء بذكر من توفي في عصر المأمون[13].

---

1) ص 98.
2) ص 12، ص 58، ص 112، ص 120.
3) ص60، ص 66، ص 140، ص 174، ص 186.
4) ص 101.
5) ص26، ص 70، ص 181.
6) ص 181، ص 183.
7) ص26.
8) تاريخ بغداد، ص 62.
9) تاريخ بغداد، ص 70.
10) تاريخ بغداد، ص 33. وانظر: بعد ذلك حتى ص 100.
11) تاريخ بغداد، ص 154.
12) تاريخ بغداد، ص 172.
13) تاريخ بغداد، ص 187.

كان لكتاب ابن طيفور تأثير واضحٌ في مؤرخ عراقي آخر هو الصّولي في كتابه (الأوراق)- الذي سنتحدث عنه بعد قليل - والذي تناول الخلفاء الواحد تلو الآخر. كما كان له تأثيراً في الكتابة التاريخية في الأندلس. يقول ياقوت الحموي في ترجمته لأحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت 344هـ/955م):" وله كتاب في أخبار ملوك الأندلس وكتابهم على نحو كتاب أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد" [1].

أشرنا عند الحديث عن التاريخ العالمي إلى أن كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي يتكون من قسمين الأول في التاريخ العالمي - وقد تمّ الحديث عن ذلك في مكانه-، والقسم الثاني في التاريخ الإسلامي والذي بناه على عهود الخلفاء، ويمثل ثلاثة أرباع الكتاب.

وفي تناوله للتاريخ الإسلامي نراه ينهج نفس المنهج في التاريخ العالمي، وهو الذي يقوم على أساس الموضوعات في فترة الرسالة، ثم يشق طريقاً جديدة في كتابته حين يتناول تاريخ الخلفاء، فالمسعودي اتخذ عهد كل خليفة منذ توليته حتى نهاية عهده منهجاً رئيساً في إكمال بقية كتابه، فابتدأ يطبق هذا المنهج من العهد الراشدي إلى العصر العباسي[2].

لم تأت نظرة المسعودي للتاريخ بهذه الموسوعية اعتباطاً، إذ أن تطور الكتابة التاريخية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كان يسير باتجاه أكثر توسعاً في الرؤية مما سبق. هذا الاتجاه ابتدأ بالتأسيس بصورة أولية من خلال نظرة بعض المؤرخين الكبار الذين عرفهم القرن الثالث الهجري، فقد شهد القرن المذكور بداية الانفتاح على العلوم الأخرى، وما تبعه من الاهتمام بثقافة الأمم الأخرى وخاصة التراث اليوناني، وذلك بعد أن نشطت حركة الترجمة زمن المأمون (200-218هـ/815-833م). ساعد

---

1) معجم الأدباء، (ط دار الكتب) ، ج1، ص 624.

2) كان آخر الخلفاء الذين تحدث عنهم المسعودي هو الخليفة المطيع لله.

في ذلك التوسع في الرحلات والتجارة[1]. علاوة على هذا التنوع المعرفي يظهر من خلال بعض الأمثلة التي يتضح منها تصوير المسعودي للحياة الثقافية في العصر العباسي[2]. كحديثه عن الملاهي والطرب وأنواعه والآلات الموسيقية والشطرنج والنرد[3]، وذكره لأخبار عدد من الشعراء أمثال: ابن الرومي[4]، وعبد الله بن المعتز ه[5]، وأخبار بعض الأدباء أمثال: محمد بن داوود الأصفهاني[6]، والصّولي[7].

إن الاتجاه الموسوعي الذي اعتمده المسعودي، هو الذي يفسر فيما يظهر اعتذاره عن عدم الإسهاب في عرض مادة التاريخ الإسلامي- كما أشار من قبل إلى ذلك عند حديثه عن التاريخ الشعوب والأمم قبل الإسلام(التاريخ العالمي)-. فكان الميل إلى الإيجاز في الأخبار الإسلامية. " وقد أتينا في كتابنا أخبار الزمان و كتاب الأوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام إلى مبعثه، ومن مبعثه إلى هجرته، ومن هجرته إلى وفاته، ومن وفاته إلى وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وما كان في ذلك من المغازي والفتوح والسرايا والبعوث والطرائق والأحداث، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا" [8].

ويظهر للباحث أن المسعودي متزن في أخباره، وأنه بصورة عامة دقيق فيما أورد من معلومات. حاول أن ينأى بنفسه عن الصراعات المذهبية " وليعلم من نظر فيه أني لم انتصر فيه لمذهب ولا تحيزت إلى قول، ولا حكيت من الناس إلا مجالس أخبارهم، ولم أعرض فيه لغير ذلك" [9]. ولكن من مطالعة كتاب (مروج الذهب) يلاحظ أن لديه ميولاً

1) أركون، نزعة الأنسنة، ص 565.
2) حاج ياسين، كتاب البدء والتاريخ ، ص 21.
3) مروج الذهب، ج4، ص 248-255.
4) مروج الذهب، ج4، ص 318.
5) مروج الذهب، ج4، ص 329.
6) مروج الذهب، ج4، ص 332.
7) مروج الذهب، ج4، ص 365.
8) مروج الذهب، ج2، ص 316.
9) مروج الذهب، ج4، ص 435.

وتعاطفاً مع العلويين أحياناً، فقد أعار الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب اهتماماً أكثر مما أعاره لحياة الرسول -صلى الله عليه وسلم-[1].

ظهرت هذه الميول في أكثر من رواية. فقد تعرض بالنقد الشديد لمؤلفات الجاحظ وخاصة كتابه (العثمانية) قائلا:" ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب (العثمانية) حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر في إمامة المروانية وأقوال شيعتهم، ورأيته مترجماً بكتاب إمامة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان في الانتصار له من علي بن أبي طالب وشيعته الرافضة. ثم صنّف كتاباً آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية، يذكر فيه ما فاته ذكره ونقصه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين علي ومناقبه فيما ذكرنا وقد نقضت عليه ما ذكرنا من كتبه..." [2].

ويحرص على تتبع أخبار آل البيت في ثنايا كتبه، فعند حديثه عن ظهور الحسين بن زيد العلوي في طبرستان يقول:" وقد أتينا على خبر سائر آل أبي طالب بطبرستان، ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الأرض إلى هذا الوقت سنة 332هـ في كتابنا أخبار الزمان، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً من سائر ما يجب ذكره، لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم" [3].

حاول المسعودي جاهداً أن يؤكد بين الفينة والأخرى إلى أن كل كتاب من كتبه وحدة عضوية مستقلة بموضوعاته ومادته، وأنها سلسلة تكمل بعضها بعضاً. يقول المسعودي:" وقد أتينا في (الكتاب الأوسط) الذي كتابنا هذا -يقصد مروج الذهب-تالٍ له، والأوسط تالٍ لكتابنا (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان) من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة على ما كان منه.." [4].

وفي حديثه عن أخبار الوليد بن عبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي يقول:" وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان في أيام من الكوائن والحروب" وكذلك الحجاج، وقد أتينا على كثير من مبسوطها في كتابنا (أخبار الزمان) و(الأوسط)، وإنما نذكر

---

1) روزنثال، علم التاريخ، ص 188.
2) مروج الذهب، ج3، ص 288-289.
3) مروج الذهب، ج4، ص 175. وانظر: مروج الذهب، ج2، ص 299، ص 442. ج3، ص 78.
4) مروج الذهب، ج4، ص 433.

في هذا الكتاب ما لم نورده في ذينك الكتابين، كما أن ما ذكرناه في الكتاب (الأوسط) هو ما لم نورده في أخبار الزمان[1].

ويصر المسعودي على هذه الحقيقة " وللمخلوع -يقصد الخليفة الأمين- أخبار وسيّر غير ما ذكرناه قد أتينا عليها في كتابينا (أخبار الزمان) و (الأوسط)، فأغنى ذلك عن ذكرها في هذا الكتاب" [2].

ويعد كتاب الأوراق في أخبار آل العباس وشعرائهم، لأبي بكر محمد بن يحيى الصّولي(3) (ت 346هـ/957م) نموذجاً حياً للكتابة التاريخية الموضوعية القائمة على المشاهدة والمشاركة في الأحداث. فمؤلفه محمد بن يحيى الصّولي ينتمي إلى أسرة عرفت بقربها من بلاط الخلفاء العباسيين، من خلال عملها بالدواوين، فهي أسرة جمعت العلم والأدب والنفوذ ومنادمة الخلفاء. فورث-في جملة ما ورث عنهم- خدمة الخلفاء والعمل في دواوينهم، بعد أن أُعدّ إعداداً علميا ومعرفياً؛ ليكون قادراً على العمل في الدواوين، خاصة ديوان الإنشاء.

بدأ الصّولي عمله في بلاط الخلفاء في عهد المعتضد (279-289هـ/892-901م)، فكان يكتب له ويمدحه بقصائده وينادمه، بل إن المسعودي أشار إلى العلاقة التي كانت تربطه بالمعتضد. ولما مات المعتضد، اتصل الصّولي بالخليفة المكتفي بالله (289-295هـ) فكان في جملة ندمائه. ثم انتقل ليكون في جملة حاشية الخليفة المقتدر (295-320هـ/907-932م). ولم تتوقف علاقة الصّولي بالمقتدر على حد

1) مروج الذهب، ج3، ص 212.

2) مروج الذهب، ج3، ص 505. وانظر كذلك: مروج الذهب، ج4، ص 189، ص 206.

3) انظر ترجمته في: ابن الجوزي، المنتظم. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (ط الكتب العلمية) ج5، ص 478. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 481. الذهبي، لسان الميزان، . القفطي، أبناء، ج3، ص 236. أبو الفداء، تاريخ، ج1، ص 432. الدلجي، الفلاكة. ابن العماد، شذرات، ج2، ص 339. البغدادي، هدية العارفين، ج2، ص 38. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص 137. وهناك درستان أكاديميتا تناولته أديباً وناقداً: أحمد العمري، أبو بكر الصّولي، حياته وأدبه، دار المعارف، مصر. صبحي تامر، أبو بكر الصّولي ناقداً، دار الجاحظ، بغداد، 1975.

المنادمة، بل تعدت إلى علاقة أقوى بعد أن عهد إليه الإشراف على تعليم ولديه محمد وهارون. وكانت سعادة الصّولي لا تقدر حين تولى تلميذه الخليفة الراضي الحكم.

فكان كتابه أقرب إلى المذكرات الشخصية التي دونها صاحبها، معتمداً على قربه من بلاط الخلفاء وإطلاعه على أسرار مجالسهم، وعمله في الدواوين وخاصة ديوان الإنشاء، إضافة إلى القدرات الثقافية والأدبية التي تمتع بها الصّولي، فوفرت هذه العوامل فرصة له بالإطلاع المباشر على الوثائق والسجلات الرسمية في دواوين دار الخلافة والتي سخرها في كتابه الوراق، فجاء كتابه تعبيراً حياً عن حياة الخلفاء

كتاب الأوراق في أخبار آل العباس وشعرائهم وصفه النديم بقوله:" إن الصّولي لم يتمه، والذي خرج منه أخبار الخلفاء بأسرهم، وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح إلى ابن المعتز، وأشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه، وأول ذلك: شعر عبد الله بن علي، وآخره شعر أبي أحمد محمد بن إسماعيل بن المنصور، ويتلو ذلك أشعار الطالبيين ولد الحسن والحسين، وولد العباس بن علي، وولد محمد بن علي، وولد جعفر بن أبي طالب، ثم تلى ذلك أشعار ولد الحارث بن عبد المطلب، وبعده أخبار ابن هرمة ومختار شعره، وأخبار السيد الحميري ومختار شعره، وأخبار أحمد بن يوسف ومختار شعره وأخبار سديف ومختار شعره"[1].

من وصف النديم للكتاب، يمكن القول أن الكتاب يتكون من قسمين: الأول مخصص للتاريخ السياسي (تاريخ الخلفاء العباسيين) والثاني خصص للتاريخ الأدبي والتراث الشعري الخاص بأفراد العائلة العباسية.

والذي يهمنا في مجال البحث هو القسم الخاص بتاريخ الخلفاء. وقد وصلنا منه ثلاث قطع تناولت فترات متفرقة، فالقطعة الأولى تغطي الفترة من (226-256هـ[2]/840-869م) وتشمل خلافة: الواثق، المتوكل، المنتصر،المستعين ،المعتز وبعض أيام المهتدي.

1) الفهرست، ص 167-168.

2) هذا الجزء لا زال مخطوطاً في مكتبة لينجراد في روسيا أشار إلى ذلك هيورث في تقديمه لقسم أخبار الشعراء .

والقطعة الثانية تمثل الفترة (295-299هـ[1]/907-903م). وتشمل بعض حكم المقتدر، والقطعة الثالثة تغطي الفترة من (322-333هـ[2]/933-944م) وهي الفترة الخاصة بحكم الخليفتين: الراضي بالله والمتقي لله.

ورغم عدم وصول كتاب الأوراق كاملاً حتى نستطيع الحكم على الفترة التي تناولها، إلا أنه يمكن القول إن الكتاب قد شمل أخبار خلفاء الدولة العباسية من السفاح إلى الخليفة المتقي. هذا الحكم توصلنا إليه من الرجوع إلى المصادر التاريخية والتي اعتمدت اعتماداً مباشراً على كتاب (الأوراق) للصولي. والكتاب الذي اعتمد على الصّولي كثيراً هو (تاريخ الخلفاء) للسيوطي، بحيث يخيل للقارىء أن الجزء الأول من الكتاب مقتبس من الأوراق، فلا تمر صفحة منه دون الإشارة إلى الصّولي كمصدر لرواياته[3]. وكانت أول إشارة إلى الصّولي في حديثه عن مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[4].

وتاريخ الصّولي للدولة العباسية يختلف عن تاريخ غيره من المؤرخين، ذلك أنه لم يكن ليعنى بالتاريخ السياسي دون أن يعنى بما هو حول التاريخ من عوامل نفسية تتصل بحياة الخلفاء والأمراء والقادة. فنراه في ثنايا تسجيله للأحداث التاريخية يجلي بعض اللمحات الدقيقة التي تدل على مدى فهمه وإطلاعه على أغوار نفوس من هم حوله في ذكاء وسعة أفق. فيذكر مدى ثقة الراضي به وإخلاصه ووفائه، لذلك كان يُفصح له عما في نفسه، ويحدثه عن دقائق الأمور الخاصة، وما لقيه من سجن وتعذيب في عهد

---

1) هذا الجزء أيضا مخطوط في مكتبة الأزهر رقم (6737) أباظة، ويقع في (184) . العمري، أبو بكر الصّولي، ص 348، هامش رقم (4) .

2) نشره ج.هيورث تحت عنوان أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 إلى سنة 333 هجرية من كتاب الأوراق، عن دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979.

3) وقد أشار السيوطي صراحة إلى كتاب الأوراق في بعض الإحالات. انظر: تاريخ الخلفاء، ص 303، ص 304، ص 306، ص 318، ص 319، ص 321، ص 321، ص 325، ص 327، ص 329، ص 332، ص 333، ص 336، ص 346، ص 347، ص 349، ص 356ص 359، ص 360، ص 363، ص 378، ص 381، ص 386، ص 387، ص 388، ص 396، ص 393، ص 398، ص 405.

4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 303.

القاهر. فكان الراضي يجد في الحديث إلى أستاذه الصّولي تنفيساً لما كان يجده في كلامه من راحة نفسية وتطييب للخاطر، لما يرويه له من الأحاديث النبوية وقصص الماضين[1].

ومن اللمحات الدقيقة التي سجلها الصّولي-والتي لا نجدها عند غيره من المؤرخين- أن الراضي كان لا يحب الأتراك ولا يثق بهم، وأنه كان يحس تآمرهم ومكائدهم، ولكنه لا يستطيع أن يجاهر بذلك، محملاً أجداده من الخلفاء مسؤولية ذلك. يذكر الصّولي قول الراضي في إحدى خلواتهما:" كأني بالناس يقولون أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركي، حتى يتحكم في المال وينفرد بالتدبير، ولا يدرون أن هذا الأمر أفسد قلبي، وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي، فسلمت إلى ساجية وحجرية " [2].

ويسجل الصّولي أيضاً وبذكاء، أحاسيس من حوله وعلاقتهم، فيذكر أن بجكم كان يتعامل مع الخليفة بحرص ودهاء، وأن كلا الطرفين كان يمكر على الآخر ويخشاه[3].

أرّخ الصّولي لحالة الضعف والتردي التي وصلت إليها الخلافة العباسية في عهدي الراضي والمتقي، وتطاول كبار القادة العسكريين والأمراء الأتراك على سيادة الخليفة وسلطاته. ويظهر أن الراضي كان مدركاً لمثل هذا الوضع، ولكن لم يكن له في ذلك حول ولا قوة. فهو يصف ذلك محملاً أجداده من الخلفاء مسؤولية هذا الوضع. يقول:" فسلمت إلى ساجية وحجرية، يتسحبون علي، ويجلسون في اليوم مرات، ويقصدونني ليلاً، ويريد كل واحد منهم أن أخصه دون صاحبه" [4]. إن تعاظم قوة هاتين الفرقتين جعلت الخليفة الراضي مكتوف اليدين فيمن يولي الوزارة بعد القبض على الوزير ابن مُقلة، فترك الخيار لهم[5].

1) أخبار الراضي، ص 17-18.
2) أخبار الراضي، ص 41.
3) أخبار الراضي، ص 43.
4) أخبار الراضي، ص 41.
5) أخبار الراضي، ص 81.

وأكثر من ذلك، نجد أن بعض الأمراء الأتراك قد شارك الخليفة الراضي شارات الخلافة، حتى أن محمد بن ياقوت دُعي له بعد الخليفة يوم الجمعة" ودعى الأئمة في يوم الجمعة بالجانب الشرقي والغربي بعد دعائهم للراضي لابن ياقوت وقرظوه" [1].

أظهرت روايات الصّولي لأخبار الراضي والمتقي أنهما لم يكونا بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهما. ففي الوقت الذي كانت بغداد تموج بالصراعات السياسية نجد الراضي" يركب إلى أجمة(غابة) بالثريا يطلب فيها خنازير" [2]. وعندما أراد التدخل في مثل هذه الصراعات وفي الأزمة المالية التي تعيشها الخلافة والدولة، نجده يستحدث منصباً جديداً هو منصب " أمير الأمراء" الذي أصبح صاحبه هو صاحب السلطة الفعلية في بغداد. وهذا المنصب يشير أيضاً إلى حالة الضعف الشديدة التي صار إليها الخليفة بتنازله عن سلطاته ونفوذه[3].

وصوّر الصّولي تدهور الحالة الاقتصادية في العراق. فقد كان لاستقلال كثير من ولايات الدولة العباسية بصورة كلية أو جزئية، وقطعهم الأموال عن خزانة الدولة،أن أدى إلى اختلال التوازن في الميزان الاقتصادي وإلى غلاء الأسعار، مما كان له تأثيراً كبيراً على الناس آنذاك، أدى بهم إلى إظهار " المصاحف والشكوى من الجوع" [4]. وزاد الوضع سوءً احتباس الأمطار حتى عزّ الخبز والدقيق فلم يوجد أياماً ببغداد[5]. وكان رد

---

1) أخبار الراضي، ص 63. وأخبار تدخل قادة الجند في مسؤوليات الخليفة كثيرة. انظر: ص 69، ص 70، ص 77.
2) أخبار الراضي، ص 99.
3) حول منصب أمير الأمراء وأثره في السياسة الداخلية للدولة العباسية يرجع إلى الدراسة التي أعدها الدكتور تقي الدين الدوري بعنوان: عصر إمرة الأمراء في العراق (324-334هـ) والذي اعتمد كثير على الصّولي في دراسته.
4) أخبار الراضي، ص 61.
5) أخبار الراضي، ص 83.

فعل العامة على تردي الأوضاع المعاشية إظهار الشغب[1]، حتى منعوا خطيب الجمعة من الخطبة في مسجد الرصافة[2].

ورغم بعض المحاولات التي بذلتها الدولة للتخفيف من حدة الأزمة، كمراقبة الأسعار وتسعير المواد الأساسية [3]، إلا أن هذه الإجراءات لم تحل المشكلة التي ازدادت تفاقماً، وزاد الحال سوءاً انتشار مرض الطاعون ببغداد[4].

وأشار الصّولي إلى محاولة-ذات مغزى سياسي-تتمثل بقيام الحسن بن عبد الله بن حمدان بتفريق المواد الغذائية على فقراء بغداد وسامراء" فصلح السعر" ، واستقرت الأسعار ولو مؤقتاً[5].

ونظراً لتدهور الحالة الاقتصادية، وعجز خزينة الدولة عن توفير الأموال، استمرت بسياسة مصادرة أموال رجال الدولة المغضوب عليهم[6].

لم يترك الصّولي فرصة للحديث (خارج السياسة) إلا واغتنمها، فنراه بالإضافة إلى كل ما سبق يتطرق بحديثه إلى ما كان يقوم به الراضي من الخلوة بنفسه أحياناً، أو الخروج إلى الرحلات والبعد عن متاعب الحكم والسياسة[7].

ومن الأخبار العامة أيضا تاريخه لوفاة العديد من العلماء والفقهاء والوزراء، فكان يشير إليها في نهاية أحداث كل سنة من السنين، ويشير (جب) إلى أن الصّولي نهج منهجاً خاصاً إذ جمع بين التراجم السياسية والتراجم الأدبية[8]. وفي تاريخه لعهد المتقي اتبع الخط نفسه الذي اتبعه في تاريخ الراضي بالله.

---

1) أخبار الراضي، ص 66.
2) أخبار الراضي، ص 71.
3) أخبار الراضي، ص 71.
4) أخبار الراضي، ص 83.
5) أخبار الراضي، ص 76.
6) أخبار الراضي، ص 61، ص 70، ص 84، ص 101.
7) العمري، أبو بكر الصّولي، ص 355.
8) جب، دائرة المعارف، ج4، ص 497.

وضمّ الصّولي إلى تاريخه السياسي عناصر أخرى يمكن أن نطلق عليها الأخبار العامة، و تدور أساساً في مجالين: مجال يتصل بالخلفاء، ومجال يتصل به شخصياً.

ففي المجال الأول: يذكر الصّولي العديد من الأخبار التي أراد منها إظهار مدى العلاقة التي كانت تربطه بالراضي منذ أن كان تلميذاً له[1]، وصور مجالس المنادمة والشراب في حضرة الخليفة[2].

أما المجال الثاني الذي يتصل بالحديث عن شخصه وأحواله، فقد أراد أن يخلّد ذكره ،كما خلّد في كتبه الخلفاء ودولتهم. فيذكر مكانته وعلاقته بالراضي ومجالسته له[3]. وتحدث عن بعض أحواله الشخصية ومرضه وعافيته، وغناه وفقره. وذكر أيضاً تغير الأحوال معه وعبوس الأيام له، وما تعرض له من مؤامرات أحياناً، واضطهاد أحياناً أخرى خاصة من قبل وزير المتقي الذي أراد أن يمنعه من الجلوس في الجامع للناس[4].

وضمّن الصّولي رواياته التاريخية الكثير من قصائده، خاصة مدائحه في الراضي والمتقي، ويذكر مناسباتها، وكيف استحسنت من الخليفة أو من الأدباء الذين كانوا في جملة ندماء الخليفة. ويعلل سبب إيراده لمثل تلك الأشعار بقوله:" وإنما آتي من الأشعار التي قلتها في الراضي بطرف للحاجة إلى المعنى الذي قيلت فيه، وإلا فالشعر كثير فيه"[5].

وإذا تحدثنا عن مصادر الصّولي في كتابه الأوراق-القسم التاريخي- يمكن تقسيم تلك المصادر إلى نوعين:

1- بالنسبة إلى الفترات التاريخية السابقة والتي لم يعاصرها، فقد اعتمد الرواية الشفوية كمصدر لرواياته[6]. ومن الذين أشار إليهم الصّولي كمصدر لأحداث

1) أخبار الراضي، ص 25.
2) أخبار الراضي، ص 9، ص 19، ص 31، ص 56.
3) أخبار الراضي، ص 9، ص 110، ص 115.
4) أخبار الراضي، ص 194. العمري، أبو بكر الصّولي، ص 357.
5) أخبار الراضي، ص 31.
6) هذا الحكم توصلنا إليه من خلال النقول عنه في المصادر، وخاصة السيوطي.

تاريخه-غير المعاصر- محمد بن القاسم[1]، أحمد بن الخطيب[2]، المغيرة بن محمد[3]، عبد الله بن البواب[4] وغيرهم.

2- أما التاريخ المعاصر له، فقد عاشه بنفسه ورآه بعينه، وعاصر أحداثه. فكانت كتاباته كتابة مؤرخ شاهد عيان، ويظهر ذلك من خلال الألفاظ التي استخدمها والتي تدل على الحضور والمشاركة نحو قوله:" كنا في المجلس" [5]، " كنا بين يديه" [6]، " حدثنا الراضي" [7]، " وكان الراضي يقول لنا" [8]. فهو لم يكن محتاجاً إلى من ينقل عنهم، لأنه كان كان مطلعاً على أدق الأمور داخل قصور الخلافة، عالماً بأخبار خلفائها وأحوالهم وحياتهم الخاصة والعامة، لذا نعته المسعودي بقوله:" ذكر غرائب لم تقع لغيره، وأشياء تفرد بها، لأنه شاهدها بنفسه" [9].

وخلاصة القول، أن الصّولي لم يجعل تاريخه للدولة العباسية أو لخلفائها تاريخاً صرفاً، بل أضاف إليه الكثير من اللمحات النفسية والأخبار العامة والخاصة، كما أدخل فيه-كعادة علماء عصره- عنصر الأدب، فضمنه كثيراً من شعره ومدائحه في الراضي. ولعل الصّولي كان يقصد من إضافة كل هذه العناصر إلى التاريخ، التخفيف على القارئ من جمود أحداث التاريخ ووقائعه، فأراد أن يُذهب الملل عن نفس القارئ بإيراد هذه المعلومات الخاصة والعامة[10].

1) السيوطي، تاريخ، ص380.
2) السيوطي، تاريخ ص 395.
3) السيوطي، تاريخ ص 395.
4) السيوطي، تاريخ، ص 378.
5) أخبار الراضي، ص 9.
6) أخبار الراضي، ص 19.
7) أخبار الراضي، ص 115.
8) أخبار الراضي، ص 143.
9) مروج الذهب، ج1، ص 9.
10) العمري، أبو بكر الصّولي، ص 359.

ب- تاريخ المدن

كان هذا النوع من الكتابة التاريخية استجابة موضوعية للظروف الجديدة والمتمثلة بالتمزق السياسي الذي حلّ بالعالم الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، فبدأت النزعة الإقليمية والرغبة الاستقلالية من قبل بعض الولاة تبرز فوق سطح الأحداث. تجسدت هذه الحقيقة في تلك الدويلات التي قامت على حساب الخلافة العباسية في المشرق والمغرب.

حاول حكام هذه الدويلات والمدن ترسيخ دولهم وإماراتهم بخلق مناخ ثقافي يماثل ما هو موجود في العاصمة بغداد، فحرصوا على استمالة واستقدام كبار العلماء في مختلف العلوم، وضموهم إلى حاشيتهم وندمائهم. هذا التشجيع ذو الطابع السياسي أحال تلك المدن بمرور الزمن إلى مراكز ثقافية لا يمكن إغفالها، تنافس العاصمة (بغداد)0 وكان التاريخ ميداناً من ميادين المنافسة الثقافية التي ركز عليها الحكام، لما للتاريخ من أهمية في ترسيخ نظامهم السياسي. فظهر استجابة لذلك مؤرخون أرخوا للمدن محاولين إظهار أهميتها في أحداث التاريخ والحضارة الإسلامية0 وقد كانت بدايات مثل هذه الدراسات التاريخية استمراراً لدراسات علم الحديث، التي تركز على سيرة المحدّثين الذين نشأوا في تلك المدن، أو مكثوا فيها فترة من الزمن[1].

إضافة إلى ما سبق فإن العصبية بين أهل المدن سواء كانوا من المحدّثين أم من غيرهم، بقصد إظهار قدراتها العلمية وتفوقها على المدن الأخرى0 وقد أشار الجاحظ إلى هذا الأمر بوضوح في رسالته (الحنين إلى الأوطان) [2]0 وقد أدت هذه العصبية إلى مفاخرات احتلت احتلت في كثير من الأحيان المكان الذي احتلته المفاخرات القبلية في القرن الأول. يشير السهمي (ت 427هـ) في مقدمته لتاريخ جرجان أن العصبية لمدينته هي التي دفعته إلى الكتابة عنها[3]. فكان هذا النوع من الكتابة وليد إظهار الانتماء والولاء للمدينة أو الإقليم الإقليم التي ينتمي إليها المؤرخ. هذا الإحساس عبر عنه المؤرخ أبو علي الحسين

1) الدوري، بحث، ص 56.
2) الجاحظ، رسائل، ج4، ص 79-80.
3) السهمي، تاريخ جرجان، ص 3.

السلامي (ت 374هـ) في كتابه (أخبار ولاة خراسان) بقوله:" ... الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جمل أبنائها ويحفظ أيام أمرائها، لا شيء أزرى عليه من أن يجعل أخبار أرضه، ولعله يتطلب أخبار غيرها ويكون كمن ترك الواجب وتبع النوافل[1].

كان الاهتمام بالتواريخ المحلية في كل الأزمنة تعبيراً أدبياً محبباً عن شعور الجماعة. ولقد عبرت المجتمعات التي تكون العالم الإسلامي كافة عن الرباط الوثيق الذي يربط الناس بمكان مولدهم. لذا يُلاحظ أن بدايات التواريخ المحلية نشأت من الاعتبارات الدينية والفقهية[2].

ويُعد كتاب (مكة والحرم) لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت 210هـ[3]/826م) أول كتاب في التاريخ المحلي ذي الصبغة الدينية. وكان كتاب (مكة وأخبارها وجبالها) لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي[4](ت 244هـ/858م) أول كتاب وصلنا، لذا فهو يحتل مكاناً بارزاً في هذا المجال.

ضم كتاب الأزرقي[5] القصص المتداولة عن الحرم المكي منذ العصر الجاهلي، ووصف للشعائر المتصلة به. وقد استغرقت هذه القصص حوالي ثلاثة أرباع الكتاب. أما الربع المتبقي فقد خصص للمناقب الأخرى المتصلة بالحرم من إشارات مقتضبة لأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاصريه من المكيين، وكذلك خطط مكة

1) السخاوي، الإعلان، ص 443. وأكثر ما تظهر هذه المفاخرات في مقدمة تواريخ البلدان، ولعل كتب فضائل المدن تظهر بجلاء أهمية العصبية في ظهور تواريخ المدن من ذلك " فضائل بغداد" ليزوجرد بن مهمندار، وفضائل مصر وأخبارها لابن زولاق، ومحاسن أصفهان للمافروحي. بشار عواد، مقدمة ذيل تاريخ بغداد، لابن الدبيثي، ج1، ص 10.

2) روزنثال، علم التاريخ، ص 206.

3) النديم، الفهرست، ص 122. ويشير حاجي خليفة إلى أن أول من كتب في التاريخ المحلي هو محمد بن الحسين بن زبالة (ت 199هـ/814م) وسماه (تاريخ المدينة) كشف، ج1، ص 302.

4) النديم، الفهرست، ص 124.

5) حققه ونشره رشدي الصالح عن دار الأندلس، بيروت.

وأطرافها[1]. وتلاه كتاب (مكة وأخبارها في الجاهلية والإسلام) لمحمد بن إسحاق الفاكهي[2](ت 272هـ/885م) 0

أما بالنسبة للمدينة المنورة فنجد كتاب (أخبار المدينة) [3] لعمر بن شبة (ت262هـ[4] /875م) قد قدم وصفاً للمدينة وخططها. اعتمد المؤلف على مشاهداته الخاصة وعلى ما نقله من الأخبار، كما اعتمد على ما وصلته من الأخبار في هذا الصدد. كما حوى الكتاب على معلومات عن آثارها وأسواقها وديانتها ومشاهدها[5].

ويلاحظ أن كتب التاريخ المحلي الديني -كما يقول ليفي بروفنسال- لم تكن ممتعة ككتب التاريخ الدنيوي التالية. لذا فإن مؤلفيها سموا كتبهم بالأخبار وليس بالتاريخ، وهو تعبير دقيق على بحثهما، إذ لم يهتما كثيراً بالتواريخ والتراجم، بل استهدفا تمكين المسلمين من معرفة التاريخ المقدس لمكة والمدينة[6].

ويلاحظ أن التواريخ المحلية ذات الطابع الديني تتميز بأنها لا تهتم بالتراجم. كما أنها اتخذت شكلاً واحداً، فقد كان الكتاب يتألف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها وخططها. وكانت هذه المقدمة في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة مطولة، ولكنها أخذت تميل بعد ذلك إلى الإيجاز. أما مادة الكتاب فقوامها دراسة الشخصيات التي كان لها شأن بالبلدة أو المدينة موضوع البحث، وكانت هذه الشخصيات في بادىء الأمر وقفاً على علماء الدين. ثم تطورت بعد ذلك فشملت كل الشخصيات البارزة في المجتمع ؛ بسبب الحاجة إلى زيادة الحيطة من اختلاق الأحاديث المكذوبة، وذلك بدراسة مواطن الرواة ورجال الحديث ورواته فيها[7]. يروي الخطيب

---

1) انظر: خطة الكتاب بجزئية الأول، ص 431-437، والثاني، ص 386-392.

2) النديم، الفهرست، ص 122. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 306. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج1، ص 137.

3) نشر الكتاب. انظر: طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق علي دندل وياسين بيان.

4) النديم، الفهرست، ص 125.

5) انظر: فهرس موضوعات الكتاب بجزئية الأول، ص 427، والثاني، ص 311.

6) دائرة المعارف الإسلامية، مادة الرازي.

7) روزنثال، علم التاريخ، ص 228.

البغدادي قولاً للحافظ أبي الفضل صالح بن محمد التميمي:" ينبغي لطالب الحديث ومن عني به أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهله، وتفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحة وسقيمة، ويعرف أهل الحديث به وأحوالهم معرفة تامة، إذا كان في بلدة علم وعلماء قديماً وحديثاً، ثم يشتغل بعد بحديث البلدان والرحلة فيه" [1].

وفي العراق – موضوع الدراسة- كانت مدينة البصرة أول من أُلّف في أخبارها. وأقدم من ورد ذكر تأليفه كتاباً خاصاً بالبصرة هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت 210هـ/825م). ذكر النديم من جملة مؤلفات معمر بن المثنّى الكثيرة (كتاب البصرة)[2]و(قضاة البصرة)[3]0 غير أن هذين الكتابين وكتب أخرى لأبي عبيدة لم تصلنا كاملة، وإنما روايات نقلها عنها عدد من المؤلفين من بعده، وخاصة: البلاذري والطبري والمبرد والجاحظ[4].

وذكر النديم أيضا أن علي بن محمد المدائني (ت 253هـ/867م) له ثلاثة كتب في أخبار البصرة: (كتاب خبر البصرة)[5]وكتاب (قضاة البصرة) [6]، و(مفاخرة أهل البصرة وأهل الكوفة)[7]. ولا بد أن في كل هذه الكتب معلومات عن البصرة وأهلها وعمرانها[8].

يتلو المدائني في الزمن والأهمية عمر بن شبة (ت 262هـ/875م) الذي نقل الطبري عن طريقه ما رواه بدوره عن المدائني. وذكر النديم أن ابن شبّة ألّف كتاباً عن البصرة وعن أمرائها[9]. وقد وصف ابن حوقل الكتاب بقوله:" للبصرة كتاب يعرف بكتاب

1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص 228.
2) النديم، الفهرست، ص 59.
3) النديم، الفهرست، ص 59.
4) العلي، خطط البصرة، ص 10.
5) النديم، الفهرست، ص 115.
6) النديم، الفهرست، ص 115.
7) النديم، الفهرست، ص 115.
8) العلي، خطط البصرة، ص 11.
9) النديم، الفهرست، ص 125.

البصرة، ألّفه عمر بن شبة قبل كتاب الكوفة ومكة يغني عن ذكر شيء من أوصافها. وهذه الكتب موجودة في جميع الأماكن" [1]. نقل عنه ابن خلكان في عدة مواضيع[2]. ذكره ابن حزم (ت 420هـ/1029م) " ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة، وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان في خطط البصرة وقطائعها، وكتابين لرجلين من أهلها، يسمى أحدهما عبد القاهر، كريزي النسب، ذكرا فيهما أسواقها ومحالها وشوارعها" [3]. ولم نجد في المصادر ذكراً لعبد القاهر الكريزي، ولا لكتابة أو كتاب الرجل الثاني من أهل البصرة. ويرى الدكتور صالح العلي أن الكتاب هو لأبي عبد الله محمد بن زياد بن عبيد الله بن الربيع بن زياد بن أبيه الريادي البصري. ويضيف العلي:" لم تذكر المصادر غير ابن حزم كتاباً ألفه أبو عبد الله الزيادي، غير أن الرازي نقل في كتابه (تاريخ صنعاء) عن أبي عبد الله مؤلف كتاب (مناقب البصرة) نصاً عن عدد مساجد البصرة في أيام يحيى بن أكثم، وعدد الحاكة والمساكين بها وأنهارها" [4].

وأشار ابن حجر إلى كتاب في أخبار البصرة لأبي يحيى زكريا بن عيسى الساجي (ت 307هـ/919م)، ونقل منه نصوصاً عدة عن علماء البصرة[5]. والكتاب من خلال الروايات التي نقلها ابن حجر تناولت علماء البصرة وخاصة رجال الحديث.

أما الكوفة، فقد وضع الهيثم بن عدي (ت 206 أو 207هـ/821-822م) ثلاثة كتب في تاريخها وأخبارها. اثنان خصصهما للحديث عن الجانب الإداري في المدينة: (كتاب قضاة الكوفة والبصرة) و(كتاب ولاة الكوفة). والثالث خصصه للحديث عن تخطيط مدينة الكوفة سماه (خطط الكوفة[6]).

---

1) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 214.

2) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 154، ص 322. ج4، ص 184. ج6، ص 105، ص 149، ص 366، ص 367. ج7، ص 107.

3) ابن حزم، نفح الطيب، ج4، ص 160.

4) العلي، خطط البصرة، ص12. وانظر الخبر: الرازي، تاريخ صنعاء، ص 116.

5) ابن حجر، لسان الميزان، ج1، ص 601. ج2، ص 85، ص 128، ص 182.

6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص 107.

وأشار النديم إلى كتاب وضعه أبو الحسين محمد بن علي بن تمام الدهقان[1] الكوفي في مناقب ومآثر الكوفة سماه (كتاب فضائل الكوفة)[2].

وتاريخ الكوفة لأبي الحسن محمد بن جعفر بن محمد النحوي المعروف بابن النجار[3](ت 402هـ/1011م) والكتاب مفقود اطلع عليه ياقوت الحموي، ونقل منه ثلاث روايات[4]. ويلاحظ من الروايات أن الكتاب هو تراجم لعلماء الكوفة في مختلف العلوم كالفقه والحديث[5] والأدب والنحو[6].

أما مدينة بغداد، فكان أول من ألف في تاريخها أحمد بن أبي طاهر المعروف بطيفور (ت 280هـ/893م) الذي خصص الجزء الأول منه لخطط بغداد وتطورها العمراني[7].

وممن ألّف تاريخاً لبغداد- ولم يصل إلينا- أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سلم التميمي المعروف بابن الجعابي البغدادي المولد سنة (284هـ/897م) والمتوفي ببغداد سنة (355هـ/965م). فقد صنّف التصانيف الكثيرة وخاصة تواريخ الأمصار. ذكر إسماعيل باشا منها (أخبار بغداد وطبقات أصحاب الحديث)[8]. ومع ذلك علمه فقد تناولته ألسن النقد، واتهموه بالتساهل[9].

---

1) سماه السخاوي ابن دهجان، الإعلان، ص 648، ونعته بذلك الصفدي، الوافي، ج1، ص 47

2) النديم، الفهرست، ص 122.

3) انظر ترجمته: الخطيب، تاريخ بغداد (طبعة الكتاب العربي) ، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص 280-281. حاجي خليفة، كشف، ج1، ص 302.

4) معجم الأدباء، ج1، ص 342، ج2، ص 487، ج5، ص 281.

5) انظر ابن حجر، لسان الميزان، ج1، ص 568.

6) ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص 342. ج2، ص 487.

7) سالم، التاريخ والمؤرخون، ص107. وقد فصلنا الحديث عنه تحت عنوان التاريخ على العهود.

8) البغدادي، إيضاح المكنون، ج1، ص 41.

9) ابن حجر، لسان الميزان، ج5، ص 320.

ووضع أبو الحسين هلال بن المُحسّن بن إبراهيم الصّابئ (ت 448هـ/1056م) كتاباً في تاريخ بغداد. نقل عنه ياقوت في أكثر من موضع بقوله:" وقرأت في كتاب بغداد تصنيف هلال بن المُحسّن الصّابئ" (1).

وهناك كتابان وضعا في فضائل(2) مدينة بغداد في أيام الخليفة المعتضد (ت289هـ/901م). ألّف الأول أستاذ ومؤدب المعتضدالشيخ أحمد بن الطيب السرخي (ت286 هـ(3)/899م) وسماه (فضائل بغداد وأخبارها) (4). والآخر كتاب (فضائل بغداد وصفتها) ليزد جرد بن مهندار(5).

وكان أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز المعروف ببحشل (ت292هـ/905م) أول من صنّف في تاريخ واسط. تناول بحشل في كتابه بناء مدينة واسط وذكر خططها، وشيء من أخبارها، ثم ذكر أسماء من اشتهر من أبنائها في القرنين الثاني والثالث الهجريين. واقتصر على ذكر رواة الحديث من أهل واسط أو ممن طرأ عليها، فهو في كتابه أقرب إلى علماء الحديث(6)، فصنّف الرواة تبعاً لعصرهم، مستعملاً لفظة قرن(7) بدل من طبقة التي انتشر انتشر استعمالها فيما بعد(8). فأول جيل هم من جاء واسط من صحابة الرسول

---

1) انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 251 (مادة الحريم) ، ج2، ص 435 (مادة الداهرية) ، ج2، 449 (مادة درتا) ، ج4، ص 365 (مادة قصر ابن هبيرة) .

(2) أشار الذهبي إلى السبب الذي كان وراء ظهور كتب الفضائل وبداياتها:" وأما الفضائل، فلا تحصى كم، وضع الرافضة في فضل أهل البيت، وعارضهم جهلة أهل السنّة بفضائل معاوية" . لسان الميزان، ج1، ص 106. وتطور مفهوم الفضائل وأصبح عنواناً لكتب تظهر فضل مدينة على غيرها من المدن.

3) وكان سبب قتله أنه كان " يرى رأي الفلاسفة" . الذهبي، سير، ج13، ص 448. ابن حجر، لسان الميزان، ج1، ص 295.

4) النديم، الفهرست، ص 321.

5) النديم، الفهرست، ص 142.

6) تاريخ واسط، ص 47.

7) تاريخ واسط، ص 47، ص 85، ص 151.

8) روزنثال، علم التاريخ، ص 229.

-صلى الله عليه وسلم- الذين خدموه، ورأوه، ورووا أحاديثه، وسمعوا كلامه. وقد كتب عن كل علَم أخبارا قليلة جداً تقتصر على ذكر اسمه ومن روى عنه [1].

أما الموصل وتاريخها، فكان لأبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي (ت 334هـ/945م) الريادة في ذلك، فقد صنّف (تاريخ الموصل). يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء[2]، وصلنا منه الجزء الثاني الذي حققه علي حبيبة[3]. ورغم عنوان الكتاب (تاريخ الموصل)، لكن من الصعب الحكم على ما إذا كان هذا تاريخاً عاماً أو تاريخاً خاصاً، وليس في الكتاب مفتاح لرغبة المؤلف الأساسية وقد لا يكون كذلك -كما يقول محقق الكتاب- لأننا لا نملك إلا الجزء الثاني من الكتاب[4]. فمع اهتمامه بالترجمة لمحدّثي الموصل، فإن ما وصلنا من الكتاب تضمن دراسة تاريخية على النهج الحولي لحوادث تاريخ واسط ضمن إطار تاريخ الدولة الإسلامية بين (101-124هـ[5]/719-741م).

ويمكن تلخيص المحاور التي اهتم بها الأزدي في كتابه:

- يهتم بتاريخ الموصل وبكل ما يتعلق بها، ويذكر ملاحظات جادة عن حياة شعبها ومقدار ما

وصل إليها من الرخاء أو الإهمال.

- يركز على الجانب الإداري في تاريخ المدينة، مشيراً إلى ولاتها وأنسابهم وطريقة وصولهم إلى السلطة.

- أبرز النزاعات القبلية في المدينة معللاً أسبابها.

- تبرز النزعة الإسلامية والانتماء للأمة في كتابه، فهو كمحدّث، لم يستطع فصل علماء ومحدّثي الموصل عن دائرة محدّثي الإسلام كافة، فأشار إلى محدّثي وعلماء المسلمين ضمن حديثه عن علماء الموصل، كشيوخ أو طلاب علم.

---

1) انظر: تاريخ واسط، ص 47 وبعدها من الكتاب.
2) انظر: تفاصيل ذلك مقدمة المحقق، ص 15.
3) وصدر عن لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967.
4) انظر: مقدمة المحقق.
5) سالم، التاريخ والمؤرخون، ص 107.

لـذا لا يمكـن أن نعتـبر تـاريخ الموصـل، تـاريخ خـاص أو تـاريخ حـولي عـام للدولـة الإسلامية، لأن الأزدي حاول أن يعالج تاريخ بلده ضمن الإطار العـام للتـاريخ الإسـلامي، ولعل الأصح أن نقول انه تاريخ عام من وجهة نظر مواطن موصـلي، تثـير اهتمامـه بعـض حوادث التاريخ التي أثرت في حياته[1].

ووضع الأخوان أبو بكر محمد بن هاشم بن وعله[2] (ت380هـ[3]/990م) وأبي عـثمان سعيد بن هاشـم بـن وعلـة(ت بحـدود 400هــ[4]/1009م) الخالـديين[5] كتابـا في (أخبـار الموصل). قال النديم:" قال لي أبو بكر منهما: إني أحفظ ألف سمر كل سمر في نحـو مئـة ورقة، ولهما من الكتب أخبار الموصل، وأخبـار أبي تمـام" [6]. ولعـل (أخبـار الموصـل) هـذا يشبه تاريخ أبي زكريا الأزدي، وإذا جاز لنا أن نحكم من مقتطفات باقية من هذا الكتـاب قلنا هذين المؤلفين الشاعرين وضعا الموصل في مكانها ضمن نطاق جغرافي وربمـا تـاريخي أوسع[7].

ج-التراجـــم

نتيجة لحاجات التنظيم الإداري والسياسي، نجـد جهـداً واضـحاً قـد بـذل عـن طريـق التدوين التاريخي لتأصيل وتوطيد المؤسسات التي تقوم عليها الدولـة، ولتعلـيم الأجيـال اللاحقة تجارب الأجيال السابقة. وهكذا فتح على علم التاريخ باباً واسعاً آخر من

1) تاريخ الموصل، مقدمة المحقق، ص 18.
2) وحرف الاسم إلى أبي ركوة. حاجي خليفة، كشف، ج1، ص 30.
3) الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص 52.
4) الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص 57. الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص 214، الذهبي، سير، ج16، ص 387
5) نسبة إلى قرية الخالدية من قرى الموصل. الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص 52.
6) الذهبي، سير، ج16، ص 387. الصفدي، الوافي، ج1، ص 47.
7) روزنثال، علم التاريخ، ص 212. أخذ عنه ابن العديم في بغية الطلب، ج1، ص 445.

المعلومات من خلال الكتب التي تتحدث عن كبار رجال الإدارة، وصار عنواناً لسلاسل طويلة عبرت العصور عصراً عصراً[1].

وتبرز أهمية مثل هذه الكتب بما تكشفه عن الأنظمة الإدارية التي كانت تسير عليها الدولة العباسية وأنواع الرقي في الدواوين، والدقة في نظام المراسيم وإثباتها والتوقيع عليها وحفظها في ملفات، وما كان يتبع في أمور المخاطبات والمكاتبات الصادرة والواردة.

ومن خلال ترسيخ المبادئ السابقة، كانت الروايات التاريخية التي استخدمت للتدليل على ذلك، تظهر الحقائق التاريخية حول المؤامرات والدسائس، وأظهرت دور النساء والجواري في السياسة والتدخل في شؤون الحكم والتلاعب بمقدرات الخلافة لمصلحة مادية خاصة، أو رغبة في الانتقام مع كان يعقب ذلك من ويلات تحل بالدولة والمجتمع.

وفي هذه الكتب نجد أخباراً نادرة، وحقائق نافعة، لا نجدها في غيرها من كتب التاريخ، وخاصة ما يتعلق بتاريخ الكتابة الإنشائية الفنية، وتاريخ الوزارة والوزراء، والتاريخ الحقيقي للخلفاء، وما اشتملت عليه حياة القصور من مظاهر الترف واللهو، التي يسدل بينها وبين أعين العامة حجاب صفيق.

وقد يكون من أقوى جهات هذه الكتب نفعاً، كشفها اللثام عن بعض مظاهر الحضارة الفارسية التي اقتبسها المسلمون عن الفرس، وخاصة في تنظيم الإدارة وجباية الخراج وتدوين الدواوين وضروب السياسة التي أخذ بها الخلفاء العباسيون في عصر القوة، الذي يبتدئ بالسفاح[2].

كما تبرز أهمية هذه الكتب بما تقدمه من معلومات وافية عن الأمور المالية التي تتيح بناء الهيكل الأساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي للقرون الأربعة الأولى من تاريخ الدولة الإسلامية. فالرسائل والسفاتج والرقاع وتفاصيل الحياة التجارية أصبحت في متناول دارسي التاريخ.

---

1) مصطفى، التاريخ، ج1، ص 313.

2) الجهشياري، الوزراء، (مقدمة المحقق) .

ففي الكتب التي تناولت تراجم الوزراء، كانت سلسلة طويلة بدأها أبو عبد الله محمد بن داوود بن الجراح (ت 296هـ/908م) بتأليفه (كتاب الوزراء). وقد كان محمد بن الجراح نفسه وزيراً ليوم واحد للخليفة ابن المعتز- وهي مدة خلافته [1]. وصفه النديم بقوله:" كان عالماً، قد لقي الناس، وأخذ عن العلماء والفصحاء والشعراء" [2]. وله من الكتب غير كتاب الوزراء، كتاب (الورقة في أخبار الشعراء) [3].

وتجدر الإشارة إلى أن محمد بن داوود بن الجراح ينتمي إلى أسرة كان لها باع طويل في الإدارة والسياسية إضافة إلى الحياة الثقافية، خاصة في مجال الكتابة التاريخية. فوالده داوود كان كاتب للخليفة المستعين، وله من الكتب التاريخية (كتاب التاريخ وأخبار الكتاب). وتولى علي بن عيسى بن داوود الوزارة للمقتدر ثلاث مرات، وصنّف كتاباً أسماه (كتاب الكُتاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء). أما أبو القاسم عبد الله بن علي بن داوود بن الجراح، فصنّف (كتاب الاستفادة في التاريخ). وسار عبد الرحمن بن عيسى على نهج أجداده فوضع كتاباً في التاريخ على النهج الحولي من سنة سبعين ومائتين إلى أيامه[4].

وسار على نهج ابن الجراح صاحبه أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار الثقفي الكاتب[5](ت 319هـ/931م) المشهور بلقب " حمار العزيز" فقد صنّف كتاباً أراد به استكمال ما ألّفه ابن الجراح، ويظهر ذلك من اسم كتابه (الزيادات في أخبار الوزراء)[6].

---

1) النديم، الفهرست، ص 142.

2) النديم، الفهرست، ص 142.

3) النديم، الفهرست، ص 142.

4) انظر تفاصيل دور آل الجراح في الكتابة التاريخية، النديم، الفهرست، ص 142-143.

5) انظر: ترجمته في النديم، الفهرست، ص 166، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4، ص 252، ياقوت الحموي، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ، ج1، ص 367. الصفدي، الوافي، ج7، ص 173.

6) النديم، الفهرست، ص 166. وقال الذهبي صراحة أنه ذيلاً على كتاب أخبار الوزراء لمحمد بن داوود بن الجراح، لسان الميزان، ج1، ص 325.

وشارك في هذا المنحى من الكتابة التاريخية كذلك كل من: أبي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الماشطة (عاش في خلافة الراضي)، وقد انتهى في كتابه إلى أخبار وزراء الراضي بالله[1](329هـ/940م). وإبراهيم بن محمد بن نفطوية (ت 323هـ/934م). له (كتاب الوزراء) [2]. ووصنّف أبو الحسن علي بن الفتح بن المطوق الكاتب (ت336هـ/947م) كتاب(مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم). وقد انتهى ابن المطوق في كتابه إلى سنة (319هـ/931م). فشمل بذلك أخبار عدة من وزراء المقتدر بالله[3]. أشار التنوخي إليه في كتابه (الفرج بعد الشدّة) بقوله[4]:" عاش إلى ما بعد سنة عشرين وثلاثمائة، وأخرج إلينا كتاباً قد عمله في أخبار الوزراء" كتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم" . وأضاف[5]:" وأخرج إلينا كتاباً قد عمله في أخبار الوزراء منذ وفاة عبيد الله بن خاقان[6] إلى آخر أيام القاهر بالله[7] أو بعدها" . أما النديم فأشار إلى أن ابن المطوق وصل به كتاب محمد بن داوود بن الجراح، وعمله إلى أيام أبي القاسم[8] الكلواذي[9].

وإذا كان جميع ما ذُكر سالفا من كتب في تاريخ الوزراء لا زال مفقودا حتى يومنا هذا، فإنه وصلنا مجموعة أخرى ، منها: كتاب (الوزراء والكتاب)لأبي عبد الله

---

1) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 9.
2) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 9.
3) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 9.
4) ج2، ص 172.
5) المصدر نفسه، ج2، ص 172.
6) استوزره المتوكل، ثم المعتمد وكانت وفاته سنة 263هـ ابن الطقطقا، الفخري، 251.
7) كانت وفاة الخليفة القاهر سنة 322هـ ابن ا الفخري، ص 276.
8) أبو القاسم عبيد الله بن محمد استوزره الخليفة المقتدر بعد ابن مقلة سنة 318 هـ ومدة وزارته كانت شهرين، ابن الطقطقا، الفخري، ص 273.
9) النديم، الفهرست، ص 143.

محمد بن عبدوس المعروف بالجهشياري[1] (ت 331هـ/ 942). وقد تمّ نشر هذا الكتاب، الكتاب، لكن المنشور منه ليس كاملا[2]، فهو يمثل جزءاً من الأصل ينتهي بوزارة الفضل بن بن سهل للمأمون، ولعل الذي نشر نصفه أو أقل[3]. فالكتاب ينتهي بانتهاء وزارة أبي أحمد العباس بن الحسن للمستكفي سنة (296هـ/909م). ويؤكد ذلك ما ذكره أبو الحسن هلال بن المُحسّن الصّابئ حين قال[4]:" وكان أبو عبد الله محمد بن عبدوس قد جمع من أخبار الوزراء ما وقف فيه عند أبي أحمد العباس بن الحسن" .

إن المدة التي بين وزارة الفضل بن سهل وموت الوزير أبي أحمد العباس بن الحسن سنة (296هـ) حافلة بطائفة من الوزراء والكُتّاب الكبار في الدولة العباسية، ومنهم من تولى الوزارة مرتين أو أكثر. وقد زاد عدد الوزراء في هذه الفترة عن ثمانية وعشرين وزيراً، فإذا أضيف إليهم الكُتّاب الذين لم يكونوا وزراء، بلغت أعدادهم شيئاً كثيراً، وأكبر الظن أن الجهشياري قد أفاض في تاريخ هؤلاء الوزراء والكُتّاب الكبار، ذلك أن معظم حوادث تلك الفترة، وقعت على مرأى ومسمع من المؤلف، وهذا يجعله يعالج المسائل التاريخية لذلك العهد معالجة أدق منها في أي عصر آخر[5].

بنى الجهشياري كتابه (الوزراء والكُتّاب) على عهود الخلفاء. فبعد أن قدم بمقدمة تناولت بداية الكتابة الديوانية في عهد ملوك الأكاسرة، وإشارته إلى الكتبة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تناول الكُتّاب، ثم الوزراء عهداً بعد آخر، بدأه بأيام

1) انظر ترجمته، النديم، الفهرست، ص 141. الصّولي، أخبار الراضي، ص 83. مسكويه، تجارب، ج1، ص 269.ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص 25. الصفدي، الوافي، ج3، ص 205. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 332.

2) ورد اسم الكتاب بصور آخر، فابن خلكان يذكره باسم أخبار الوزراء. وفيات، ج3، ص 231

3) قام ميخائيل عواد بجمع النصوص المفقودة من كتاب الوزراء، ونشر ما توفر له بعنوان " نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري" . .

4) الصّابئ، تحفة الأمراء، ص 2.

5) الجهشياري، الكتاب والوزراء، (مقدمة المحقق) .

الخليفة أبي بكر الصديق إلى أيام المأمون[1]. وفي بداية عهد كل خليفة يتناول خلافته بفقرات قصيرة وموجزة، ثم يلج الموضوع المخصص له كتابه (الكُتّاب والوزراء)0

لم يحدد الصّولي الوزراء الذين تناولهم في كتابه، لكن الصّابئ الذي اطلع على كتاب الصّولي أشار إلى آخر الوزراء الذين ترجم لهم الصّولي يقول الصّابئ:" ووضع أبو بكر محمد بن يحيى الصّولي كتاباً في مثل ذلك -تاريخ الوزراء- رأيت منه ما كان إلى آخر أيام القاسم بن عبيد الله بن سليمان" [2].

سار محمد بن يحيى الصّولي على نهج الجهشياري،فصنّف كتاب (أخبار الوزراء). وجعله ذيلاً ومكملاً لكتاب (الوزراء والكُتّاب). ويمكن الحكم أن كتاب (الوزراء) للصولي هو تكملة لكتاب (الوزراء والكُتّاب) للجهشياري. نبني هذا الحكم على حقيقتين:

أ- أن كتاب الجهشياري وقف به صاحبه عند الوزير أبي أحمد العباس بن الحسن وزير المستكفي (ت 295هـ/907م) والذي تولّى الوزارة للمقتدر حتى وفاته.

ب- الروايات التي نقلها عنه بعض المؤرخين تؤكد ما سبق، فابن الطقطقا يبدأ بالإشارة إليه كمصدر للمعلومات عن وزراء الخلفاء للمرة الأولى في وزارة العباس بن الحسن، وهو الوزير الذي توقف عنده الجهشياري، والذي تولى الوزارة للمقتدر فترة قصيرة من الزمن إلى أن قتل إلى أثر الفتنة التي وقعت بين المقتدر وعبد الله بن المعتز[3]. ثم تتوالى إشارات ابن الطقطقا إلى الصّولي في حديثه عن الوزراء لتشمل وزراء المقتدر جميعاً[4]. بمعنى أن كتاب الوزراء للصولي قد ترجم لوزراء الخليفة المقتدر الذي حكم مدة خمسة وعشرين عاماً (295-320هـ/907-932م). ويؤكد هذه الحقيقة قول الصّابئ في وصفه لكتاب (الوزراء) للصولي:" وصنع أبو بكر محمد بن يحيى الصّولي في مثل ذلك كتاباً رأيت منه ما كان إلى آخر أيام القاسم بن عبيد الله" [5].

---

1) هذا في الجزء الذي وصلنا من الكتاب.

(2) الصّابئ، الوزراء، ص11

3) ابن الطقطقا، الفخري، ص 264.

4) الفخري، ص 267، ص 272، ص 295.

5) الصّابئ، الوزراء، ص21

أما أبو الحسن هلال بن المُحسّن الصّابئ (ت 448هـ/1056م) وكتابه (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) فجاء ليكمل ما انتهى إليه الجهشياري في هذا المجال، فهو لا يقم وزناً لما ألّفه الصّولي لأنه " ملأه بالحشو الزائد، وكسفه بشعره البارد" [1].

تناول الصّابئ في مقدمة كتابه سيرته الذاتية كما عودنا أهل التراجم من ذكر: اسمه وأسرته ومولده ، وما عرض المترجَم من أحداث في حياته، وأشار إلى أنه قرض الشعر وأورد طائفة منه.

والوزراء الذين ترجم لهم الصّابئ فيما وصلنا من كتابه هم: أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات، وأبو علي محمد بن عبيد الله بن خاقان، وعلي بن عيسى. وفي أثناء ذلك يذكر أخبار لوزراء آخرين تتصل بالمترجم لهم. وقد وعد في المقدمة إلى أنه سيتكلم عنهم. وهذا ما يؤيد أن ما وصلنا ليس الكتاب كله بل جزءاً منه، يقول في معرض حديثه عن حامد بن العباس:" ونحن نذكر تمام حديثه إلى حين وفاته في أخباره" [2]. تتكرر مثل هذه الإشارة في " نظر أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني في الوزارة على ما ذكرنا في أخباره" [3]، كذلك عندما ورد ذكر الخصيبي[4] " وقد ذكرنا حاله فيما نقله من أعمال الشّام في وزارة الخصيبي" [5].

والصّابئ كما أشار في مقدمته لا يسير حسب التسلسل التاريخي، بل يتناول الوزير الأول ثم وزارته إلى أن يستوفيها، تاركاً ما تخلل من عزل، يأتي بعد ذلك بأخبار منثورة للوزير فيها طرائف ونوادر، وقد أوضح ذلك في المقدمة:" ونحن نبدأ فيما نورده بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات، لأنه تلا أبا أحمد العباس بن الحسن، ونجعل ذكر وزارته الثلاث متصلاً غير منقطع، ومجتمعاً غير متقطع، ونجري على هذا المثال

---

1) الصّابئ، الوزراء، ص36
2) الصّابئ، الوزراء، ص 44.
3) الصّابئ، الوزراء، ص 60.
4) هو أحمد بن الخصيب وزير الخليفة المنتصر. ابن الطقطقا، الفخري، ص 239.
5) الصّابئ، الوزراء، ص 336.

في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم، إذ كان الغرض سياقه أخبارهم ومجاري أمورهم إلى غاية مددهم وانقضاء أيامهم، لا ترتيب خلفائهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم" [1].

تبرز أهمية كتاب الصّابئ من المصادر التي اعتمد عليها في وضع كتابه والتي كان على رأسها الوثائق والسجلات الرسمية ، وهو يشير إلى ذلك " ووجدت عملاً يشتمل على ذكر أحمد بن محمد الطائي وما ضمنه من الأعمال" [2]. وقوله:" وجدت ثبتاً بما كان أبو الحسن بن الفرات يخاطب به السيدة والأمراء وأولاد الخلفاء والولاة " [3]. وكقوله:" وجدت نسخة عما كتبه أبو الحسن بن الفرات عن نفسه إلى ولاة البلاد عند تقلده الوزارة" [4].

استطاع الصّابئ الوصول إلى مثل هذه الوثائق من خلال عمله في ديوان الإنشاء:" وعهدي وأنا أوقّع في قصص المتظلمين في أيام صمصام الدولة عن أبي إسحاق جدي في ديوان الإنشاء" [5].

وكان القضاة وأخبارهم ميدانا آخر من الميادين التي صنّف بها المؤرخين. وأول من ألف في أخبارهم الهيثم بن عدي[6] (ت 207 هـ/822 م). وفي القرن الرابع كان أبو محمد بكر بن خلف المعروف بوكيع (330هـ/941م) من أشهر المصنّفين في أخبارهم ، وسماه (أخبار القضاة وتاريخهم وأحكامهم)[7]. وصنّف أبو بكر أحمد بن كامل بن شجرة البغدادي ت350هـ/961م (أخبار القضاة) [8]. وسار على نهجهم كل من طلحة بن محمد

---

1) الصّابئ، الوزراء، ص 10.
2) الصّابئ، الوزراء، ص 15.
3) الصّابئ، الوزراء، ص 166.
4) الصّابئ، الوزراء، ص 255.
5) الصّابئ، الوزراء، ص 170.
6) النديم ، الفهرست ، ص112.
7) وهذا الكتاب منشور.
8) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ج1، ص547، بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص72

الشاهد المؤرخ البغدادي (380هـ[1]/990م) والحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي[2] (ت409هـ /1018م).

ودخل المشتغلون بالكتابة التاريخية ميدانا آخر تمثل في تسجيل أخبار العلماء في مختلف أنواع العلوم. وكان أول من حظي باهتمامهم المحدّثين والفقهاء. كان محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ/823م) وتلميذه محمد بن سعد (ت230هـ/844م) روادا في هذا المجال. وصنّفوا رواة الحديث في طبقات من الصحابة والتابعين حسب أهميتهم العلمية، ثم حسب المدن التي استقروا بها. ويبدوا على هذا الشكل آن اهتمام مؤرخي الطبقات انصب على دراسة حياة رواة الحديث والأخبار، ومن ثم توسع مجال الطبقات فأصبح الاهتمام ينصب على تصنيف أقطاب كل علم وفن وجمعهم في مصنّف خاص بهم [3] .

تنبع أهمية كتب الطبقات لما تأتي به من فواد تقصر عنها كتب التاريخ العام التي عنيت بتدوين الحوادث. وكثيرا ما يغفل هذا النوع من الكتب دقائق الأمور، فتكون كتب الطبقات والتراجم مكملة لها، بما تحويه من تفاصيل عن حياة العلم وسيرته وعلاقاته بالأطر الاجتماعية التي يعيش بها ويتفاعل معها من ثقافة وعلم وسياسة وفن، يتتبع ذلك واضع التراجم ويسجلها. قال الذهبي في مقدمة تاريخه:" انه لم يعتن القدماء بضبطها كما ينبغي، بل اتكلوا على حفظهم، فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب وقت الشافعي، ثم اعتنى المتأخرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم، حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة لمعرفتنا لهم، فلهذا حفظت وفيات خلق من المجهولين، وجهلت وفيات أئمة من المعروفين" [4].

فالكتب التي صنّفت كان هدفها خدمة علم الحديث. وممن صنّفوا في أخبارهم: أبي الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي (ت351هـ/962م). وانتهى بكتابه إلى سنة (346هـ[5]/957م). وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن زبر البغدادي (كان حيا سنة 342هـ

1) الصّابئ، الوزراء، ص 170.) الذهبي، سير، ج16، ص396.
2) الصّابئ، الوزراء، ص 170. السخاوي، الإعلان، ص574.
3) مصطفى، التاريخ العربي، ج1، ص396
4) الذهبي ، تاريخ ، ج1 ، ص11 .
5) السخاوي، الإعلان، ص701.

/949م). ابتدأ كتابه من السنّة الأولى للهجرة إلى سنة (338هـ[1]/949م). ويظهر من تعليق السخاوي على الرجلين بقوله:" وهما ممن تكلم فيهما " [2]من أن الكتابين تناولا رواة الحديث.

أما علماء الموصل, فقد صنّف في أخبارهم أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي (ت334هـ/945م) سماه (طبقات العلماء من أهل الموصل) [3].

وحظي القرّاء وأخبارهم بالاهتمام أيضا. وكان أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد المقرئ المعروف بالنّقّاش الموصلي (ت351هـ/963م) عالما بالقرآن وعلم القراءات. وقد دفعه ذلك ليضع ثلاثة كتب في أخبار القراء: (المعجم الأصغر)، (المعجم الأوسط)، و(المعجم الكبير في أسماء القراء وقراءتهم)[4]. ووضع أبو بكر محمد بن الحسن الدراقطني (ت351هـ/963م) كتابا في أخبار القراء سماه (الأكبر في أسماء القراء وقراءتهم)[5].

وفي طبقات المتكلمين، صنّف كل من: أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبان (كان حيا سنة 377هـ/987م) سماه (المرشد في أخبار المتكلمين أهل التوحيد)، وجعله في نحو ألف صفحة[6]. وأبي بكر محمد بن فورك (ت406هـ[7] /1015م). أما المعتزلة، فقد صنّف في أخبارهم محمد بن عمران المرزباني كتاب (أخبار المعتزلة)[8].

---

1) السخاوي، الإعلان، ص701.

2) السخاوي، الإعلان، ص701.

3) الكتاب منشور بتحقيق علي حبيبه.

4) النديم، الفهرست، ص36.

5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص298.

6) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ج5، ص308.

7) النديم، الفهرست، ص147.

8) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص29.

كما نال النحاة اهتمام المؤرخين، فألفوا في طبقاتهم. كان أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ/898م) أول من صنّف في أخبارهم، وسماه (أخبار البصريين)[1] . وسار على نهجه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت بعد 347هـ[2]/958م). ثم صنّف في أخبارهم أبو سعيد حسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (368هـ[3] /978م). وكذلك محمد بن عمران المرزباني وسماه (المقتبس في أخبار النحاة)[4]. وجاء أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت378هـ/989م) ليضع كتابا شاملا في أخبار النحاة من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمانه[5].

أما الشعراء، فكان محمد بن سلام الجمحي (ت231هـ/845م) أول من ألف في طبقاتهم وجعل كتابه (طبقات فحول الشعراء) ثلاثة أقسام: الأول لشعراء الجاهلية، والثاني لشعراء القرى العربية، والقسم الثالث للشعراء الإسلاميين، وقسمه إلى عشرة طبقات[6]. وفي القرن الثالث أيضا صنّف كل من ابن المنجم[7]، وابن قتيبة [8].

وشهد القرن الرابع مؤلفات عدة في أخبار الشعراء. فقد وضع أبو القاسم الحسن بن بشر الامدي (ت371هـ/948م) كتابا سماه (معجم الشعراء)[9]. وكان أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني من المكثرين في تراجم الشعراء، وضع في ذلك ثلاثة كتب: جعل الأول في أخبار الشعراء المشهورين من المحدّثين بدأهم ببشار بن برد، وختمهم بعبد الله بن المعتز. وخصص الكتاب الثاني، للشعراء المتيمين في الجاهلية والإسلام، سماه

1) الذهبي، سير، ج12، ص448.
2) النديم، الفهرست، ص68.
3) النديم، الفهرست، ص68، الصفدي، الوافي، ج1، ص54.
4) النديم، الفهرست، ص68
5) الصّابئ، الوزراء، ص 170، السخاوي، الإعلان، ص566.
6) الكتاب منشور في أكثر من طبعة.
7) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ج5، ص378.
8) الذهبي، سير، ج12، ص297.
9) النديم، الفهرست، ص149.

(الرياض في أخبار المتيمين من الشعراء)، والثالث سماه (المفيد). اشتمل على من غلبت عليه كنيته من الشعراء، أو اشتهر بكنية أبيه، أو نسب إلى أمه. وختم المرزباني كتبه بـ (معجم للشعراء على حروف المعجم). شمل خمسة آلاف شاعر[1].

وهناك مجموعة من الكتب خصصها أصحابه لأحد الشعراء منها: (أخبار أبو تمام) لمحمد بن عمر المرزباني[2]. كما صنّف الصّولي في أخبار كل من العباس بن الأحنف وأبو عمر ابن العلاء. كما خصص الجزء الثاني من كتاب الأوراق لمن اشتهر بالشعر من الخلفاء وأبنائهم، وعدد من الشعراء[3]. ودوّن أحمد بن عبيد الله الثقفي كتبا في أخبار كل من ابن ابن الرومي وأبي العتاهية [4]. وصنّف الأخوان محمد وسعيد ابني هاشم بن وعلة (عاشا في القرن الرابع) كتابا مشتركا في أخبار أبي تمام ومحاسن شعره [5].

واسترعت ظاهرة القصاص والمذكرين اهتمام بعض المؤلفين، فجمعوا أخبارهم تحت عنوان أخبار القصاص. كان أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الدار قطني (ت351هـ/962م) أول من أشارت المصادر إلى تأليفه في أخبارهم [6]. وصنّف كذلك محمد بن الحسن بن زياد المعروف بالنقاش (ت351هـ[7]/962م).

أما المغنين والقيان, فقد كان السبق في تسجيل أخبارهم لحنين بن إسحاق في كتابه (القيان) [8]. وسار على نهجه أحمد بن جعفر بن برمك المعروف بجحظة (ت326هـ/937م)

1) النديم، الفهرست، ص168.
2) النديم، الفهرست، ص168.
3) النديم، الفهرست، ص168.
4) النديم، الفهرست، ص167.
5) النديم، الفهرست، ص169.
6) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ج5، ص308.
7) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص298.
8) النديم، الفهرست، ص158.

في كتابه (الطنبوريين)[1]. وتناول محمد بن عمران المرزباني في كتابه الواثق الغناء وأحواله وآلاته والمغنين والمغنيات من الحرائر والإماء [2]، وله كتاب آخر سماه (الرائق في أخبار المغنين). جعله في ستمائة ورقة [3].

وكان أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت356هـ/967م)أكثر إحاطة بأخبار المغنين والقيان. من تصانيفه كتاب (القيان)، (أخبار المغنين المماليك) [4]، إضافة إلى كتابه المشهور (الأغاني).

يُعدّ كتاب الأغاني موسوعة حضارية لا يمكن لباحث الاستغناء عنها، لما تحويه من أخبار لا تتوفر في غيره من الكتب، جمع فيه كل ما يتعلق بالغناء، قضى في جمعها أكثر من خمسين عاما. وصفه ياقوت بقوله:" لعمري أن هذا الكتاب الجليل القدر، الشائع الذكر، جم الفوائد عظيم العلم، جمع بين الجد والهزل، وقد تأملت الكتاب وعنيت به، وطالعته مرارا ونقلت منه إلى كتابي الموسوم أخبار الشعراء" [5].

د. التاريخ الحرّ(الاجتماعي).

خلال القرن الثالث الهجري بدأت الكتابة التاريخية تستجيب لتأثير الأدب المتزايد، وراحت في استجابتها تلك تعدل مضمونها وشكلها ومنظورها. فقد نقل التغير التدريجي في المناخ التاريخي إلى بيئة جديدة و دنيويه أكثر. وفي هذه البيئة لم يعد أسلوب الحديث وآفاقه يعتبران مطيتين ملائمتين لتاريخ بات يطلب منه يومها أن يكون أكثر انفتاحا وأشد تحسسا لتحديات الثقافات الأخرى، وكان الأدب الأداة الرِئيسةِ لهذا التحول[6].

1) النديم، الفهرست، ص162.
2) النديم، الفهرست، ص147.
3) النديم ، الفهرست ، ص147 .
4) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ، ج4، ص53.
5) ياقوت، معجم الأدباء (ط الكتب العلمية) ، ج4، ص53 .
6) الخالدي، فكرة التاريخ، ص119

هذا التطور للتاريخ باعتباره تجربة معاشية واكبه تزايد في حدة الشعور بقيمة الشهادة المباشرة، وتزايد الاهتمام بالتاريخ المعاصر والمذكرات الشخصية، فالأخبار التاريخية في صورة قصص حقيقية دونها أولئك الذين عاشوا أو التي دونت عمن شاهدها، فغدت موضع تقدير باعتبارها أمثلة على الأحوال الأخلاقية وعواقب الأعمال أو محنّ النفس البشرية، وذلك لأنها تجارب حقيقية عاشها أشخاص عاديين.

وخلافا للتاريخ السياسي العام المحكوم حتى القرن الثالث الهجري بالإسناد ، ركز هذا النوع من التاريخ على مراقبة مباشرة ، وحاول مناقشة أصرح لمواطن قوة مصادر المعلومات ومواطن ضعفها. لهذا نجد أولئك الذين اهتموا بهذا الجانب أمثال: التنوخي والصّولي والمُحسّن الصّابئ قد انخرطوا في مجرى الأحداث على نحو ما، يقسمون الوقائع والأرقام، ويحددون الأزمنة والأمكنة. وتنكشف حساسية المؤلف كما يحدث للصولي مثلا عندما يصرح بمشكلة توثيق الحوارات:" وما حكيت من ألفاظه - يقصد الخليفة الراضي- وما أحكيه من كلامه بعد فهو كما أحكيه أو شبيهه أو مقارب له، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه وأنا أحفظ معناه" [1] .

وإذا أفرز الخيال الشعبي قصصا خياليا يمتد بين الأسطورة وبين ألف ليلة وليلة، فإنه أنتج بين هذا وذاك قصصا تاريخيا أيضا غرضه الوعظ والإرشاد[2]..

إن القصص والحكايات التي يحكيها الواضع لها إنما يتأثر بالبيئة والمحيط والعادات التي يعيشها نفسه، فتنعكس على صنعته، وما أراد إظهاره في حكايته، فإذا ما تخيل - والحكاية تعتمد الخيال- فإن خياله انعكاس لما في داخله، ولهذا فإن للحكاية أثرا مهما في الاطلاع على حياة الأمم وحضارتها وثقافتها[3]..

والقصص الشعبي العربي الإسلامي إنما هو صورة للتاريخ كما فهمه الشعب، فهو حتى وقت قريب يعد أحسن المحاضرات لتدريس القوم تاريخهم. [4].

---

(1)الصّولي ، أخبار الراضي، ص18

2) مصطفى، التاريخ، ج1، ص297.

3) الشحاذ، بغداد في ألف ليلة وليلة، ص5.

4) إبراهيم، سيرة ذات الهمة، ص58.

أشار النديم إلى أحد أسباب شيوع مثل هذه القصص الشعبي نقلا عن ابن إسحاق:" كانت الأسماء والخرافات مرغوبا فيها في أيام خلفاء بني العباس لا سيما أيام المقتدر، فصنّف الوراقون وكذبوا" [1].

وهكذا ظهرت قصص عنترة والأميرة ذات الهمة وقصص حروب العرب الكبرى في الجاهلية، وهي تحوي في ثناياها الجوانب الحضارية لتلك العصور مما لم تحويه كتب التاريخ السياسي. وكانت مثل هذه القصص مصدرا لمجالس القصاص الشعبيين ، ومصدرا أيضا للقصاص في مجالس العامة من الناس.

ولكن إذا انتقلنا إلى طبقة الخاصة من المجتمع ، فنجدها لم تقنع بمثل هذا النوع من القصص الشعبي، فكانت لهم بدورهم مؤلفات خاصة للأسمار والمنادمة، وكانت مثل هذه الكتب توضع من قبل بعض الندماء ورجال الحاشية أصحاب القدرات الأدبية، والذين صاغوا ما سمعوه وشاهدوه بأسلوب جديد[2].

وكان الجهشياري -أحد رجال البلاط -يحرص على حضور مجالس المنادمة، لما تمتع به من مواهب وحضور خاطر، نجده لأجل تلبية حاجات تلك المجالس، يضع كتابا في الأسمار، جعله ألف ليلة، كل ليلة في جزء قائم بذلته في خمسين ورقة. وقد كتب في ذلك 480 ليلة، ولكنه توفي قبل إتمامه[3]. وكان التاريخ هو العمود الفقري لهذه القصص دون شك[4].

ويدخل في هذا الإطار ما يمكن أن نسميه (التاريخ الحرّ) الذي يؤلف ويروى عن المتصوفة والزهاد والأطباء والجواري والغلمان والنساء والقيم والعادات والتقاليد، بمعنى آخر أنه يسجل مختلف جوانب الحياة العامة والتي أغفلتها كتب التاريخ السياسي .

---

1) النديم، الفهرست، ص132

2) وقد اتخذ موضوع مجالس المنادمة عنوانا لكتب وضعت في أدب النديم وأصول مجالس المنادمة منها ما وضعه حنين بن إسحاق، فقد صنّف ثلاثة كتب في ذلك. النديم، الفهرست، ص158. وكذلك وضع حمدوّن بن إسماعيل بن داوود الكاتب كتاب الندماء والجلساء. النديم، الفهرست، ص161.

3) النديم، الفهرست، ص263

4) مصطفى، التاريخ، ج1، ص299.

وقد كانت مثل هذه المؤلفات المرآة التي امسك بها (المؤرخون الأدبيون)، وكانت أقرب إلى تصوير واقعهم المعاصر. فنجد مؤلفات: ابن أبي طاهر طيفور، والجاحظ، والصّولي، والأصبهاني والتنوخي مأهولة بشخصيات نابضة بالحياة، بحياة يُستدرج القارئ في كثير من الأحيان إلى معايشتها في كافة تفاصيلها الحميمية. فأرخت هذه الكتب " إلى ما أهمله التأريخ " من حياة الناس العاديين أو الطبقات المترفة على السواء، وصورت جوانب مخفية من حياة الطبقات المتدنية من المجتمع، فالأزدي في كتابه (حكاية أبي القاسم البغدادي) يُعتبر مصدرا ونموذجا بغداديا أصيلا ، يستطيع القارئ له أن يطلع على طبيعة حياة الفئات المتدنية من المجتمع. فهو يعرض حياة شيخ بغدادي طفيلي، لكنه فصيح ذرب اللسان، فصور في كتاب مغامرات وأحاديث ذلك الشيخ في يوم كامل في بغداد، فوقفنا من خلال ذلك على الكثير من غرائب العامة في بغداد ومعايبهم[1]. وبعد كل من الأزدي والتنوخي جاء مسكويه وألّف كتابا أسماه (أنس الفريد). يصفه القفطي بأنه أحسن كتابا صنّف في" الحكايات القصار والفوائد اللطاف" [2].

وسار هلال بن المُحسّن الصّابئ على نهج التنوخي، والأزدي، والأصبهاني، فصنّف كتاب (الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان). قال ابن خلكان في ترجمة هلال الصّابئ :" رأيت له تصنيفا، جمع فيه حكايات مستملحة، وأخبار نادرة، وسماه كتاب الأماثل والأعيان[3].

لهذا يمكن القول أن مثل هذه الكتب تعد مصدرا هاما لتاريخ المجتمع الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري. ليس هذا فحسب، بل إن هذه الكتب كانت أكثر جراءة في التعرض لكثير من القيم الاجتماعية الفاسدة التي انتشرت في المجتمع بعد أن ضعف الوازع الديني في النفوس. وفي الوقت نفسه فإن هذه المصنّفات لم تغفل ردود الفعل الاجتماعية للفئات التي أخذت تعاني من هذا التدهور، وخاصة تدهور الأوضاع

---

1) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج3، ص148.
2) القفطي، أخبار الحكماء، ص331
3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص101.

الاقتصادية، فنجد القاضي التنوخي يصنّف كتابا أسماه(الفرج بعد الشدّة) الذي حاول من خلاله التخفيف عما أصاب هؤلاء من ضنك المعاش، من خلال إيراد قصص أفراد تعرضوا في حياتهم لمثل ما تعرضوا له، ولكن الله فرّج عنهم.

وفي ختام الحديث عن تطور اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق في القرن الرابع الهجري، فإن نظرة على الموضوعات التي شملها البحث التاريخي عند العرب والمسلمين في هذه المرحلة تكشف عن مدى استفادة المسلمين من علم التاريخ كأداة حضارية في خدمة مجتمعهم فقد جاء كل نمط من أنماط الكتابة التاريخية لخدمة هدف محدد من أهداف الثقافة العربية الإسلامية. وإذا حاولنا تجميع هذه الأنماط التي أحصاها السخاوي ومن قبله الذهبي في تاريخه في مجموعات أكثر تركيزاً لوجدنا في كل مجموعة استجابة لجانب من جوانب الحياة الثقافية في ظل المجتمع العربي المسلم على مر تاريخه.

وقد عدد الذهبي ما سماه فنون التاريخ التي تدخل في تاريخه الكبير-تاريخ الإسلام، فجعل تلك الفنون أربعين فناً ونوعاً يشكل تاريخ السيرة والأنبياء والصحابة والخلفاء والملوك خمسة فنون منها، أما باقي الفنون فإنها تتعلق تارة بتاريخ التنظيم السياسي والإداري، أو الجوانب الحضارية: تاريخ البخلاء، تاريخ الكرماء، تاريخ الفرسان، تاريخ أهل المجون، تاريخ عقلاء المجانين..الخ[1].

ولأهمية هذا النوع من الكتابات في دراسة تاريخ المجتمع الإسلامي ، فإنه تم اختيار القاضي أبو علي المُحسّن التنوخي (ت384هـ994م) ومصنفاته كنموذج للدراسة.

---

1) السخاوي، الإعلان، ص 522 وما بعدها.

البـاب الثانـي

القاضـي أبو علـي المُحسّـن التنوخـي (ت384هـ/ 994م) نموذجـاً

الفصل الأول: حياة القاضي التنـوخي
الفصل الثاني: منهجية القاضي التنوخي
الفصل الثالث: مصادر القاضي التنوخي

الفصل الأول

حيـــاة القاضي التنـوخـــي

- اسمه ولقبه وكنيته ونسبه
- مولــده ونشـــأته
- ثقــافته
- شيوخـه ومؤدبـوه
- مذهبــه
- الوظـائف التي شغلها
- التنوخي في بلاط عضد الدولة
- مكانته العلمية
- وفـاتـه
- كتـــبه : أهميتها ، مـادتها

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه

هو أبو علي المُحسِّن[1] بن أبي القاسم علي بن أبي الفهم التنوخي[2]. واسم أبي الفهم داوود بن تميم بن جابر بن هانيء بن زيد بن عبيد بن مالك بن مريط بن سرج بن نزار بن عمرو بن الحارث بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن لحاف بن قضاعة[3].

ولد المُحسِّن بالبصرة ليلة الأحد في 26 ربيع الأول سنة 327هـ[4]/29 تشرين الأول 938م ونشأ بها وبمنطقة الأهواز التي كان أبوه قاضياً فيها[5].

وعن نشأته الأولى فإن المصادر المتوفرة لا تسعفنا كثيراً في تتبع مراحل طفولته وصباه، ولا نجد غير إشارتين لتلك المرحلة أولها:" أنه كان أول علم تلقاه هو سماع الحديث، وكان ذلك في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة[6]. وثانيها قول التنوخي:" كنت

---

[1]) قال ابن خلكان: المُحسِّن بضم الميم، وفتح الحاء المهملة وكسر السين وبعدها نون. وفيات، ج4، ص164، ولكن ورد الاسم محرفاً إلى الحسن عند الذهبي، العبر، ج2، ص166.

[2]) نسبة إلى تنوخ، وهو اسم لعدة قبائل، اجتمعوا قديماً بالبحرين، وتحالفوا على التأزر والتناصر، وأقاموا هناك، فسموا تنوخاً، والتنوخ تعني الإقامة، قال أبو العلاء يصف الثلج:

أتـانـا في الولادة وهو شيخ فـأرزى بالشباب و بالشيوخ
وقـال أريـد عندكم تنوخاً فقلت أصبحت أنـا من تنوخ

وتتكون تنوخ من ثلاثة بطون رئيسة هي: قضاعة، والأزد، والأحلاف من إياد ولخم وجذام. الكلبي، نسب معد، ج2، ص405؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص640؛ الخطيب، تاريخ، ج12، ص114؛ السمعاني، الأنساب، ج1، ص484؛ كحالة؛ معجم القبائل، ج1، ص ص133-134؛ نجيب، استقرار القبائل العربية، ص30؛ Kinderman.H, Tanukh, EI1

[3]) الخطيب، تاريخ، ج12، ص78؛ ابن خلكان، وفيات، ج4، ص162؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص228.

[4]) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص178؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2280.

[5]) النشوار، ج1، ص108.

[6]) الخطيب، تاريخ، ج13، ص15.

بالبصرة في المكتب سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وأنا مترعرع أفهم وأحفظ ما أسمع، وأضبط ما يجري" [1].

نشأ التنوخي في بيت علم وأدب، فوالده هو القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي، ولد بإنطاكيا سنة (287هـ[2]/ 900م) ثم قدم بغداد، وتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة[3]، وكان أبو القاسم رجلاً متعدد المواهب، وامتاز بحافظة عجيبة، فقد حفظ قصيدة دعبل - التي يفتخر فيها باليمن، ويعدد مناقبهم، ويرد على الكميت فخره بنزار، وهي نحو ستمائة بيت- في يوم وليلة[4].

أفيقي من ملامك يا ضعينا   كفاني اللوم مرَّ الأربعين

وفي سنة (311هـ / 923م) قلده قاضي القضاة أبو جعفر أحمد بن إسحاق التنوخي القضاء بعسكر مكرم وتستر وجند يسابور والسوس وكلها من كور الأهواز[5]، كما تقلد قضاء البصرة وواسط بضع سنين ثم صرف عنها، فقصد سيف الدولة الحمداني، زائراً ومادحاً، فأكرمه وكتب إلى المسئولين ببغداد، فأعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته[6] وتقلد قضاء إيذج[7] وجند حمص من قبل المطيع الله[8].

إن قدرات أبي القاسم التنوخي قد نبهت إليه أبا عبد الله البريدي، فألحقه بخدمته، وخوّله الكتابة والنيابة عنه في الأمور المهمة، حتى عُدّ في جملة البريديين على ما ذكر المسعودي[9].

---

[1]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص366.

[2]) الخطيب، تاريخ، ج12، ص77.

[3]) المصدر نفسه والصفحة.

[4]) النشوار، ج2، ص ص140-141. ابن كثير، البداية، ج11، ص191.

[5]) النشوار، ج3، ص136.

[6]) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص393.

[7]) إيذج: بدلة بين خوزستان وأصبهان. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص288 وتدعى الآن مالمير.

[8]) الخطيب، تاريخ، ج12، ص78.

[9]) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص229.

وبعد وفاة أبي عبد الله البريدي[1] (332هـ/943م)، استقر أبو القاسم التنوخي بالبصرة، وتوثقت علاقته بأبي محمد المهلّبي، الذي كان يتولى لمعزّ الدولة أعمال الخراج وجباية الأموال فيها، وأصبح فيما بعد وزيراً لمعزّ الدولة بن بويه، حتى صار من أقرب ندمائه بعد توليته الوزارة[2].

ترك أبو القاسم التنوخي جملةً من الآثار، إلا أن جميعها مفقودة حتى الآن. وهي: ديوان شعر. ذكره الثعالبي في اليتيمة بقوله[3]:" ومما أُنشدت له ولم أجده في ديوانه" ، مما يشعر بأن الديوان كان بين يدي الثعالبي. كما أشار ياقوت إلى الديوان ونقل منه. وله من الكتب أيضاً: كتاب في العروض، و كتاب في القوافي، وأخر في الفقه[4].

أما مكانته العلمية، فقد أشار إليها أكثر من مؤرخ وأديب. فالثعالبي يقول عنه[5]:" من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم" . ووصفه الذهبي أنه :" من أذكياء العلم، راوية للشعر، عارفاً بالكلام والنجوم[6]" .

أما عمه القاضي أبو جعفر أحمد بن أبي الفهم التنوخي فقد تولى القضاء في أكثر من موضع[7].

---

[1]) كان أبو عبد الله البريدي حاكماً للأهواز في عهد الخليفة الراضي، ولكن بعد أن استحدث الخليفة الراضي منصب إمرة الأمراء، أصبح هذا المنصب مطمعاً للقادة وأمراء الأقاليم، لذلك أمتنع أبو عبد الله البريدي من إرسال الخراج لحاضرة الخلافة العباسية، وانحاز إلى البويهيين واستولى على واسط. وبعد مقتل أمير الأمراء بجكم ازداد طمع أبي عبد الله في المنصب، فسارع بدخول بغداد عام (329هـ/941م) ، ولكن الخليفة لم يسند إليه منصب إمرة الأمراء، واكتفى بتقليده الوزارة، إلا أنه هرب من بغداد بعد تمرد الجند عليه. مسكويه، تجارب، ج2، ص ص15-16؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص465.

[2]) مسكويه، تجارب، ج2، ص123؛ الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص394؛ هلال ناجي، ديوان القاضي التنوخي الكبير علي بن محمد الإنطاكي، مجلة المورد، مج13، ع1، بغداد، 1984، ص ص32-33.

[3]) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص414.

[4]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص1872.

[5]) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص393.

[6]) الذهبي، العبر، ج2، ص157.

[7]) الفرج، ج5، ص21.

إلا أن التنوخي لم يحدثنا شيئاً عن إخوته كما حدثنا عن جده وأبيه وعمه. فالأرجح أنه كان وحيد أبويه. أما عن عدم ذكره لأمه فأنه قد سار في ذلك على نهج من تقدمه أو عاصره من المؤرخين والأدباء الذين لم نعرف عن أمهاتهم شيئاً. لذلك لا يمكن تأييد فكار (Fakkar) فيما ذهب إليه من أن سكوت التنوخي عن ذكر أمه، دليل على أنها من عائلة مجهولة، ومن أصل وضيع[1].

وكان ولده أبو القاسم علي التنوخي (ت 447هـ /1055م) أديباً شاعراً، تولى الإشراف على دار الضرب[2] بالبصرة، ثم القضاء[3].

ثقافته

بحكم عمل والده كقاضٍ عاش التنوخي متنقلاً في منطقة جنوب العراق بين البصرة والأهواز[4] والأنبار[5] وهيت[6]. حيث وفّر له هذا التنقل أرضيّة خصبة أثرت في توجهه نحو العلم. كما أن هذا التنقل بين جهات العراق كان بمثابة المدد الذي لا ينقطع لذاكرة الصبي بالحوادث المتجددة، والنماذج البشرية المختلفة، ومثيراً لأحداث التاريخ

---

[1]) فهد، القاضي التنوخي، ص ص9-10، نقلاً عن Fakkar, Al-Tnuhi, P4, P12.

[2]) اهتمت الدولة الإسلامية بإقامة دور الضرب في المدن الكبرى، وأصبحت تقدم خدمات جليلة لا تقل شأناً عما تؤديه مصارف الإصدار اليوم. فهي التي كانت تضرب الكميات اللازمة من النقود الجارية في التعامل حينذاك، واللازمة لتنشيط التجارة، وهي التي تزيد في إنتاجها، أو تقلل منه حسب حاجة السوق المحلية. ونظراً لأهمية دور الضرب هذه، أصبحت إدارتها من الوظائف الدينية الشرعية التي تندرج تحت لواء الخلافة وخصص لها عامل مهمته النظر في أمر النقود التي يتعامل بها الناس وحفظها مما يداخلها من الغش والتزييف. التوحيدي، الإمتاع، ج1، ص98؛ ابن بعرة، كشف الأسرار العلمية، ص35-37.

[3]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص1845؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص60؛ ابن العماد، شذرات، ص447.

[4]) الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة اسم يجمعهن الأهواز، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص285.

[5]) الأنبار: مدينة على الفرات، غرب بغداد. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص257. وأثارها لا زالت باقية على بعد 70 كم غرب مدينة بغداد الحالية.

[6]) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد. ياقوت، معجم البلدان، ج5ن ص421. وهي الآن أحد مدن محافظة الأنبار التي تبعد عن بغداد حوالي 70كم غرباً.

القريب منه والبعيد. لذا لا نعجب حين نجد مادة كتبه مستمدة من تاريخ العراق في نسبتها الغالبة، ومن أخبار مدنها وحكايات شعبها[1].

كما أن المُحسِّن التنوخي ولد في أسرة عربية عُرفت بالعلم والأدب والتأليف[2]، أثرت في توجهه العلمي، فكان لشخصية والده أثر كبير في اتجاهه نحو العلم، إضافة إلى تحديد مكانته الاجتماعية ووجهته في التأليف، فقد كان الوالد من أعلام عصره، مرموق المنزلة، وقد روعيت هذه المنزلة في اختيار ابنه المُحسِّن لمنصب القضاء وهو في شرخ الشباب. بل أسبغت عليه حماية الوزير أبي محمد المهلّبي- وزير معزّ الدولة- الذي وصفه ابن الأثير :" بأنه كان كريماً فاضلاً، ذا عقل ومروءة" [3].

لقد مات والده وهو في الخامسة عشرة من عمره، وبهذا يكون قد قضى في رعاية أبيه أهم سنوات تكوينه الثقافي، إلا أنه أفاد مباشرة من الندوات الثقافية التي كان يحضرها مثقفو البصرة في منزل هذا الأب: المحدّث، والشاعر، والأديب. ولقد كانت البصرة إلى عصر المُحسِّن أحد العواصم الثقافية الهامة في العالم الإسلامي، تتوارث الرواية عن بوادي نجد والحجاز وما يليهما، وتعتبر مستقراً لنوادر الأعراب ولهجاتهم، مما أغنى ثقافة هذه المدينة. ولم تكن الأخبار والنوادر كل ما سمعه المُحسِّن في مجلس والده، فقد ذكرت المصادر أنه سمع الحديث وهو في سن السابعة[4].

وعند إلقاء نظرة على شيوخ المُحسِّن. نجد أنهم قد جعلوا منه: الفقيه، المحدّث، الأديب، والشاعر، إذ أن منهم: الفقيه[5]، والمحدّث[6]، والأديب والشاعر[7].

---

1) محمد حسن، كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي، مجلة عالم الفكر، ع14، وزارة الإعلام، الكويت، 1983، ص366. وقد بلغ عدد الروايات التي نقلها عن والده أربعاً وستين رواية.

2) أمين، ظهر الإسلام، ج1، ص241.

3) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص179.

4) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص178؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (381-400هـ) ، ص800؛ حسن، كتاب الفرج، ص367.

5) النشوار، ج4، ص13.

6) المصدر نفسه، ج2، ص339؛ ج4، ص339.

فكان كما يصفه فهد:" نتاج البيئة التي نشأ بها، والشيوخ الذين درس عليهم، ويتجلى تأثير البيئة في اعتناقه الحنفية مذهباً، وفي كونه معتزلياً، وأثر الاعتزال، واضح في مؤلفات التنوخي، حيث أتى بأخبار بعض المعتزلة، وبعض قصصهم التي تظهر فيها المبالغات[1]، " والتي لا يقبلها سوى صاحب الميل" [2].

وتأثير الشيوخ -لا سيما شيوخ الحديث- واضح في جعل علم الحديث أحد مقومات ثقافته، حيث أصبح من المحدّثين، ولم ينقطع عن التحديث إلى حين وفاته. وقد وصف بأنه " صحيح السماع" [3].

شيوخه ومؤدبوه

تلقى التنوخي العلم على عدد من الشيوخ والمؤدبين، كان لهم الأثر الأكبر في صقل موهبته، منهم:

1. أبو العباس محمد بن أحمد بن حماد بن إبراهيم بن تغلب[4]، المعروف بالأثرم المقرئ البغدادي[5]. من مواليد سامراء سنة (240هـ/854م). استوطن البصرة، وكتب الناس عنه حتى وفاته سنة (336هـ[6]/947م) وقد أثني عليه فقيل:" الأثرم الخياط المقرئ: شيخ ثقة فاضل" [7].
2. أبو محمد واهب بن يحيى بن عبد الوهاب المازني[8]. قال التنوخي:" حدثنا أبو محمد واهب بن يحيى المازني، لفظاً من حفظه في داره بالبصرة" [9].

---

[7]) المصدر نفسه، ج4، ص10.

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص207، ص208، ص209، ص339، ص342.

[2]) فهد، القاضي التنوخي، ص23، حول ذلك انظر الفصل الثاني تحت عنوان: موقفه من المذاهب والفرق.

[3]) الخطيب، تاريخ، ج13، ص157.

[4]) الذهبي، العبر، ج2ن ص166؛ ابن العماد، شذرات، ج4، ص446.

[5]) الفرج، ج1، ص200؛ ابن خلكان، وفيات، ج4، ص159.

[6]) الخطيب، تاريخ، ج1، ص263.

[7]) المصدر نفسه، ج1، ص264.

[8]) الفرج، ج1، ص118؛ الخطيب، تاريخ، ج13، ص155.

3. محمد بن الحسن بن جمهور العمّي الكاتب. كاتب وأديب، وشاعر من أهل البصرة[1]. وإلى جانب اهتمامه بالعلم، فقد كان من كبار تجّارها[2]. غادر البصرة في شبابه إلى بغداد، ثم عاد إلى البصرة واستقر بها إلى حين وفاته، يملي على طلابه أخبار آل البيت[3]. ترك عدة كتب منها: (الواحدة في الأخبار)، و(المناقب والمثالب) في ثمانية أجزاء[4]. وصفه التنوخي بقوله[5]:" وكان من شيوخ أهل الأدب بالبصرة، وكثير الملازمة لأبي، وحرّر لي خطّي لما قويت على الكتابة؛ لأنه كان جيد الخط، حسن الترسل، كثير المصنّفات لكتب الأدب، فكثرت ملازمتي له. وكان يمدح أبي" .

4. الحسن بن محمد بن عثمان بن الحارث[6] النّسوي[7] الكوفي[8]. فقيه ومحدّث. روى له ابن ماجه حديثاً واحداً عن سفيان[9]. وصفه الذهبي بأنه:" منكر الحديث" [10].

5. أبو بكر محمد بن بكر بن داسة البصّري. شيخ ثقة. روى عن أبي داوود السجستاني أكثر كتب السنن[11].

---

[9]) الفرج، ج1، ص118.

[1]) النشوار، ج4، ص109؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج6، ص2502.

[2]) الأزدي، حكاية أبي القاسم، ص73.

[3]) الشابشتي، الدّيارات، ص263.

[4]) النديم، الفهرست، ص263.

[5]) النشوار، ج4، ص109، ياقوت، معجم الأدباء، ج6، ص2502.

[6]) المزي، تهذيب الكمال، ج2، ص165.

[7]) الخطيب، تاريخ، ج13، ص157؛ ابن خلكان، وفيات، ج4، ص160.

[8]) المزي، تهذيب الكمال، ج2، ص165.

[9]) المصدر نفسه والصفحة.

[10]) الذهبي، ميزان، ج2، ص273.

[11]) الخطيب، تاريخ، ج13، ص157.

6. أحمد بن عبيد بن إسماعيل الصّقار. يقول الخطيب[1]:" ولد بالبصرة- يقصد التنوخي- وسمع بها من أحمد بن عبيد ابن الصقار" ، وكان ثقة. صنّف المسند، وسكن البصرة في أخريات أيامه[2].

7. أبو رياش أحمد بن إبراهيم بن أبي هاشم القيسي. من أهل اليمن، قدم البصرة، وأخذ العلم عن شيوخها[3]. كان أول سماعه للحديث على واهب بن يحيى المازني سنة (363هـ /[4]973م). قال التنوخي[5]:" ومن رواة الأدب الذين شاهدناهم، أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي، وكان يقال أنه يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة، وعشرين ألف بيت شعرا " . ويضيف:" وكان جندياً في أول أمره ثم انقطع إلى العلم والشعر، وروايته لنا بالبصرة، وأنا حدث مع عمي، حتى صرت رجلاً، وكتبت عنه علماً صالحاً، وكان يتعصب على أبي تمام الطائي" [6].

[6].

8. أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن نصير الثقفي الورّاق المعروف بابن لؤلؤ. ولد سنة (281هـ/894م). سمع الحديث عن إبراهيم بن هاشم البغوي، وكان إلى أن مات يأخذ الأجر عن الحديث دانقين[7]. كانت وفاته سنة (377هـ[8]/987م).

9. محمد بن الفضل بن حميد الصّيمري. ذكره التنوخي بقوله[9]:" وحدثني محمد بن الفضل بن حميد الصّيمري، مؤدبي" . وبعد العمل في التعليم،

---

[1]) المصدر نفسه، والصفحة.

[2]) المصدر نفسه، ج4، ص261.

[3]) القفطي، أنباه، ج1، ص25.

[4]) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (381-400هـ) ص88.

[5]) النشوار، ج4، ص12؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج1ن ص182.

[6]) النشوار، ج4، ص13.

[7]) الخطيب، تاريخ، ج12، ص88.

[8]) المصدر نفسه، ج12، ص89.

[9]) النشوار، ج2، ص339.

تولى الكتابة لطاهر الحلبي، ثم أسره علي بن بويه، فالتحق بأخيه أحمد بن بويه معزّ الدولة، فاستوزره، وأصبح مدبر لأمره. وكان من دهاة الرجال. توفي سنة (339هـ[1]/950م).

10. أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس المعروف بالصّولي[2]. ولد أبو بكر في بغداد، ونشأ وأخذ العلم عن علمائها[3]، ثم نادم الخلفاء: الراضي، والمكتفي، والمقتدر[4]. وكان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك، وأيام الخلفاء، ومآثر الأشراف، وطبقات الشعراء[5]. من مؤلفاته: (أخبار ابن هرثمة) الشاعر، و(أخبار أبي تمام) الشاعر، و(أخبار القرامطة)، و(آداب الكاتب)، و(كتاب الأنوار)، و(كتاب أشعار أولاد الخلفاء)[6]، وغيرها، وله ديوان شعر[7].مات الصّولي بالبصرة سنة (335هـ/ [8]946م)، وكان قد خرج من بغداد لضائقة لحقته[9]، فمات مستتراً بها[10].

11. أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله أحمد القرشي الكاتب الأصبهاني. " أصبهاني الأصل، بغدادي المنشأ،

---

[1]) مسكويه، تجارب، ج1، ص340.
[2]) نسبه إلى جدهم صول، كان أحد ملوك جرجان، أسلم على يد يزيد المهبلي عندما دخلها، وأصبح من رجاله المقربين، السمعاني، الأنساب، ج3، ص567.
[3]) ياقوت، معجم الأدباء، ج6، ص2677.
[4]) النديم، الفهرست، ص167.
[5]) الخطيب، تاريخ، ج3، ص327؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص361.
[6]) وهو مطبوع، ويمثل مع أخبار الشعراء أقساماً من كتاب الأوراق. العمري، موارد الخطيب، ص227.
[7]) النديم، الفهرست، ص 167-168؛ ابن خلكان، وفيات ج4، ص356.
[8]) ولكن الخطيب يشير إلى أن وفاته كانت سنة 336هـ تاريخ، ج3، ص332.
[9]) يفسر النديم سبب المحنّة، بأنه روى خبراً في علي بن أبي طالب، فطلبه العامة والخاصة لقتله. الفهرست، ص167.
[10]) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص361؛ القفطي، إنباه، ج3، ص236.

كان من أعيان أدبائها، وأفراد مصنّفيها، عالماً بأيام الناس والأنساب والسير"[1].

قال التنوخي [2]:" ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني، كان يحفظ من الشعر والأغاني، والأخبار والآثار والأحاديث المسترة والنسب، ما لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم أخرى منها: اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي.

نادم الوزير أبا محمد المهلّبي، وأصبح من الخصيصين به[3]. وثّقة الخطيب بقوله[4]:" لم يكن أحد أوثق من أبي الفرج الأصبهاني" . وكانت وفاته ببغداد سنة (356هـ[5]/966م).

12. أبو جعفر. لم يصرح التنوخي باسمه، لكن ذكر بأنه كان يعلمه وبعض الصبيان في المكتب[6].

13. أبو محمد بن عبدل. قال التنوخي[7]:" وكان أبو محمد بن عبدل أستاذنا في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل العريض، ما سمعت منه هذه الحكاية" .

مذهبـــه

ذكرت المصادر التي ترجمت للقاضي أبو علي المُحسِّن التنوخي أنه كان حنفياً على مذهب والده[8]. واعتقد التنوخي فيما بعد مذهب الاعتزال[9] بتأثير والده أيضاً، فقد "

---

1) الثعالبي، اليتيمة، ج3، ص127؛ الذهبي، سير، ج16، ص202.
2) النشوار، ج4، ص10.
3) ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص1079.
4) الخطيب، تاريخ، ج11، ص400.
5) ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص1079.
6) النشوار، ج3، ص146/ ص147، ص148.
7) المصدر نفسه، ج3، ص53.
8) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص168؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص15.
9) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص168.

كان أبوه عالماً بأصول المعتزلة[1]" ، وقد عدّه ابن المرتضى في جملة فحول الشعراء المعتزلة:" ومن العدلية من الشعراء، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ... ونضراؤه من فحول الشعراء القائلون بالعدل، أكثر من أن يحصوا كالكميت في المتقدمين وعلي بن محمد التنوخي وابنه وغيره[2].

لكن التنوخي لم يكن من الشّيعة كما قال محسن الأمين[3] حيث نسب إليه قصيدة طويلة نقلها من مخطوط في تراجم علماء الزيديه، وفي هذه القصيدة نلمح تعصب شيعي، نراه لا يتفق مع ما عرف عن التنوخي من الاعتدال في مؤلفاته وشعره. وإذا كان القاضي التنوخي قد أظهر من خلال رواياته وقصصه، حبه لآل البيت، والإشارة إلى فضلهم، فإن هذا لا يعني أنه من الشّيعة، فحبهم ليس مقصورا على فئة بعينها، فأهل السنّة أيضا يحبون آل البيت ويعترفون بفضلهم.

الوظائف التي شغلها التنوخي

كان أول عمل مارسه القاضي المُحسِّن التنوخي، هو الشهادة[4] عند القاضي أحمد بن سيّار قاضي الأهواز، وكان عمره لم يتجاوز السنّة التاسعة عشرة [5]. وفي سنة

---

[1]) ابن خلكان، وفيات، ج3، ص366.

[2]) ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص132. انظر الفصل الثاني تحت عنوان: موقفة من المذاهب والفرق.

[3]) الأمين، أعيان الشّيعة، ج42، ص ص89-92.

[4]) العدالة من الوظائف الدينية التابعة للقضاء والعدل مقابل الجور، وحقيقته التسوية بين الخصمين، وترك الميل إلى أحدهما، وقد عرّف أهل الشّرع الشاهد العدل، فقالوا:" إنه كل مقبول الشهادة على غيرة عند السلطان والحكام" . وأشار الماوردي إلى الصفات الواجب توفرها في الشاهد العدل " أن يكون صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحارم، مترقياً للمأثم، ثم بعيداً من الريب، مأموناً في الرضا و الغضب، مستعملاً لمرؤة مثله في دينه ودنياه" . الماوردي، أدب القاضي، ج2، ص430؛ السمناني، روضة القضاة، ص205.

[5]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2282.

(346هـ/957م) تولى الإشراف على دار الضّرب بسوق الأهواز[1]، ثم تولى القضاء مـن قبـل قاضي القضاة أبي السائب عتبة بن عبد الله ولم يتجاوز عمره عشرين عاماً. ولا بدَّ من إيراد ذلك الموقف الذي اختير فيه المُحسِّن لتولي القضاء، لما له من معاني التواضع والذكاء، والإفادة من الفرصة المتاحة.

وصف ياقوت ذلك الموقف بقوله[2]:" حدَّث القاضي أبو علي قال: نزل الوزير أبو محمد المهلّبي السوس، فقصدته للسلام عليه، وتجديد العهد بخدمته، فقال لي: بلغني أنك تشهد عند ابن سيّار، قاضي الأهواز. قلت: نعم. قال: ومن ابن سيّار حتى تشهد عنده، وأنت ولدي، وابن أبي القاسم، أستاذ ابن سيار، قلت: إلا إن في الشهادة عنده مع الحداثة جمالاً - وكان سنّي يومئذ عشرين سنة- قال: وجب أن تجيء إلي بالحضرة لأتقدم إلى ابن السائب قاضي القضاة بتقليدك عملاً تقبل به أنت الشهود، قلت: ما فات ذاك إذا انعم سيدنا الوزير به، وسبيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب، فضحك، وقال لمن كان بين يديه: انظروا إلى ذكائه، كيف اغتنمها. ثم قال لي: اخرج معي إلى بغداد، فقبَّلت يده، ودعوت له، وسار من السوس إلى بغداد" . فلحق التنوخي بالوزير المهلّبي إلى بغداد، فكتب إلى قاضي القضاة، الذي عينه قاضياً بسقي الفرات[3]. ثم ولاه الخليفة المطيع لله (ت363هـ/973م) القضاء بعسكر مكرم وإيذج ورامهرمز[4]، وتقلد بعد ذلك أعمالا كثيرة في نواحي كثيرة[5].

ثم تقلب القاضي أبو علي التنوخي بعد ذلك وظائف مختلفة وشغل منصب القضاء في أكثر من مكان. ومما يؤسف له حقاً، أن المصادر التاريخية القريبة من عصره لم تهتم

---

[1]) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص159. سوق الأهواز: كان اسمها أيام الفرس خوزستان، فيها مواضع يقال لكل واحد خوز منها خوز بني أسد. والأهواز اسم يتكون من سبع كور منها سوق الأهواز. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص ص284-285.

[2]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2282.

[3]) المرجع نفسه، ج5، ص2282.

[4]) عسكر مكرم وإيذج ورامهرمز كور من كور الأهواز السبع، وتقع جميعها بين خوزستان وأصبهان. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص288؛ ج3، ص17؛ ج4، ص123.

[5]) الخطيب، تاريخ، ج13، ص157؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص178.

بأن ترتب هذه الوظائف زمنياً، مع أهمية ذلك في تحديد أطوار خبراته العملية، وعلاقة هذه الخبرات بنشاطه التأليفي. لذا فعلى الباحث اعتماد مؤلفاته مصدراً أساسياً للتعريف بحياة التنوخي، من حيث قيام مادته على تدوين ما يدور في المجالس، وما يرتبط به شخصيا من حوادث لم تدون في الكتب. وقد بذل محقق النشوار، جهداً طيباً في جمع ما يتصل بحياة القاضي التنوخي، وترتيبه في سياق زمني متصل[1].

استقر القاضي التنوخي ببغداد، وشملته رعاية وعناية الوزير أبو محمد المهلّبي، فأصبح من ملازمي مجلسه. استمر التنوخي بعمله في بغداد سبع سنوات متصلة بين عامي (349-355هـ/960-965م) يظهر من مجموعة روايات وردت في النشوار حدد فيها زمنها ومكانها وهي على التوالي:

- في عام (349هـ/960م) وصل التنوخي إلى بغداد، والتحق بخدمة الوزير أبي محمد المهلّبي، وتوليه القضاء بسقي الفرات[2].

- وإنه في عام (350هـ/961م) اجتمع بالتاجر ابن الجصاص، وسؤاله له عن الأخبار التي نسبت إلى والده[3].

- كما اشتملت بعض قصص النشوار أخبار عن مجالس الوزير أبي محمد المهلّبي، وعلى حوادث أشار التنوخي إلى أنها وقعت في السنوات: (350هـ[4]/961م) و 351هـ[5]/962م). 351هـ[5]/962م).

- أورد في موضع آخر من النشوار، أنه حضر مجلس أبي العباس بن أبي الشوارب، قاضي القضاة ببغداد آن ذاك، وأنه كان يكتب له على الحكم والوقوف بمدينة

---

[1]) النشوار، ج1، ص ص20-24 (مقدمة المحقق الشالجي) .

[2]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2282.

[3]) النشوار، ج1، ص29.

[4]) المصدر نفسه، ج1، ص86.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص89.

السلام، وقد تقلد أبو العباس قضاء القضاة في النصف الأول من سنة (350هـ[1]/961م) وعزل عن القضاء في النصف الأول من سنة (352هـ[2]/963م).

- وقص في حكاية أخرى له أنه سأل المتنبي عن نسبه[3]. وكان المتنبي قد مرَّ ببغداد سنة (354هـ[4]/965م) قاصداً عضد الدولة بفارس.

وفي عام (355هـ[5]/965م) غادر التنوخي بغداد بعد أن عُين قاضياً للأهواز. استمر التنوخي في عمله حتى عام (359هـ/969م)، حيث صُرف وصودرت ضيعته من قبل الوزير أبي الفرج محمد بن العباس بن فسانجس[6]. يصف التنوخي ذلك في إحدى قصص قصص النشوار بقوله:" ثم صرفت عن تلك الولاية في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، لما ولي الوزارة محمد بن العباس، فقصدني وصرفني، وقبض ضيعتي، وأشخصني إلى بغداد"[7].

أقام التنوخي ببغداد في محاولة لاستعادة ضيعته ومنصبه. ولعل تغير حال الوزارة ساعده في تحقيق مراده، فقد عُزل أبو الفرج العباس بن فسانجس من الوزارة وعين عوضا عنه أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي. عرض التنوخي تظلمه على الوزير

---

1) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص2.

2) المصدر نفسه، ج7، ص16.

3) النشوار، ج4، ص225.

4) الفرج، ج1، ص37.

5) الفرج، ج3، ص263.

6) لما توفي الوزير أبو محمد المهلّبي، أمر معزّ الدولة أن ينظر في الوزارة كل من أبي الفرج العباس بن الحسين الشيرازي، وأبي الفرج محمد بن العباس بن فسانجس من دون تسمية لأحدهم بالوزارة، ولما توفي وولي ولده عزّ الدولة بختيار، استوزر أبا الفضل العباس بن الحسن وتقلد أبو الفرج الديوان، ثم عزل بختيار الوزير أبا الفضل وقبض إقطاعه وضياعه وأملاكه ودوره، واستوزر أبا الفرج محمد بن العباس، فلم يلبث بالوزارة إلا قليلاً، حيث انحدر إلى الأهواز، فأمر بختيار عاملها باعتقاله، وأطلق أبا الفضل الشيرازي واستوزره ثانية. مسكوية، تجارب، ج2، ص261، ص263، ص269.

7) الفرج، ج3، ص263.

الجديد، والذي أعاده إلى عمله وردّ عليه ضيعته. وبعد أن تحقق له ما أراد، عاد التنوخي إلى عمله. وكان ذلك بعد ثلاث سنين من صرفه، وأضيفت إليه واسط وأعمالها[1].

طمع عضد الدولة في السيطرة على العراق وضمه إلى نفوذه، إلا أنه لم يعلن ذلك خوفاً من أبيه ركن الدولة، لذلك قرّر اتّباع طريقة غير مباشرة يكشف فيها عدم كفاءة بختيار في إدارة شؤون العراق بإثارة الجنود ضده، بحيث يؤدي ذلك إلى دعوته لتسلم زمام الأمور في بغداد، وجرت الأمور مثلما أراد لها عضد الدولة حيث تمرد الجنود وقادتهم، وحين وصلت الأزمة أشدها طلب عزّ الدولة بختيار من عضد الدولة التدخل لتسوية الأمور، ولكن تدخله لم يكن من أجل تسوية الأزمة بل من أجل إعلان تنازل بختيار عن الحكم كان باختياره، وادّعى أنه الوارث الشرعي لبختيار، وقد قبل الجيش هذا الحلّ[2].

ولكن لم تمض مدة طويلة حتى ظهرت المعارضة لحكمه من ثلاث جهات: الأولى من البصرة حيث يحكم مرزبان بن بختيار، والثانية من وزير بختيار محمد بن بقية[3] الذي بدأ يحرّض أمراء المدن في جنوب العراق وخاصة عمران بن شاهين[4] للوقوف في

[1] الفرج، ج3، ص263.

[2] مسكويه، تجارب، ج2، ص343-344.

[3] كان محمد بن بقية قد خدم الأمير عضد الدولة، وضمن منه واسط، ولكنه بعد أن استقر بواسط أظهر العداء لعضد الدولة، واستدعى بختيار إلى واسط، ولكنه استبد بالأمر دونه، فقبض عليه بختيار وأرسله إلى عضد الدولة ليظهر له التقرب منه، وأن ابن بقية هو الذي كان يفسد علاقته به، فأمر عضد الدول برميه بين أرجل الفيلة حتى قتل. ابن الأثير، الكامل، ج8، ص672، ص689، ص691؛ سبط بن الجوزي، مرآة، ص179.

[4] سيطر عمران بن شاهين على منطقة البطيحة، الواقعة بين واسط والبصرة، وترجع بدايات هذه السيطرة إلى سنة (329هـ/940م) أيام الخليفة المتقي (ت 329هـ/940م) . ومنذ سنة 329هـ حتى سنة (338هـ/949م) استفحل أمر ابن شاهين، واستعد بالسلاح، واتخذ المعامل على تلول البطيحة، وحاول معزّ الدولة إخضاعه، أكثر من مرة، لكنه فشل، واضطر إلى مصالحته سنة (340هـ/951م) وقلده البطيحة وفي عام (356هـ/966م) عاد معزّ الدولة مرة أخرى لحرب ابن شاهين ولكن موته حال دون ذلك، وأعقبه ابنة عزّ الدولة بختيار في الحكم، فسحب الجيش المحارب لابن شاهين، وصالحه، وهكذا ظل ابن شاهين في عز جانب زهاء أربعين سنة إلى أن

وجه عضد الدولة، والثالثة من والده ركن الدولة البويهي في الرّي، الذي أصرّ على ضرورة عودة الوضع على ما كان عليه في السابق، مما اضطر عضد الدولة إلى إطلاق سراح بختيار وإعادته إلى مركزه، ومغادرة العراق إلى بلاد فارس[1].

ولما استقر الأمر في العراق لعزّ الدولة بختيار من جديد، أطلق يد وزيره محمد بن بقية بملاحقة كل من ناصر عضد الدولة ضده، فكان القاضي أبو علي المُحسِّن التنوخي أحد أولئك الذين لحقهم ظلم ابن بقية، ففرّ القاضي التنوخي هارباً من بطشه إلى البطيحة[2]، مستجيراً بأميرها معين الدولة أبي الحسين عمران بن شاهين السلمي. وهناك وجد القاضي التنوخي عدداً كبيراً من أصحابه ومعارفه الذين فروا إلى البطيحة خوفاً على نفوسهم من بطش ابن بقية، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة (365هـ[3]/975م).

ولكن لم تمضِ سوى أربعة أشهر على هذه الحادثة حتى استطاع عضد الدولة السيطرة على العراق من جديد، مستغلاً وفاة والده ركن الدولة، فتقدم إلى العراق في سنة (366هـ/976م)، فقابلة عزّ الدولة بختيار على رأس جيشه، وكان النصر في هذه المعركة لعضد الدولة، فانسحب بختيار نحو واسط، وفي النهاية اتفق الطرفان على أن يترك بختيار العراق ويتوجه إلى بلاد الشّام[4].

لم تطل فترة هروب القاضي التنوخي كثيراً، فما مضت سوى أربعة أشهر، حتى اعتقل ابن بقية، فأفرج عن القاضي ، وعن كثير ممن كان معه بالبطيحة[5].

توفي سنة (369هـ/979م) . مسكويه، تجارب، ج2، ص119، ص143، ص231، ص232، ص397؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص481، ص489

[1]) مسكويه، تجارب، ج2، ص343-349.

[2]) البطيحة، أرض واسعة بين واسط والبصرة، كانت قديماً قرى متصلة وأرض عامرة، ولكن في أيام كسرى أبرويز حدث فيضان لنهري دجلة والفرات دمر تلك القرى. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص144، وهي منطقة الأهواز في جنوب العراق.

[3]) الفرج، ج1، ص173.

[4]) مسكوية، تجارب، ج2، ص365.

[5]) الفرج، ج1، ص175.

ولعل فساد العلاقة بين التنوخي وبين الوزير ابن بقية، وما لحق التنوخي من ذلك، كانت من الأسباب التي قوت العلاقة بين عضد الدولة والتنوخي فعندما استولى عضد الدولة على العراق من عزّ الدولة بختيار سنة (366هـ/[1]976م)، رافقه التنوخي في الحملة التي قادها لاستئصال أبي تغلب ابن حمدان، الذي كان قد توجه إلى بغداد من قبل، لمناصرة عزّ الدولة ضده. وبعد هزيمة عزّ الدولة ومقتله، قام عضد الدولة بمطاردة أبي تغلب ابن حمدان إلى الموصلِ، فلما سمع بوصوله إليها، غادرها فاراً من مواجهته[2].

القاضي التنوخي في بلاط عضد الدولة

بعد أن استقر الأمر في الموصل لعضد الدولة، عيّن القاضي التنوخي والياً عليها وعلى جميع ما استولى عليه من يد أبي تغلب إضافة إلى حلوان[3]، وقطعة من طريق خراسان[4].

ووصل تعلق عضد الدولة به أن جعله من أخص ندمائه[5]، وخصص له كرسياً يجلس عليه في مجلس شرابه، يقول التنوخي في ذلك[1]:" وحضر الندماء، وأخذوا مواقعهم قياماً،

---

1) مسكويه، تجارب، ج2، ص365.

2) الفرج، ج2، ص ص186-187؛ مسكويه، تجارب، ج2، ص377.

3) الفرج، ج2، ص188. حلوان: بضم الحاء، اسم لأماكن عده منها حلوان العراق، وهي أخر حدود السواد مما يلي الجبال، وكانت رابع مدينة عراقية في السعة والعمران بعد بغداد والبصر وواسط. ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع، ج1، ص418.

4) النشوار، ج4، ص88؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2286. طريق خراسان: هو المحجة أو الطريق السلطاني بين بغداد وخراسان. الصّابئ، الوزراء، ص187.

5) الندماء: مفردها النديم، وهو من يجالس شخصاً على الشراب، هذا هو الأصل، ثم استعمل لكل مسامرة، وقيل المنادمة مقلوبة من المدامنة، لأن صاحبها يدمن شرب الشراب مع نديمه. لكن ابن السكيت أشار إلى أن النديم قد يكون المصاحب والمجالس على غير الشراب. وكان الخلفاء والأمراء والوزراء يحيطون أنفسهم بمجموعة ندماء يختارونهم من ذوي البلاغة والعقل والعلم والأدب، يجالسونهم ويخالطونهم ويقضون معهم الأمسيات في الحديث وسماع الشعر والترويح عن النفس، وكانوا يخصون أنفسهم ببعض الندماء، فهو ربما يبيح لنديمه ببعض أسراره. للمزيد

ولم يكن منهم من يجلس بحضرته غيري، وغير أبي علي الفسوي، وأبي الحسين الصوفي المنجم، وأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، صاحب ديوان الرسائل، فإنه كان يجلس ليوقع بين يديه" .

كان عضد الدولة أديباً شاعراً[2]، وحاكماً حازماً، وكان بلاطه يحوي نخبة من الشعراء والأدباء. قدّم ياقوت[3] وصفاً لأحد مجالس السمر في حضرة عضد الدولة، والتي شارك فيها القاضي التنوخي دلّت على حب عضد الدولة وشغفه بالأدب والشعر من جهة، وأبرزت تنوع ثقافة القاضي التنوخي ومقدرته على الحفظ والمناظرة في الشعر من جهة أخرى.

زادت مكانة القاضي التنوخي لدى حكام العراق، خصوصاً بعد نجاحه في تحقيق رغبة الأمير عضد الدولة وذلك بتزويج ابنته إلى الخليفة الطائع لله. وكان المتولي لعقد القران القاضي التنوخي، وذلك في سنة (369هـ[4]/979م). خطب التنوخي في هذه المناسبة خطبة، افتتحها بحمد لله، والصلاة على محمد رسول الله، ثم قال:" أما بعد، فإن الله جلَّ جلالة، جعل النكاح سبباً، وشجَّ به الأرحام، وشرّف به الأنام، وصير أعظمه فضيلة، وأقربه إليه وسيلة، ما اتّصل بالنبوّة، وتعلقت بالخلافة وأفاد الدين، جلالةً وسمواً ورفعةً وعلواً... إلى أن قال:" فخَطب إليه سيدة نساء عصره، فضلاً وواحدة بناتِ دهرها نبلاً وكمالاً، فلانة بنت عضد الدولة، وتاج الملة أبي شجاع ابن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين، أدام الله عزه، وبذل لها من الصداق مائة ألف ديناراً ذهباً" [5].

انظر : ابن السكيت، كتاب الألفاظ، ص273؛ الثعالبي اليتيمة، ج4، ص346؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2286؛ ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص ص94-95.

[1]) النشوار، ج4، ص88؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2286.

[2]) وصف الثعالبي اهتمامه بالعلم والأدب قائلاً:" كان يتفرغ للأدب، ويتشاغل بالكتب، ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء، ويقول شعراً كثيراً" . اليتيمة، ج2، ص195.

[3]) ياقوت، معجم الأدباء، ج 5، ص 2285.

[4]) الصّابئ، رسوم، ص138.

[5]) المصدر نفسه والصفحة.

وأوضح مسكويه السبب وراء هذا الزواج، بأن عضد الدولة أراد أن يقع بينه وبين الطائع لله صلة، فزوجه ابنته الكبرى، على أن يرزق ولداً ذكراً منها، فيتولى العهد، وتصير الخلافة في بني بويه " ويصير الخلافة والملك مشتملين على الدولة الديلمية" [1]. وكان نجاح القاضي التنوخي في مسعاه من تزويج الخليفة بابنة عضد الدولة، أن زاده قرباً من الخليفة أولاً، ومن عضد الدولة ثانياً، ومن ثم بروزه في المجتمع، لا بل بروزه بين أقرانه من الخاصة الذين أخذوا يتربصون حركاته للإيقاع به، وهذا ما نلاحظه فيما بعد[2].

ورغم المكانة العالية التي حظي بها القاضي التنوخي لدى عضد الدولة، إلا أنه في عام (371هـ/981م) وبعد خمس سنوات من صحبته له، تعرض لسخطه، فعزله من جميع مناصبه التي كان يتولاها، وألزمه الإقامة في منزله.

حاولت بعض المصادر تفسير سرّ هذا التحول بأن القاضي التنوخي أفشى- سرّ حملة عضد الدولة في ذلك العام إلى همذان، محاولة منه للقبض على الوزير أبي القاسم الصاحب[3] ابن عباد[4]. أورد ياقوت قصة غضب عضد الدولة على التنوخي نقلاً عن الصّابئ بقوله:" وكان السبب في ذلك ما حدثني به أبو القاسم علي بن المُحسِّن قال: حدثني القاضي أبو علي والدي قال: كنت بهمذان مع الملك عضد الدولة، فاتفق أن مضيت يوماً إلى أبي بكر بن شاهويه، رسول القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة وبينهم، وكان له صديقاً، ومعي أبو علي الهائم[5]، وجلسنا نتحدث، وقعد أبو علي على

[1]) مسكويه، تجارب، ج2، ص414.

[2]) فهد، القاضي التنوخي، ص16.

[3]) الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد، لقب بالصاحب لصحبته أبا الفضل ابن العميد، ثم أطلق عليه اللقب لما ولي الوزارة، كان أولاً وزيراً لمؤيد الدولة بن بويه، إضافة إلى السياسة، فقد كان أديباً، معيلاً على الأدب والعلم وأهله، حتى قيل أنه اجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره، وصنّف في اللغة كتاباً أسماه المحيط، توفي سنة 385هـ وأنه لما توفي أغلقت أبواب الري، وحضر جنازته فخر الدولة وسائر القادة. ابن خلكان، وفيات، ج1، ص ص229-232.

[4]) الروذادري، ذيل، ج3، ص16؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2289.

[5]) انظر ترجمته في الفصل الرابع، رقم 72.

باب خركاه[1] كنا فيه، فقال: اجعل لي أيّها القاضي في نفسك المقام في هذه الشتوة في هذا البلد، فقلت: لِمَ؟ فقال: إن الملك مدبر في القبض على الصاحب أبي القاسم بن عباد، وكان قد ورد إلى حضرته بهمذان، وانصرفت من عنده ... ونزلت إلى خيمتي، وجاءني من كانت له عادة جارية بملازمتي، ومواصلتي، ومواكلتي، ومشاربتي، وفيهم أبو الفضل بن أبي أحمد الشيرازي، فقال لي: أيّها القاضي: أنت مشغول القلب، فما الذي حدث فاسترسلت على أنس كان بيننا، وقلت: أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل على كذا في أمر الصاحب، وهذا دليل على تطاول السنّة" [2]. فكتب أبو الفضل الشيرازي إلى عضد الدولة يطلعه على ما قال التنوخي، وختم كتابه بقوله:" وربما كان لهذا الحديث أصل وإذا شاع الخبر به، وأظهر السر فيه، فسد ما دُبِّر في معناه" [3]. فلما وقف عضد الدولة على الكتاب، " وجم وجوماً شديداً، وقام من سماط كان قد عمله في ذلك اليوم، واستدعى التنوخي وسأله عما نسب إليه، فأنكر ذلك، كما أنكره أبو علي الهائم رغم ضربه مائتي مقرعة[4].

هذا ملخص قصة غضب عضد الدولة على القاضي التنوخي كما وردت في المصادر، ولابد قبل إبداء الرأي في ذلك من الإشارة إلى نقطتين هامتين حول خروج عضد الدولة إلى همذان:

1. أن عضد الدولة عندما توجه إلى همذان عام (371هـ/981م) كان هدفه السيطرة على بلاد الجبل وهمذان من يد أخيه فخر الدولة، والسبب وراء ذلك عائد إلى أن بختيار أثناء صراعه مع عضد الدولة، راسل فخر الدولة ودعاه إلى الوقوف إلى جانبه ضد أخيه عضد الدولة، فوافق على ذلك سراً وعلم عضد الدولة بذلك، ولكنه كتم الأمر، فلما فرغ من أعدائه كأبي تغلب ابن حمدان وبختيار، قاد حملة عسكرية استطاع من خلالها التغلب على الجبل وهمذان من يد فخر الدولة وتنصيب أخيه مؤيد الدولة أميراً عليها، وأقام فيها

---

[1]) الخركاة: لفظة فارسية تعني الخيمة الكبيرة. ادشير، معجم الألفاظ الفارسية، ص ص53-54.

[2]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص ص2288-89.

[3]) المصدر نفسه الصفحة.

[4]) المصدر نفسه، ج5، ص2291.

فترة من الزمان أعاد ترتيب الأوضاع الإدارية والعسكرية فيها، ثم رحل إلى بغداد[1].

2. أثناء أقامته بهمذان، أرسل مؤيد الدولة الصاحب بن عباد إلى عضد الدولة، ليقوم بواجب الخدمة والطاعة نيابة عن سيده الأمير مؤيد الدولة، وقد وصف ابن الجوزي استقبال عضد الدولة لابن عباد بقوله:" فتلقاه عضد الدولة على بعد من البلد، وبالغ في إكرامه، ورسم لأكابر كُتّابه بأن يعظّموه، ولم يركب هو إلى أحد منهم[2]" .

بعد هذا، يمكن القول أن هذه التهمة التي أتُهم بها القاضي التنوخي، ليس لها أصل، فليس من المعقول أن يكون القاضي التنوخي بهذه السذاجة حتى يُصدق إشاعة تفسر سر حملة عضد الدولة على أنها كانت من أجل القبض على ابن عباد، فعضد الدولة لو أراد القبض عليه، لقام بذلك عندما جاء إلى معسكره، وكان من السهل القضاء عليه بأي صورة كانت، بل على العكس من ذلك فإنه عندما أراد المغادرة " خلع عليه الخلع الجميلة، وحمله على فرس بمركب ذهب" [3]. ولعل هذه القصة ما هي إلا وشاية لفَّقها للتنوخي بعض حساده ومنافسيه، خاصة بعد المكانة الرفيعة التي حظي بها عند عضد الدولة.

وفي الموقف التالي، دليل على ذلك فإن عضد الدولة بعد إعراضه عن التنوخي مدة خمسة وأربعين يوماً، عاد للإقبال عليه، فسأله مرة أخرى عما جرى، فأنكر ذلك بقوله:" كذب منه – يقصد أبو الفضل الشيرازي- ولو ذكرت لمولانا ما يقوله لما أقالته العثرة... فقال هاته، وكان يحب أن تعاد عليه الأحاديث والأقاويل على وجهها من غير كناية عنها ولا احتشام فيها، فقلت: نعم إنك عند وفاة والدك بشيراز أنفذت من كرمان، وأخذت جاريته رباب، وأن الخادم المخرج في ذاك وافي ليلة الشهر، فاجتهدت به أن يتركها تلك الليلة لتوفى أيام الحق، فلم يفعل ولا راعى للماضي حقاً ولا حرمة. ثم

---

[1]) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص ص706-707.

[2]) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص103.

[3]) المصدر نفسه والصفحة.

ماذا؟ قلت: قال أن مولانا يعشق كنجك المغنية، ويتهالك في أمرها، وربما نهض إلى الخلاء فاستدعاها إلى هناك وواقعها... فأوردت عليه أحاديث سمعتها من غير أبي الفضل ونسبتها إليه"[1]، فهذا الموقف يوضح مدى انتشار الوشاية بين كبار رجال الدولة، وتحاسدهم واستخدام كل الوسائل للإيقاع بالخصوم.

إضافة إلى ذلك، فإن عزل القاضي التنوخي، على ما بلغ إليه من علو المكانة ليس غريباً، فعضد الدولة عزل ونكب كثيراً من خاصته ووزرائه. وليس عضد الدولة وحده هو الذي فعل ذلك. فعزل الوزراء والكُتّاب والقضاة حالة شائعة بين ملوك ذلك العهد.

ولما عاد عضد الدولة إلى بغداد، وجد الخليفة الطائع لله متجاف عن ابنته، وأنه لم يقربها[2]، فثقل عليه ذلك، ولم يجد غير القاضي التنوخي ليرسله إلى الخليفة الطائع لما بينهما من علاقة وودّ، وليخبره " على لسان والدة الصبية، أنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها. خشي التنوخي مغبة الدخول في هذا الحديث، أو كأنه استشعر أن لا فائدة من التحدث فيه، فأحسّ كأنه بين نارين، إن كلم الخليفة أغضبه، وإن أعتذر أغضب عضد الدولة، فاختار أن يتظاهر بالمرض، فجلس في داره، متعللاً بالتواء ساقه، وأنه لا يطيق مبارحة الفراش[3].

أحسّ عضد الدولة بتمارض التنوخي، فأمر بعض خواصه من الخدم باستطلاع الخبر، الذين عادوا وأخبروا عضد الدولة بصدق إحساسه، فأصدر عضد الدولة قراراً ضد التنوخي:" أن الملك يقول لك، لا تبرح دارك، لا إلينا، ولا إلى غيرنا" ، وبقي على ذلك الحال إلى أن توفي عضد الدولة سنة (373هـ[4]/983م).

---

[1]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2291.

[2]) وكان الخليفة الطائع لله، قد أحس بما يدبره عضد الدولة، فرغم تعلقه بالفتاة، فإنه لم يقربه ا، ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2292.

[3]) الروذداري، ذيل، ج3، ص20.

[4]) المصدر نفسه، ص21؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص15؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2293. يذكر فهد أن التنوخي قد هرب إلى البطيحة عند ابن شاهين، وبقي هناك إلى أن مات عضد الدولة، وهذا خطأ تاريخي، والصواب إنه هرب إلى هناك عندما استولى عزّ الدولة بختيار على بغداد سنة 364هـ انظر: الفرج، ج4، ص6.

بعد وفاة عضد الدولة عاد التنوخي إلى عمله، والدليل على ذلك ما أورده الصفدي في ترجمته للقاضي أبي الحسين محمد بن عبيد الله بن أحمد بن معروف[1] بأنه " لما مات القاضي أبو علي المُحسِّن التنوخي في محرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، ردت أعماله إلى أبي الحسين، فتولى القضاء بها كلها" [2].

وفاتـــه التنوخي

خُتمت حياة القاضي أبو علي المُحسِّن التنوخي ببغداد في الخامس والعشرين من محرم سنة 384هـ/الموافق 2 آذار 994م، عن عمر ناهز السابعة والخمسين عاماً[3].

مكانته العلمية

حظي القاضي أبو علي المُحسِّن التنوخي بمنزلة اجتماعية وعلمية سامية، قلما يصل إليها عالم، ودلل هو بنفسه على علو منزلته الاجتماعية من جملة مواقف رواها لنا في مؤلفاته.

وأما مكانته العلمية فقد أشار إليها عدد من المؤرخين والأدباء الذين ترجموا له، فالثعالبي قال في وصفه[4]:" هلال ذلك القمر، وغصن ذلك الشجر، الشاهد العدل لمجد أبيه وفضله، والفرع المشيد لأصله، والنائب عنه في حياته.

وابن خلكان قال[5]:" وكان سماعه صحيحاً، وكان أديباً وشاعراً، إخباريا" .

وقال القرشي[6] في وصفه ووصف عائلته:" وهم فضلاء، قضاة" .

---

[1] انظر ترجمته الفصل الرابع تحت عنوان القضاة.

[2] الصفدي، الوافي، ج4، ص6.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص178؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص106؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2280؛ الصفدي، الوافي، ج4، ص6؛ الذهبي، العبر، ج2، ص166؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج4، ص170.

[4] الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص400.

[5] ابن خلكان، وفيات، ج4، ص160.

[6] القرشي، الجواهر، ج3، ص422.

ولا نجد ممن ترجموا له أحداً حاول الحط منه إلا ابن الأثير عندما تحدث عن عزل التنوخي من جميع مناصبه في حوادث سنة (371هـ/981م) بقوله[1]:" وكان حنفي المذهب، شديد التعصب على الشافعي، يطلق لسانه فيه، قاتله الله" . وفي حوادث سنة (384هـ/994م) عاد ابن الأثير وذكره بالخير بقوله[2]:" كان فاضلاً" .

ولكن هذه التهمة غير صحيحة، فمن تتبع فقرات النشوار والفرج والمستجاد، لا نجد أي إشارة قدح بالإمام الشافعي أو أتباعه، بل نجده، يأخذ عن شوافع في النشوار والفرج[3].

مؤلفاتـــــه

ذكرت كتب التراجم التي ترجمت للقاضي التنوخي ثلاثة مؤلفات وديوان شعر، وهي:

1- نشوار[4] المحاضرة وأخبار المذاكرة[5].

اختلفت المصادر في ذكر اسم الكتاب، فبعضها ذكره باسم نشوار المحاضرة مثل: غرس النعمة[6]، وياقوت[1]، وابن قطلوبغا[2]، وابن طاووس[3]، والغزولي[4]، والبعض

---

[1]) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص15.
[2]) المصدر نفسه، ج9، ص106.
[3]) انظر الفصل الثاني تحت عنوان: موقفه من المذاهب والفرق.
[4]) النشوار: كلمة فارسية معربة، وهي تعريب للفظ نشخوار، وتعني ما تبقيه الدابة من العلف، وأصل المعنى فيه الجرة، أي ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه، ثم يبلعه، وقالوا فيه : نشورت الدابة من علفها نشواراً، أي أبقت من علفها. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2، ص142؛ الزبيدي، تاج العروس، ج14، ص219؛ ادشير، معجم الألفاظ الفارسية، ص153.
[5]) أما ناشره لأول مرة المستشرق مرجوليوث، فسماه جامع التواريخ المسمى بنشوار المحاضرة، ويعود ذلك إلى اعتماده على نسخة باريس المخطوطة، ولعل ذلك من خطأ الناسخ، والدليل على ذلك أنه يرد باسم " اختيار المذاكرة ونشوار المطالعة وابتكار المحاضرة" ، كما في نسخة المخطوط العائدة للأستاذ أحمد تيمور. كان ابتداء طبع هذا الكتاب في سنة 1918، والفراغ منه سنة 1921. ويبدو من المقدمة الإنجليزية القصيرة للنص العربي أنهم كانوا يودون أن يكون كتاب النشوار جزءاً من مجموعة النصوص التي نشروها تحت اسم، أفول الخلافة العباسية وهي المجموعة التي نشر- منها جزءان من تجارب الأمم المسكوبة، نشرهما آمدروز ضمن مطبوعات الجمعية الملكية الآسيوية. السامرائي، نشوار المحاضرة، ص287.

الأخر فقد ذكره باسم نشوان المحاضرة[5]، مثل: ابن خلكان[6]، والدميري[7]، وابن دقماق[8]، واليافعي[9]، والسيوطي[10]، وابن العماد[11].

ورغم ذلك، فقد اتضح للباحث أن اسم الكتاب هو " نشوار المحاضرة" ، والدليل على ذلك أن كلمة النشوار وردت في تضاعيف بعض الروايات، كقوله، في وصف بعض الفضلاء:" طيب النشوار والأدب" ، وقوله:" ورأيت كل حكاية بما أُنسيته لو كان باقياً في حفظي لصلح لفن من المذاكرة، ونوع من نشوار المحاضرة" ، وقوله أيضاً:" حَسن النشوار" [12]، يريد بهذا اللفظ أنه طيب الحديث، غزير مادة المحاضرة[13]. وأوضح الأستاذ الكرملي أن هذا اللفظ ورد عند العرب بمعنى ما يجب تكراره من اللطائف والنوادر والحكايات، وأضاف حول هذا التطور في اللفظ إلى أن العرب قد تعرِّب اللفظة وتخرجها عن بنائها الأصلي وتتصرف فيها، وربما خرجت بها عن معناها الأصلي[14].

---

[6]) غرس النعمة، الهفوات النادرة، ص18.

[1]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2280.

[2]) ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص163.

[3]) ابن طاووس، فرج المهموم، ص168.

[4]) الغزولي، مطالع البدور، ج1، ص97.

[5]) النشوان: نَشِيَ الرجل من الشراب نَشْواً ونَشْوَةً ونِشْوَةً، كله سَكِرَ، فهو نشوان وتعني السكران. ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص326-327؛ وانظر: ابن فارس، مجمل اللغة، ج3، ص868؛ ابن السكيت، كتاب الألفاظ، ص361؛ أدشير، معجم الألفاظ الفارسية، ص154.

[6]) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص159.

[7]) الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص89.

[8]) ابن دقماق، الانتصار، ج5، ص2.

[9]) اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص419.

[10]) السيوطي، المزهر، ج2، ص315.

[11]) شذرات، ج4، ص446.

[12]) النشوار، ج1، ص10، ص15، ص29.

[13]) عبد القادر المغربي، طاقة أزهار من النشوار، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، 1923، ص27.

[14]) انستاس الكرملي، خواطر في المعربات، مجلة المجمع العلمي العربي، مج3، ج1، دمشق، 1923، ص16.

بدأ التنوخي بتأليف كتاب النشوار عام (360هـ/970م) أشار إلى ذلك في مقدمة الجزء الأول " إني حضرت المجالس بمدينة السلام في سنة ستين وثلاثمائة، بعد غيبتي عنها سنين، فوجدتها مختلة ممن كانت به عامرة" [1].

وأكد ذلك ياقوت بقوله[2]:" قال غرس النعمة [3]: صنّف أبو على المُحسِّن كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة وأنه جعله في أحد عشر جزءًا[4]. وجعل كل واحد من أجزائه مائة ورقه قائماً بنفسه، مستغنياً عن الباقي من جنسه" [5]. واشترط على نفسه أن لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب[6].

نبّه التنوخي في مقدمة كتابة إلى طريقته في تأليف الكتاب، فإن لم يتبع طريقة الأبواب أو الفصول، وكان هذا خروج عما اعتاد عليه الكتّاب في هذا، ويعلل ذلك بقوله[7]:" فأوردت ما كتبته مما كان في حفظي سالفاً، مختلطاً بما سمعته أنفاً، من غير أن أجعله أبواباً مبوبة، ولا أصنّفه أنواعاً مرتبة، لأن فيها أخباراً تصلح أن يذاكر بكل واحد منها في عدة معاني" . وأضاف " وكان إذا وقف قارئه على خبر من أول كل باب فيه، علم أن مثله باقية، فقلَّ لقراءة جميعه ارتياحه ونشاطه، وضاق فيه توسعه وانبساطه، ولكان ذلك يفسد أيضاً ما في أثنائه من الفصول والأشعار" [8].

---

[1]) النشوار، ج1، ص10.

[2]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2280.

[3]) وقد ذيل غرس النعمة على النشوار بكتاب سماه كتاب الربيع، ابتداءه سنة 468هـ/1075م. ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2280؛ كما ألف سبط بن الجوزي على غراره كتاب سماه نشوان المحاضرة. النشوار،ج1، ص8 (مقدمة المحقق) .

[4]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2280.

[5]) النشوار، ج1، ص13.

[6]) ولكن نجد التنوخي ينقل في النشوار من كتب دون الإشارة إلى أسمائها مثل قوله:" وفي معنى هذا ما أذكره، وإن كان موجوداً في الكتب، ولكنه على سبيل الاستعادة وهو حسن" ، النشوار، ج2، ص17، كما ينقل من دواوين شعر. انظر النشوار، ج3، ص159.

[7]) المصدر نفسه، ج1، ص12.

[8]) المصدر نفسه والصفحة.

بهذا الأسلوب كان التنوخي يتفاخر بهذا الكتاب، وبأنه " ما سبق إلى كَتبِ مثل هذا الكتاب، ولم تخلّد بطون الصحف، بشيء من جنسه، وإن كثيراً مما ورد فيه لا نظير له، ولا شكل، وهو وحده جنس وأصل" [1].

وفي خاتمة مقدمة كتابه أَمِلَ التنوخي أن يجد القارئ فائدة بقوله[2]:" إنه يرجو أن لا لا يبور ما قد جمعه، ولا يضيع ما قد تعب فيه وكتبه، فلو لم يكن فيه إلا أنه خير من أن يكون موضعه بياضاً لكانت فائدة" .

أما الأسباب التي دفعت التنوخي إلى تأليف الكتاب فيمكن أن نوجزها بما يلي:

1. أنه خشي من ضياع كثير من أخبار الملوك والممالك، فقد ذكر:" أنه أجتمع قديماً مع مشايخ فضلاء وعلماء وأدباء، قد عرفوا أحاديث الملل، وأخبار الممالك والدول، وشاهدوا كل فن غريب، ولون طريف من أخبار الملوك والخلفاء، فلما تطاولت السنون مات أكثرهم، وخشي أن يضيع هذا الجنس" ، فأثبته في كتابه [3].
2. أراد التنوخي من كتابه إبراز فضل العلماء والحكماء والأدباء في زمنه، وأنهم يفوقون من تقدمهم في الزمان ولكن " يقتصر منهم على الإكرام دون الأموال، وقضاء الحاجات دون المغارم والأثقال فما يرفعون به رأساً، ولا ينظرون إليه إلا اختلاساً، لفساد هذا العصر" [4].
3. أضاف التنوخي إلى أنه ألف هذا الكتاب " ليستفيد منه العاقل اللبيب، الفطن الأريب، ويجد فيه ما يحثه على العلم بالمعاش، والمعاد والمعرفة بعواقب الصلاح"[5].
4. واتفق أيضاً أن المؤلف حضر المجالس ببغداد سنة (360هـ/970م) بعد غيابه عنها سنين، فوجد تلك المجالس " مختلة مما كانت به عامرة، وبذاكرة أهله

---

[1] المصدر نفسه والصفحة.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص13-14.

[3] النشوار، ج1، ص8.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص9.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص12.

ناظرة، ولقيت بقايا من نظراء أولئك الأشياخ وجرت المذاكرة، فوجدت ما كان في حفظي من تلك الحكايات قديماً قد قل، وما يجري من الأفواه في معناه قد اختل، فأثبت ما بقي على ما كنت أحفظه قديماً" [1].

ظهرت أول طباعة لكتاب النشوار عام 1921 عندما قام المستشرق مرجوليوث (Margoliauth) بطبع الجزء الأول منه بمصر عن مطبعة هندية، وترجمه إلى اللغة الإنجليزية، فقد اندفع الأستاذ مرجوليوث إلى ترجمة الجزء الأول، ونشره بعنوان: مسامرات قاضٍ من ما بين النهرين (عراقي) " The Table-Talk of a Mesopotamian Judge" وصدر في لندن في السنّة التالية 1922.

ثم اكتشف الجزء الثامن في مكتبة المتحف البريطاني الأستاذ كرنكو (Kranko) في حدود عام 1928، الذي بدوره نبه مرجوليوث بوجود مخطوطة في المتحف البريطاني رقم (9586 شرقي) من غير عنوان ولا تاريخ، قدَّر أنها تجارب الأمم لمسكويه، وقام مرجوليوث بمقارنة الجمل التي حوتها مع ما نشر من النشوار وخاصة في المقدمة، فأدرك على أنها جزء من النشوار، فترجمه إلى الإنجليزية، ثم قدّم نصّه العربي إلى المجمع العلمي العربي في دمشق[2]، فنشرته مجلة المجمع في مجلدها العاشر سنة (1930)[3]، في عشرة أقسام، ثم جُمع ككتاب، وأضيفت إليه مقدمتان: كلمة المجمع ومقدمة المصحح.

وأما الجزء الثاني فيبدو أن المرحوم أحمد تيمور بعث بنسخة منه إلى الأستاذ مرجوليوث، وأن مرجوليوث قام بتحقيقه، وبعث به إلى المجمع لنشره، فنشر في مجلة المجمع في المجلدات: 12، 13، 17، وطبع بكتاب عام 1934، بحيدر آباد الدكن -الهند.

وما أن ظهر الجزء الأول من الكتاب حتى تناوله الباحثون بالتقريظ والنقد ومن أشهرهم:

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص10.

[2]) مجلة المجمع العلمي العربي، مج10، ج1، دمشق، 1930، ص4.

[3]) ترجم إلى اللغة الإنجليزية ونشر في مجلة: The Islamic Reviewالتي كانت تصدر بحيدر أباد الهند، 1934. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص147.

1. الأستاذ أحمد تيمور، فقد كتب سلسلة مقالات تناول فيها بعض الألفاظ التي جرت على قلم التنوخي في الأخبار التي أوردها والحكايات التي حكاها، وكانت بعنوان:" تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة" [1].
2. عبد القادر المغربي، فقد حاضر عن الكتاب في ردهة المجمع العلمي في (15 كانون الأول 1921)، وكانت المحاضرة بعنوان " صفحة من تاريخنا الاجتماعي" ، ثم كتب ثلاثة مقالات عن ألفاظ الكتاب بعنوان " طاقة أزهار من كتاب النشوار" [2].
3. حبيب الزّيات، فقد كتب مقالاً بعنوان " نشوار المحاضرة لأبي علي التنوخي" [3]، قيّم في هذا البحث جهود المستشرق مرجوليوث والباحثين الذين تناولوه بالدراسة.
4. مصطفى جواد، كتب مقالين عن الجزء الثامن من النشوار، ردّ فيها على الأخطاء والتصحيحات غير الموفقة التي قام بها مرجوليوث، والباحثون الذين ردوا عليه وحاولوا تقييم عمله[4].
5. محمد كرد علي، كتب مقالاً بعنوان كنوز الأجداد[5].

ولم تتعد هذه الأبحاث تفسير بعض الألفاظ الحضارية والفارسية التي وردت في النشوار، أو انتقادات وجهت لعمل المستشرق مرجوليوث حول طريقته في تحقيق الكتاب.

وبعد مضي أكثر من أربعين عاماً على جهود المستشرق مرجوليوث في تحقيق النشوار ونشره، جاء الأستاذ عبود الشالجي ليكمل عمل مرجوليوث فقام بجمع ما

---

[1] نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي: مج2، ج10، ج11؛ مج3، ج1، ج2، ج4، ج6، ج8 ج9، ج11، دمشق، 1930-1931.

[2] مجلة المجمع العلمي العربي، مج10، ج2، دمشق، 1930.

[3] مجلة الخزانة الشرقية، مج2، مج3، بيروت، 1922-1923.

[4] نشر الأول في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، سنة 1930، والجزء الثاني نشر في مجلة لغة العرب، سنة 1931.

[5] مجلة لغة العرب، مج22، بغداد، 1940.

تيسّر من مخطوطات الكتاب المنتشرة بدور المخطوطات في العالم، ثم أعاد دراستها وتحقيقها من جديد.

وأول ملاحظة على عمل الشالجي أنه لم يقع على أجزاء جديدة من الكتاب لم تكن قد نشرت، ولا على مخطوطات منه لم تكن قد عرفت، إلا أن الجديد في عمله هو محاوله جمع ما فقد من أجزاء النشوار، بأن تتبع الفقرات الضائعة منه في كتب التاريخ والأدب، فأعاد جمعها وتبويبها على أنها من النشوار، فأضاف أربعة أجزاء[1] إلى الأجزاء الأربعة الأخرى.

بذل الأستاذ الشالجي جهداً ضخماً في إحياء الكتاب، ونلمس ذلك في كل تعليق، وفي كل سطر من البداية إلى النهاية، وهذا يظهر مدى حرصه على عمله، ومدى اصطباره عليه، ويحدثنا عن عمله في الجمع والتتبع فيقول:" ثم حاولت، من بعد ذلك، أن اتتبع الفقرات الضائعة من النشوار في ثنايا الكتب فأعيد جمعها، وكان ذلك بدء عمل مضن، بذلت فيه وقتاً وجهداً، وصبراً" [2].

ولا بد من التوقف عند الأجزاء الأربعة التي جمعها الأستاذ الشالجي، وأثبتها على أنها الأجزاء الضائعة من النشوار، هل الروايات التي وردت فيها هي فعلاً من روايات النشوار، أم أنها مجرد روايات رواها ابنه القاضي أبو القاسم علي بن المُحسِّن عن والده، أم أنها مجرد روايات رواها عن غيره وليس لها علاقة بالنشوار؟

لقد تعرض عمل الشالجي هذا للنقد والاعتراض من قبل بعض الباحثين، الذين رفضوا هذا العمل، فالباحث شكري فيصل و صف عمل الشالجي بقوله:" أما إنّا متفقون، على الجهد الكبير المضني الذي بذله في عرض هذه الكتب - يقصد مراجعته للكتب التي أوردت روايات مصدرها التنوخي- والوقوف عند كل خبر منها، فذلك شيء أخر، هو غير الاتفاق على أن هذا الجهد يصل بنا على نحو طبيعي، إلى تأليف الأجزاء الضائعة من الكتاب. وأضاف" إن الأعراف العلمية لا تبيح لي بحال

---

[1]) وهي الأجزاء: الرابع، الخامس، السادس، والسابع.

[2]) شكري فيصل، نشوار المحاضرة خلال ربع قرن أو يزيد، مجلة مجمع اللغة العربية، مج48، ج1، دمشق، 1973، ص296.

من الأحوال أن أسند شيئاً إلى غير صاحبه، إلا على بينة ودليل ... وهي أحرى أن لا تتيح لي بحال أن أجعل من بعض القصص أيّا كانت صلتها بصاحبها، هي الكتاب المفقود، الذي أعدّه هو على هذا النحو أو ذاك" [1]. وبعد هذا، أكد شكري فيصل على أن الذي قام به الشالجي لا يتطابق مع الأصل. " لا في كميته ولا في كيفيته. ورغبة الأستاذ الشالجي الطيبة الرفيعة التي تروعنا لا تكفي وحدها للنهوض بهذا العبء، لا لأنه صعب فحسب، بل لأنه يوشك أن يكون مستحيلاً في نطاق المعطيات التي بين أيدينا" [2].

وذهب إبراهيم السامرائي إلى أن معظم النقول ليس فيها ما يثبت أنها من النشوار " فلم يرد ذكره لا تصريحاً ولا تلميحاً، ثم أن طبيعة هذه النقول، يغلب عليها اللون التاريخي... وهناك شيء آخر يتصل بلغة هذه النصوص التي خلت من الأساليب العامية والكلم العامي، الذي شاع في كتاب النشوار، وهذا يحملنا على القول أنها ليست من النشوار" [3].

إن مثل هذه الاعتراضات ساورت الشالجي أثناء جمعه لتلك الروايات، فصاغ جواباً مسبقاً ليرد فيه على من يعترض على عمله، بقوله:" ولعل بعض القصص التي نقلتها كانت من رواية أبي القاسم التنوخي - ابن المؤلف- ولعل بعض القصص وإن كانت من رواية المؤلف، إلا أنه ليس ثمة دليل قاطع على أنها مما اشتمل عليها كتاب النشوار، وردّي على من اعترض على إيرادها عين ما كتبه المؤلف في خاتمة مقدمة الجزء الأول من الكتاب، حيث قال: لو كان في إيراد هذه القصص وتسجيلها خير من موضعها بياضاً، لكانت فائدة" [4].

لذلك يمكن تقسيم الروايات التي جمعها الشالجي إلى ثلاث مجموعات:

---

[1]) فيصل نشوار المحاضرة، ص296-297.

[2]) المرجع نفسه، ص298.

[3]) إبراهيم السامرائي، نظرات في نشوار المحاضرة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج31، ج4 1980، ص247.

[4]) النشوار، ج1، ص ص11-12.

1. روايات أسندتها المصادر إلى القاضي أبي علي المُحسِّن التنوخي مباشرة.
2. روايات أسندتها المصادر إلى القاضي (الابن) أبي القاسم علي بن المُحسِّن التنوخي، ونقلها بدوره عن والده.
3. روايات أسندتها المصادر إلى القاضي أبي القاسم علي بن المُحسِّن التنوخي، ولكنه نقلها عن رواة غير والده.

قام الباحث بتصنيف الروايات التي وردت في الأجزاء الأربعة وعددها 615 رواية، وتبين أن مجموع الروايات التي وردت من طريق القاضي المُحسِّن، أو ابنه أبي القاسم وأسندها بدروه إلى والده بلغت 199 رواية. وبعد أجراء مقارنات بين بعض الروايات التي وردت عن طريق أبي القاسم التنوخي نقلاً عن والده في بعض المصادر، مع مثيلاتها في الأجزاء الأصلية، تبين مطابقتها وتوافقها. ومن الأمثلة على ذلك:

1. قصة الوزير القاسم بن عبيد الله وابن أبي عوف التي وردت في المنتظم[1] والتي نقلها عن أبي القاسم، وردت في النشوار[2].
2. قصة ارتفاع الأسعار عام (335هـ/946م)، وشراء معزّ الدولة كرّ[3] الحنطة بعشرين ألف درهم، والتي وردت في المنتظم[4]، وردت في النشوار[5].
3. وقصة الرقعة التي كتبها المعتضد إلى صاحب الشرطة، التي وردت في المنتظم[6]، وردت أيضاً في النشوار[7].

---

1) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص90.
2) النشوار، ج2، ص111.
3) الكرُّ: مكيال بابلي الأصل، وكان يساوي في العراق 30 كارة، والكارة تساوي 60 قفيزاً وكل قفيز يعادل ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف. ووفقاً لذلك يكيل الكر الواحد وزنا من القمح يبلغ 2925كغم. هنتس، المكاييل والأوزان، ص69؛ الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص384.
4) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص189.
5) النشوار، ج1، ص352.
6) ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص127.
7) النشوار، ج3، ص63.

كما أن هناك روايات أوردها الشالجي في الأجزاء التي جمعها، برواية أبي القاسم نقلاً عن والده، وردت أيضاً في مؤلفات المُحسِّن التنوخي الأخرى، ومن الأمثلة على ذلك:

1. قصة الرجل الذي حلف بالطلاق أن لا يحضر دعوة، والتي وردت في النشوار[1]، وردت في الفرج[2].
2. قصة سيد العربية ابن أبي داوود والتي وردت في النشوار[3]، وردت في المستجاد[4]، والفرج[5].

لهذا يمكن القول أن 199 رواية من أصل 615 مجموع ما ورد في الأجزاء المجموعة هي من أصل النشوار.

2. كتاب الفرج بعد الشدّة[6]

هذا كتاب وسط بين المستجاد وكتاب النشوار من حيث حجمه وهو مجموعة من الأخبار، اتّفقت لأناس أصابهم بعد الشدّة فرج، من ضمن هؤلاء مؤلف الكتاب، الذي بدأ بوضعه في أواخر أيامه[7]، على أثر محنّ تعرض لها، وشدائد ابتلى بها، ثم نجا

---

[1] النشوار، ج5، ص135.

[2] الفرج، ج3، ص61.

[3] النشوار، ج7، ص191.

[4] المستجاد، ص159.

[5] الفرج، ج2، ص60.

[6] كانت أول طباعة لهذا الكتاب سنة 1903م من قبل محمد الزهراوي عن دار الهلال، كما نشر مرة أخرى بالقاهرة أيضاً سنة 1938 بالمشاركة بين مكتبة الخانجي بالقاهرة، ومكتبة المثنى ببغداد سنة 1955م، ثم قام الأستاذ عبود الشالجي بتحقيق الكتاب من جديد ونشره بخمسة أجزاء، مع عدد من الفهارس للأعلام، والأماكن والمصطلحات ونشرته دار صادر، ببيروت، 1978. وعلل الشالجي سبب إعادة تحقيق الكتاب بقوله:" وتبين لي عند البدء بالتحقيق أن النسخة المطبوعة من هذا الكتاب اختصاراً مخلاً، إذ حذفت من أخباره الأسانيد، كما حذفت كثيراً من التفاصيل التي كان المؤلف يوردها لبيان ظرف من ظروفه، هذا فضلاً عما ورد فيها من التصحيف" . مقدمة المحقق للفرج، ج1، ص8.

[7] الفرج، ج2، ص286.

منها[1]. وأخرجه في ثلاث مجلدات[2]. أودعها أخباراً استلها من الكتب، وأضاف إليها قسماً من مسموعاته ومشاهداته. وشملت هذه القصص والروايات أخبار بعض الأنبياء، والمحنّ التي لحقت بالرسول - صلى الله عليه وسلم- وقصص من العصر الراشدي، وأخرى من العصر الأموي. لكن أغلب الروايات التي نقلها التنوخي عن كتاب الفرج تعود للعصر العباسي.

وصف الثعالبي كتاب الفرج بقوله[3]:" وله كتاب الفرج بعد الشدّة وناهيك بحسنه، بحسنه، وامتاع فنه، وما جرى من الفأل بيمنه، لا جرم أنه أسّير من الأمثال، وأسرى من الخيال" . كما ذكر بروكلمان مخطوطات هذا الكتاب، وأماكن وجودها[4]، والمؤلفين الذي اختصروه[5]، أو هذبوه[6]، أو ترجموه[7]، أو قلدوه في منحاه في اللغات: التركية[8] والعبرية[9].

بدأ بتأليف الكتاب سنة (373هـ/983م) أو بعدها، فاقتطع من النشوار[10] مجموعة من القصص التي تشتمل على أحاديث تتعلق بمن أبتلي ثم سرّي عنه، وضمها إلى قصص أخرى نقلها من الكتب، فأخرج كتاب الفرج بعد الشدّة.

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص52، ص74.

[2]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2280.

[3]) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص405.

[4]) بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص145.

[5]) اختصره علي بن أبي طالب بن علي الحلبي وسماه نجاة المنهج ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة باريس تحت رقم 3485، واختصره مجهول. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص145.

[6]) وهذبه بتصرف محمد عوفي في جامع الحكايات وجوامع الروايات، وقدمه إلى السلطان ايلتتمش في دلهي. بروكلمان تاريخ الأدب، ج3، ص145.

[7]) ترجمة إلى الفارسية الحسين بن أسعد بن الحسين الداهستاني وقدمه إلى طاهر بن زنكي. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص154.

[8]) ترجمة إلى التركية القاسم بن محمد. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص145.

[9]) وصلنا من الأدب العبري كتاب " في الفرج بعد الشدّة" لابن شاهين، بنصيه العبري والعربي في كتاب واحد باعتناء جولين اوبرمان، مطبعة جامعة بال ، 1933. العزاوي، الكتابة التاريخية، ص100.

[10]) بلغ عدد الروايات التي اقتطعها من النشوار، وضمنها في الفرج 45 رواية.

لم يكن التنوخي المبتدع لهذا النوع من التأليف، بل سبقه إليه جماعة وصلت كتبهم إليه، وقد ذكرها في مقدمة كتابه، وبين فضل بعضها على البعض الآخر وهي:

1. أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت 225هـ/839م)، وكتابه الفرج بعد الشدّة والضيقة، وهذا الكتاب يتكون من خمس أو ست ورقات، في مجملها أحاديث تحث على الصبر وانتظار الفرج " وهو مشتملٌ على خمس أو ست أوراق" [1].
2. أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا (ت 281هـ/894م) وكتابه الفرج بعد الشدّة، " في نحو عشرين ورقة" [2].
3. أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 328هـ/939م) وكتابه الفرج بعد الشدّة " في مقدار خمسين ورقة" [3].

وأشار التنوخي إلى النقص في هذه الكتب، فبعضها:" الغالب عليه أحاديث عن النبي-صلى لله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه، وأخبار عن الصحابة والتابعين رحمهم الله... وباقيها أحاديث وأخبار في الدعاء وفي الصبر... وهو عندي خالٍ من ذكر الفرج بعد الشدّة" ، لذلك نشط في تأليف كتابه " الذي يحتوي من هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم وأشرح" [4].

لم يكتفِ التنوخي بذكر النقص في هذه الكتب، بل خالف مذهبهم في التأليف، وعدل عن طريقتهم في الجمع، " فإنهم نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة، وربما صادفت مللاً من سامعيها، أو وافقت سآمة من الناظرين فيها، فرأيت أن أنوّع الأخبار، وأجعلها أبواباً" [5].

---

[1]) الفرج، ج1، ص52.

[2]) المصدر نفسه والصفحة. والكتاب مفقود.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص53.

[4]) الفرج، ج1، ص45. واتضح للباحث من مجموع الروايات التي وردت في الفرج أن هذه الكتب اقتصرت على الأحاديث النبوية، وأخبار بعض الصحابة، والهدف منها الحث على الصبر، للمزيد من الاطلاع، انظر: الفرج، ج1، ص171، ص286، ص304، ص395؛ ج2، ص328؛ ج3، ص206.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص54.

وجعل منهجه في الكتاب، الإيجاز والاختصار، وإسقاط الحشو وترك الإكثار؛ " لأن الإكثار إثارة الملل للقارئ " [1].

وبين التنوخي أنه لم يصل إلى درجة الكمال في كتابه، ولربما يجد فيه القارئ بعض الأخطاء، فقال: [2] " وأنا راغب إلى من يصل كتابي إليه، وينشط للوقوف عليه، أن يصفح عمّا يعثر به من زلل، ويصلح ما يجد من خطأ وخلل" .

3. المستجاد من فعلات الأجواد

هذا الكتاب أصغر كتبه، حيث جمع فيه أخباراً عن الكرماء منذ عصر ما قبل الإسلام حتى عصره، وقام بتحقيقه ونشره محمد كرد على[3]، ونشر قبل ذلك من قبل باولي[4] -L pauly

وكان تأليفه لكتاب المستجاد بعد عام (373هـ/983م)، والدليل على ذلك أن هناك خمس عشرة حكاية من حكايات الفرج موجودة في المستجاد.

ولعل السبب الحقيقي الذي دفع القاضي التنوخي إلى تأليف هذا الكتاب، هو انتشار الفقر، وضيق أحوال الناس، نتيجة للظروف الاقتصادية السيئة في ذلك الحين، ففي أحدى روايات النشوار بين ذلك بقوله[5]:" تجارينا ذكر شدة زماننا وفقر الناس فيه، وضيق أحوالهم واستحبابهم البخل، حتى أن بعضهم يسميه احتياطاً، وبعضهم إصلاحاً، وتوصية الناس بعضهم بعضاً به، وتحذر التجار من معاملات الناس، ومسك الناس أيديهم عن الإحسان إلى أحد، أو برّه، أو إغاثة ملهوف، أو التنفيس عن مكروب، وأن ذلك في الأكثر لضيق أحوالهم" . فأورد التنوخي هذه الروايات، بهدف تزيين الكرم والكرماء، وحث الأغنياء على العطاء والإنفاق.

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص155.

[2]) المصدر نفسه والصفحة.

[3]) نشر عن دار الترقي، دمشق، 1946؛ ثم أعيد نشره عام 1970.

[4]) نشره في شتوتجارت بألمانيا بالزنكوغراف عام 1939. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص146.

[5]) النشوار، ج2، ص275.

اقتبس التنوخي حكايات الكتاب من مصادر في الغالب لم ينبه إليها، ونسب السند إلى مجهول كقوله:" روي" " وقيل" " وحكى" ، واغلب الظن أن التنوخي عندما استعمل هذه الطريقة كان يريد لهذه الحكايات والحوادث أن تروى وتنتشر بين الناس، ليضمن لها الشيوع والانتشار[1].

واهم ما يميز هذا الكتاب عن غيره من مؤلفات التنوخي هو فصاحة لغته وعدم استخدامه الألفاظ العامية التي أكثر من استخدامها في مؤلفاته الأخرى[2].

قدَّم التنوخي في هذا الكتاب أخباراً عن الأجواد من مختلف العهود التاريخية: الجاهلية والإسلامية.وقد طغت أخبار العصر العباسي على ما سواها، حيث بلغ عدد الأخبار من العصر الراشدي أربعة وعشرين خبراً، ومن العصر الأموي، خمسة وأربعين خبراً، ومن العصر العباسي أثنين وسبعين خبراً، بالإضافة إلى سبعة أخبار من العصر الجاهلي، وخبر من الحضارة اليونانية، وآخر من حضارة الخزر، فكان مجموع أخبار وروايات الكتاب مئة وخمسين خبراً[3]. " فهذه مائه وخمسون خبراً، أحسن ما سطر، وأفخر ما يذكر وينشر" ،[4] ثم ذيلها " بنكت عجيبة من الأجوبة المصيبة وبلغ عددها سبعاً وستين جواباً" [5]. وقد اختلطت الأخبار فلم تكن مرتبة تاريخياً، وقد يكون قد دونها كيفما كانت تخطر ببال. تفاوتت أخبار الكتاب في الطول، فبعضها يمتد حتى يصل إلى عدة صفحات، وبعضها لا يتجاوز السطرين.

وحول سبب تأليف الكتاب قال التنوخي في مقدمته المقتضبة أن أحد الأشخاص - الذي لم يكشف عن اسمه- طلب منه أن يجمع له من " أخبار الأجواد أجودها، ومن فعالات الكرام أسناها وأرشدها" [6].

---

[1]) درويش، المُحسِّن بن علي التنوخي، ص143.

[2]) فهد، القاضي التنوخي، ص25.

[3]) ولكن المنشور هو مائة واثنين وخمسين خبراً، ولعل ذلك يعود إلى اجتزاء الناسخ أو المحقق.

[4]) المستجاد، ص244.

[5]) المصدر نفسه والصفحة.

[6]) المصدر نفسه، ص9.

ولا بدّ من الإشارة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها الناسخ ولم ينبه إليها المحقق، فقد ذكر في بعض رواياته أن مؤلف كتاب الفرج بعد الشدّة هو أبو القاسم علي بن المُحسِّن بن علي التنوخي (الابن)، وهذا خطأ، فكتاب الفرج هو من تأليف أبو علي المُحسِّن بن علي التنوخي (الأب)، وقد ورد هذا الخطأ في القصة (27) " قال القاضي أبو القاسم علي بن المُحسِّن التنوخي: حدثني أبو الفرج الأصبهاني من حفظه[1] "، مع أن أبا الفرج الأصبهاني توفي في سنة (356هـ /[2]966م)، والقاضي أبو القاسم علي بن المُحسِّن ولد في سنة (365هـ[3]/975م). وكذلك في القصة رقم (66)، جاء فيها ما يلي:" قال القاضي أبو القاسم علي بن المُحسِّن بن علي التنوخي مؤلف كتاب الفرج بعد الشدّة[4]".

4- ديوان شعر

ذكر الخطيب بأن القاضي التنوخي " كان أديباً شاعراً[5]" . وأشار الثعالبي إلى ديوانه بقوله[6]:" أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان، أنه، رأى ديوان شعره ببغداد، أكبر حجماً من من ديوان شعر أبيه" . وهذا يدل على أن التنوخي كان ينظم الشعر، حتى أنه جمع له ديوان منه، لكن هذا الديوان لم يصل إلينا، وما لدينا من شعره لا يتجاوز المقطوعات[7] المعدودة الأبيات. ومن مطالعة هذه المقطوعات، نجد أن التنوخي كان يميل إلى النظم في الأغراض المعروفة للشعراء في عصره منها: الغزل، والهجاء، والمدح، والتهاني، والحكمة والشكوى من الزمان.

---

[1]) المستجاد، ص46؛ ويتكرر نفس الخطأ في القصة 69، وكذلك في القصة 74.

[2]) ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص1707.

[3]) الخطيب، تاريخ، ج12، ص114؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص168.

[4]) الخطيب، تاريخ، ج12، ص141.

[5]) الخطيب، تاريخ، ج13، ص155؛ وانظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص419؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص163.

[6]) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص405؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2281.

[7]) لعدم توفر الديوان، قام الباحث بجمع تلك المقطوعات الشعرية من مصادرها وأودعها الرسالة، استكمالاً للفائدة.

ومن شعره في الهجاء، ما قاله في أحد المشايخ، وقد خرج ليستسقي، وكان في السماء سحاب، فلما دعا، أصحت السماء، فقال التنوخي[1]:

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا
فلما ابتدا يدعو تقشحت السما فما تمَّ إلا والغمام قد انقضا

ودلاله على جودة شعره، نجد أن الثعالبي يصف البيتين التاليين بقوله:" وأنا مرتاب لفرط جودته، وارتفاعه عن طبقته" والبيتين هما:

أقول لها والحي قد فطنوا بنا ومالي على أيدي المنون براح
لما ساءني أن وحشتني سيوفهم وأنك لي دون الوشاحِ وشاحِ[2]

ولما صرف من قضاء الأهواز، وصودرت ضيعته، وبلغه شماتة أعدائه عند عودته إلى بغداد، قال قصيدة طويلة، بين فيها تقلب الدهر، حيث أنشد يقول[3]:

لئن أشمَتَ الأعداء صرفي فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجدُ
ومحنّتي مقام وترحال وقبض وبطة كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكدُ
وما زلت في الملمّات قبلها ولا غرو في الأحيان أن يغلب الجلدُ
فكم ليث غابٍ شرّدته ثعالبٌ وكم من حسام فلّه غِيَلةً عمدُ
وكم جيفة تعلو وترسب درةٌ ألم تر أن ومنحسة تقوى إذا ضعف السعدُ
الغيث يجري على الربى فيحظى به إن جاد صيّبه الوهدُ
وكم فرج والخطب يعتاق نيله يجيء على يأس إذا ساعد الجدُّ
لقد أقرض الدهر السرور فإن يكن فالقروض لها ردُّ
فكم فرحةٍ على أثر ترحةٍ وكم راحة تطوى إذا أنصل الكدُّ
وكم منحة من محنّه تستفيدها ومكدوه أمرٍ فيه للمرتجي رِفدٌ

---

[1]) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص405، ياقوت، معجم الأدباء،ج5، ص2281؛الكتبي،فوات الوفيات،ج2، ص80
[2]) الثعالبي، اليتمية، ج2، ص416.
[3]) الفرج، ج5، ص ص50-51.

على أنني أرجو لكشف الذي عرا مليكا له في كل نائبه رَفَدٌ وتمسي عيون

فيمنع منا الخطبَ، والخطبُ صاغرٌ الدهر عنّا هي الرمد

ونعتاض باللقيا من البين أعصراً مضاعفةً تبقى ويستهلك البعد

ونضحـي مراحـى قد عنينا عن الغـن " بيا راهبـي نجران ما صنعـت هنـد"

وله في محنّه أخرى لحقته:

أعيا دواي أسته ودواءهم فغدوت لا أرجو سوى المتطوّل

ربٌّ عليه في الأمور توكلي هو عدّتي في النائبات وموئلي

سيـتيـح مـمـا قـد أقاسي فــرجـــةً فيغيثني منه بـحـسـنِ تــفـضـّل[1]

وقال يمدح أحد الرؤساء ويهنئه بمناسبة شهر رمضان:

نلت في ذا الصيام ما ترتجيــه ووقاك الإله ما تتقيه

أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر بل مثل ليلة القدر فيه[2]

ومن شعره في التأسي على المصائب والصبر عليها:

لئن عداني الدهر عنك يا أملي وسلَّ جسمي بالأسقام والعلل

وشتّ شمل تصافينا والفتنا فالدهر ذو غِيرٍ والدهر ذو دُولٍ

فالحمد لله حمد الصابرين على قد ما ساء من حادثٍ يوهي قوى الأمل

استكنت لصرف الدهر والتحفت عليَّ منك غواشي الخوف والوجلِ

واعتضت منك بسقمٍ شأنه جللُ ومن وصالك بالهجران والمللِ

وبعد أمني من غدرٍ ومقليةٍ غدراً تصرح بالألفاظ والرسلِ

ومن لقائك لقيا الطب ارحمهم فظٌّ، وأرفقهم مدن إلى الأجل

---

[1]) الفرج، ج5، ص51.

[2]) الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص406؛ ابن خلكان، وفيات، ج4، ص161.

ولست آيس من رجع الوصال ولا عود العوافي، ولا أمن من السبلِ[1]

وله أيضاً في محنّة أخرى لحقته، فكشفها اللَّهُ عنه:

أمـــا للـــدهر مـــن حكـــم رضيّ يـــدال بـــه الشريـف مـن الـدنيّ
فتســتعلي الــرؤوس عــلى الــذنابي وينتصـــف الــذكيّ مـــن الغبـــيّ
ومـــن عاصـــاه دمـــعٌ في بـــلاء فلـــيس بكـــاء عينـــي بالعصيّـــ
ومــــا أبــــكي لــــوفرٍ لم يغــــرهُ زمـــانٌ خـــان عهـــدَ فتـــىً وفيّ
ولا أسى عـــلى زمـــنٍ تقـــض بعـــيش نـــاضرٍ غـــضً نـــديّ
ولـكن مـن فـراق ســراة قـومٍ عـــهـــِدتُـهـمـوا شموسا في الــنــديّ

ومــن حـدثٍ يفـوتني المعـالي عــلى عهـــدٍ بهـــا حـــدثٍ فتـــيّ
وأن يـــدي تقصّرـ عـــن هـــلاك العـــدوّ وعـــن مكافـــأة الـــولي
ومـــا تغنـــي الحـــوادث إذا ألمّـــت ســـوى قلـــبِ عـــن الـــدنيا ســـخيّ
وصـــبر لـــيس تنزحـــه الليـــالي كنـــزح الـــدلو صـــافية الـــركيّ
ولـــيس بـــأيس مــن كــان يخشىـ ويرجـــو الله مـــن صـــنع قـــويّ[2]

ختاماً، يمكن القول أن الأبيات الشعرية التي لدينا من شعر التنوخي تبين أنه من شعراء الطبقة الوسطى، كما رأينا في شعر الاستسقاء، وشعر التهاني، أما شعره في المحنّ التي تعرض لها، فهو لا يرقى إلى الشعر البليغ القوي، ومعظمه كما رأينا، كالكلام العادي، إلا أنه موزون مقفى[3].

[1]) الفرج، ج5، ص49.
[2]) الفرج، ج5، ص50.
[3]) درويش، المُحسِّن، ص149.

وأشـار بـروكلمان[1] إلى أن للقـاضي التنـوخي كتـاب آخـر بعنـوان " عنـوان الحكمـة والبيان" ، وأن هناك نسخة مخطوطةً منه في مكتبة بودليان بإكسفورد، تحـت رقـم: م س 323/1. لذلك تم مخاطبة مكتبة بودليان عن طريق مركز الوثائق والمخطوطات/الجامعـة الإدرنية، وأرسلت مكتبة بودليان مشكورة نسخة مصوره من المخطوطة التي تحمل رقـم: م س 323/1. ولكن بعد الإطلاع عليها تبين أنها لمؤلف آخر اسمه أبو القاسم المحسِّـن بـن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد التنوخي ترجم له ابن عساكر، وذكر أنه ولد بمعـرة النعمان[2]، سنة (339هـ/950م)، ثم قدم دمشق في طريقه لأداء فريضة الحج، فمات فيها وكان ذلك سنة (423هـ[3]/1038م).

والكتاب، كما يظهر من مقدمته خصصه صاحبه للحديث عن الزهد في الدنيا وأخبـار بعض الزهاد وأقوالهم الحاثة على ذلك. ومما جاء في مقدمة الكتاب " أما بعد، فإن الله – عز وجل-، حكم بالفناء على الدار الدنيا، وأعلم أن الآخرة خير وأبقـى، وأن الطريـق إليهـا اتبـاع الأنبيـاء، والإقتـداء بـالعلماء، وقـد جمعـت في هـذا الاسـتماع، وأملـت أن لا تمحـه الأسماع، وقصده مما قيل فيه التزهيد في الدنيا إلى مـا قيـل في سياسـة أحوالهـا، ومـداراة أهلها، والصبر على شدائدها، والاقتصاد في مكاسبها" [4].

أهمية كتب التنوخي

اكتسبت كتب القاضي التنوخي أهمية كبيرة، لما احتوته من معلومـات تاريخيـة تمثـل مختلف جوانب الحياة: السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة والثقافيـة والإداريـة، التـي لم تهتم بها كثيراً كتب التاريخ التي اعتمدت الجانب السياسي عنواناً رئيسـاً لهـا، ومـن جهـة أخرى، فإن التنوخي تحدث عن حياة المجتمع بجميع فئاته من الخلفاء والوزراء

---

[1]) بروكلمان، تاريخ الأدب، ج3، ص147.

[2]) معرة النعمان: مدينة كبيرة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة، وسميت نسبة إلى الصحابي نعمان بن بشر الذي مات بها. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص156.

[3]) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج57، ص90.

[4]) التنوخي، عنوان الحكمة، مخ، ورقة 2.

والكتاب ولم يستثنِ الجواري والرقيق والصوفية والخدم، فكانت كتبه أشبه بالمرآة التي انعكست على صفحاتها صوراً متناقضة في المجتمع.

ومما يميز كتب التنوخي أيضاً، جراءته في تدوين الكثير من القضايا التي أحجم عنها المؤرخين والكتاب. فقد دوّن كل ما شاهد وسمع من الأوضاع الاجتماعية، كالإسراف والبذخ الذي مارسته الطبقة الخاصة أمثال: الخليفة المقتدر[1] والخليفة الراضي[2]. وبذخ وزرائهم كالوزير أبي محمد المهلّبي[3]. وفي الجهة المقابلة نجده يشير تصريحاً إلى حالة الفقر والجوع الذي عانت منه الطبقات الدنيا من المجتمع[4]، كما عكست مؤلفاته أثر الأوضاع السياسية المضطربة، والظواهر غير الطبيعية، فارتفاع الأسعار ونقص المواد، مثل ما حدث في سنة (334هـ/945م) وقت دخول الديلم بغداد، حتى إن امرأة " شوت ولدها وجلست تأكله" [5].

إضافة إلى ما سبق، فإن التنوخي ورغم ثقافته الدينية فإن هذا لم يمنعه من التعرض بجراءة لكثير من القيم الاجتماعية الفاسدة: كانتشار الرشوة[6]، وشراء المناصب[7]، وانتشار وانتشار اللصوصية[8]، والبغاء[9]، حتى " ضمّن البغاء بألفي درهم في الشهر" [10].

يتضح من مؤلفات التنوخي حالة الضنك واليأس التي وصل إليها الناس في عصره، فعنّون أحد كتبه باسم " الفرج بعد الشدّة" ضمّنه أحاديث وقصص يدعو من خلالها الناس إلى انتظار الفرج من الله سبحانه وتعالى.

---

[1]) النشوار، ج1، ص295، ص311.

[2]) المصدر نفسه، ج1، ص296.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص303.

[4]) الفرج، ج2، ص389.

[5]) النشوار، ج1، ص351؛ ج8، ص270.

[6]) الفرج، ج1، ص 127.

[7]) النشوار، ج8، ص120-121.

[8]) المصدر نفسه، ج8، ص226،222.

[9]) المصدر نفسه، ج1، ص185، 350.

[10]) المصدر نفسه، ج1، ص349.

تنبُع أهمية كتب التنوخي أيضاً من مصادره الشفوية والمكتوبة. أما الشفوية فقد كانت متنوعه. فقد أخذ عن: وزراء، وأمراء، وكُتّاب، وقضاة، وفقهاء، وتجار، وصوفية، ونساء، وجواري وخدم. فكانت مصادره تمثل جميع فئات المجتمع الذي يدونّ أخباره.

أما الكتب فنجده يعتمد على كتب ومصنّفات معظمها لم يصل إلينا، فحفظ لنا عدداً من نصوصها، أمثال: (كتاب الآداب النفيسة والأخلاق الحميدة) للطبري، وكتاب (فضائل الورد على النرجس) لابن لنكك الشاعر، و(الفرج بعد الشدّة) للمدائني، وكتاب (مناقب الوزراء) للمطوق وغيرها.

ووصف المستشرق مرجوليوث كتاب النشوار -مع تحفظ على ما أورده في وصف كتاب تاريخ الطبري- بقوله:" واستطاع أن يحصل على قدر كبير من المعلومات الغريبة، التي تؤلف تكملة مستحبة لتاريخ (الطبري الهزيل)، بحكم قضائه كل حياته في مجتمعات مشاهير العراق وفارس، واتصاله خاصة بالرجال الذين جمعوا كل ما أمكنهم اكتشافه من التاريخ من أسلافهم ومعاصريهم اتصالاً وثيقاً" [1].

أثنت لجنة تحرير مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في تصديرها للجزء الثامن من النشوار الذي نشر على صفحات مجلتها على الكتاب فقد وصفته بقولها:" كتاب نشوار المحاضرة أو (جامع التواريخ) تصنيف القاضي أبي علي المُحسّن بن علي التنوخي، من أمثل ما ألّفه الإخباريون في التاريخ والتراجم والاجتماع الإسلامي، وربما كان هذا المصنّف نسيج وحدة في موضوعه، فهو لم يسرد وقائع التاريخ وأخبار رجاله، كما سرده غيره، وإنما هو أملى من خاطره أخبار الذين عرفهم في حياته من طبقة الوزراء والقضاة وكبار الكتاب والعمال الذين هم صفّوة رجال الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري" [2].

---

[1]) مرجوليوث، دراسات، ص154.

[2]) مجلة العلمي العربي، دمشق، مج10، ج1، ص8.

ودليل آخر على أهمية كتبه وتأثيرها الواضح في كتب من أرّخ بعده حيث نجد رواياته قد نشرت في كتبهم، ومن أشهر من أخذ عنه: الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ثمان عشرة رواية[1]، ومسكويه في تجارب الأمم أربع روايات[2]، والصّابئ في كتابه تحفة الوزراء تسع عشرة رواية[3]، وابن الجوزي في كتاب المنتظم أحدى وأربعين رواية، وياقوت في معجم الأدباء سبع وعشرون رواية[4]، وابن خلكان في وفيات الأعيان خمس روايات[5]، وابن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات) ثلاث روايات[6]، والذهبي في (سير أعلام النبلاء) اثنتان وثلاثون رواية[7]، والقرشي في (الجواهر المضيئة) خمس روايات[8]، وابن طاووس في (فرج المهموم) عشر روايات[9].

مادة كتبه

تناول التنوخي في كتبه مختلف مجالات الحياة العامة في العراق على وجه الخصوص . وعلى جاري العادة يمكن تقسيم هذه المادة على النحو التالي:

---

[1] ج1، ص52، ص119، ص313؛ ج2، ص35، ص86، ص120، ص173، ص174، ص176، ص194، ص310، ص356، ص370، ص384، ص401، ج3، ص35، ص101، ص376.

[2] ج2، ص197، ص418.

[3] ص118، ص121، ص124، ص125، ص128، ص130، ص145، ص147، ص167، ص162، ص237، ص238، ص348، ص351، ص354، ص357، ص359، ص360، ص375.

[4] ج5، ص9، ص52، ص80، ص119، ص127، ص133، ص164؛ ج6، ص53، ص54ص349، ص361، ص384، ص392، ص393؛ ج7، ص5، ص6، ص17، ص25، ص26، ص37، ص59، 69، ص78، ص101.

[5] ج1، ص225؛ ج3، ص203، ص307، ج5، ص158.

[6] ج1، ص284، ص373، ج2، ص80.

[7] ج13، ص110، ص200، ص202، ص465، ص466، ص540؛ ج14، ص318، ص319، ص320، ص321، ص322، ص323، ص331، ص332، ص333، ص334، ص336، ص358، ص470، ص471، ص472؛ ج5، ص43؛ ص227، ص229، ص275؛ ج16، ص89، 115، ص116، ص202، ص322؛ ج5.

[8] ج1، ص197؛ ج2، ص68، ص125، ص578؛ ج3، ص128.

[9] فرج المهموم، ص154، ص155، ص165، ص166، ص167، ص168، ص176، ص190، ص201، ص211.

أ- الحالة السياسية

أرّخ القاضي التنوخي لحالة الضعف التي وصلت إليها الخلافة العباسية في فترتي السيطرة التركية والبويهية. وقد ارتبط هذا الضعف بضعف الخلفاء الذين حكموا في هاتين الفترتين، وتغلب الأمراء والقادة على الأمور[1]. ومن تلك الصور -وإن نلمح فيها المبالغة- أنه عندما توفي الخليفة الواثق ترك في بيته، " حتى استل الحرذون عينيه" [2]. أما الخليفة المتوكل، فقد كان المتحكم في الأمور في عهده القائد التركي ايتاخ " وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من ايتاخ العظائم، مما كان يعمل به في أيام الواثق، ولا يقدر له على نكبة، لتمكنه من الأتراك" [3]. والمعتز كان الغالب على أمره موسى بن بغا " وموسى بن بغا إذ ذاك هو الخليفة، وكتبته كالوزراء، والأمور في يديه، والخليفة في حجره" [4]. أما الراضي، فإنه لما توفي " طُلب مرجلاً، ليغلى به ماء حار، فلم يجدها" [5]، وقصة خلع الخليفة المطيع لله من قبل معزّ الدولة، أصدق صورة على ما وصلت إليه أحوال الخلفاء عندما خُلع بصورة مهنية[6].

كما أشار التنوخي إلى تدخل كبار رجال الدولة، وخاصة الوزراء والكُتّاب في اختيار الخلفاء، فلما توفي المكتفي ولم يعهد لأحد بعده، جمع الوزير أبو العباس بن الحسين كبار الكُتّاب، وشاورهم فيمن يتقلد الخلافة، ووقع الاختيار في النهاية على المقتدر بالله فهو " صبي لا يدري أين هو ، وعامة سروره أن يصرف من المكتب" [7].

---

[1]) النشوار، ح2، ص74؛ الفرج، ج2، ص ص16-17.

[2]) النشوار، ج2، ص74. ورد هذا الخبر في: الخطيب، تاريخ، ج14، ص19؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج27، ص45؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص404.

[3]) النشوار، ج8، ص15.

[4]) المصدر نفسه، ج8، ص80.

[5]) المصدر نفسه، ج2، ص72. ورد عند مسكويه، تجارب، ج1، ص3-ص4.

[6]) النشوار، ج3، ص206.

[7]) النشوار، ج5، ص65.

وأوضح التنوخي، مراسيم البيعة للخلفاء. فكان الخليفة يجلس ليأخذ البيعة من القضاة والأشراف والكافّة، ثم يكاتب أمراء الأطراف والأقاليم، يخبرهم بتقليده ليأخذ منهم البيعة" [1].

لم يكتفِ التنوخي بذلك، بل تطرق إلى الخلافات داخل البيت العباسي حول مشكلة الحكم، كقصة خلع الخليفة المقتدر في المرتين، الأولى عام (296هـ[2]/908م). والمرة الثانية في عام (317هـ[3]/929م) وفتنة ابن المعتز[4]، كما أشار من قبل إلى الخلاف بين الأمين والمأمون[5]، وعصيان إبراهيم بن المهدي للخليفة المأمون واستيلائه على الري[6].

وبيّن طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين الخلافة وأمراء الأطراف، أمثال: بني حمدان في الموصل[7]، والبريديين بالبصرة[8]، والطولونيين في مصر[9].

وقد وردت في مؤلفات التنوخي أخبار بعض الثورات التي قامت ضد الدولة العباسية، مثل: ثورة القاسم بن الحسن الداعي الديلمي في طبرستان والري[10]، وثورة محمد بن زيد العلوي في طبرستان [11]، وثورة صاحب الزنج وقتال الموفق له[12]، وحرب المعتضد

---

[1]) الفرج، ج3، ص199. ورد عند مسكويه، تجارب، ج1، ص5، ص188؛ الإربلي، خلاصة، ص239.

[2]) المصدر نفسه، ج3، ص199.

[3]) المصدر نفسه، ج3، ص195.

[4]) المصدر نفسه، ج3، ص197.

[5]) المصدر نفسه، ج3، ص331. ورد الخبر عند: الطبري، تاريخ، ج8، ص498-508؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص288؛ السيوطي، تاريخ، ص ص352-356.

[6]) المستجاد، ص74. ورد الخبر عند المسعودي، مروج، ج4، ص34.

[7]) النشوار، ج2، ص145.

[8]) الفرج، ج3، ص369؛ المستجاد، ص154.

[9]) الفرج، ج2، ص309.

[10]) النشوار، ج1، ص323.

[11]) الفرج، ج2، ص334.

[12]) النشوار، ج2، ص327.

للقرامطة[1]، وثورة بابك الخرمي[2] وغيرها. وأظهر دور الجيش في الأحداث السياسية الداخلية، فبعد القبض على الأمين من قبل علي بن عيسى بن ماهان، قام الجيش برده إلى عرشه، بعد أن شغبوا وطلبوا أرزاقهم[3]، والذي خلع المقتدر بالمرة الأولى هم قادة الجيش، حيث اجتمعوا وقرروا خلعه[4].

وأشار إلى حروب الدولة الإسلامية مع البيزنطيين، كغزوات مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم[5]، وفتح عمورية من قبل المعتصم[6]، إضافة إلى حروب الخلافة ضد الخارجين الخارجين على الدولة، أمثال بابك الخرمي[7]، والقرامطة[8].

ب- الحالة الاجتماعية

ركزت كتب التنوخي على وصف الحالة الاجتماعية في البلاد الإسلامية، وبهذا يعتبر التنوخي من المؤرخين القلائل - إذا جاز التعبير- الذين أولوا الحياة الاجتماعية أهمية في كتبهم. وكان من الطبيعي أن يهتم بالأحوال الاجتماعية في بغداد والمناطق التي عمل بها خاصة، وفي العراق عامة لعيشة به، واطلاعه على أحواله.

ومن خلال تتبع ما أورده التنوخي عن أحوال المجتمع نلمح طبقتان لهذا المجتمع وهما:

1- طبقة الخاصة

وتشمل الخلفاء والأمراء والوزراء والقادة، وقد أبرز التنوخي ثراء هذه الفئة وبذخها في مختلف مناحي الحياة مثل بناء القصور والعمران، فمعزّ الدولة أنفق على بستان بداره

---

1) الفرج، ج2، ص304.

2) النشوار، ج1، ص147.

3) الفرج، ج3، ص198.

4) المصدر نفسه، ج3، ص199.

5) النشوار، ج2، ص29.

6) الفرج، ج2، ص28.

7) النشوار، ج1، ص147.

8) المصدر نفسه، ج1، ص99.

في المخرم خمسة آلاف ألف درهم[1]. والوزير أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، كان له دار لها أربعة عشر باباً، إلى أربع عشرة سكة، وفيها عدة أبواب، لا يعرف جيرانها، أنها تفضي إلى داره[2]، ومن قبلهم، لما بنى معزّ الدولة بن بويه، قصره بباب الشماسية، أنفق عليه ألوف الألوف[3].

أما مجالسهم فكانت مثالاً واضحاً للبذخ، فالمتوكل اشتهى أن يجعل كل ما تقع عليه عينيه في يوم من أيام شرابه أصفر، حتى الماء الجاري في البستان فأضيف إليه الزعفران، ولما نفذ الزعفران، وخوفاً من غضب الخليفة، نقعت ثياب معصفرة، فبلغ ما أتلف من الثياب ما قيمته خمسون ألف دينار[4]. كذلك المقتدر، فقد أراد أن يشرب ببستان، فسُمد فسُمد البستان بالمسّك بدل الزبل[5]، وعملت له قرية من الفضة، بلغت تكاليفها مائتي ألف درهم[6].

ويلحق بهذه الطبقة فئة الجواري، فقد ذكر التنوخي أخبارهن وكثرتهن في قصور الخلفاء والأمراء، وتمتع بعضهن برعاية الخلفاء، فدنانير جارية الرشيد، أهداها عقد بلغ سعره مائة وعشرون ألف دينار[7]. ودخلت الجواري بيوت الناس لتؤدي فيها خدمات عدة، فأقبل الميسورون على التسرّي بهن[8]، وانتشرت هذه العادة في جميع الطبقات الاجتماعية، فكان بعض الفقراء يعمل حتى تكون له جارية أو غلام[9].

---

1) النشوار، ج4، ص259.
2) الفرج، ج4، ص31.
3) النشوار، ج1، ص138.
4) المصدر نفسه، ج1، ص301.
5) المصدر نفسه، ج1، ص295.
6) المصدر نفسه، ج4، ص149 حول بذخ طبقة الخاصة، أنظر: النشوار، ح1، ص292، ص293، ص296، ص298، ص303، ص304، ص311.
7) المستجاد، ص139.
8) الفرج، ج2، ص150.
9) المصدر نفسه، ج4، ص386.

وأشار التنوخي إلى أعمال الجواري الأخرى غير الخدمة، فمنهن: العوادة والطنبورية[1] والكراعة[2] والربابية والصناجية[3] والرقّاصة والزفانه[4].

أما أسعارهن، فكانت تختلف حسب جنسهن، ولونهن، ومهنتهن، فجارية عارفة بأصول الغناء، اشتريت بألف وخمسمائة دينار[5]، وأخرى لجمالها بيعت بثلاثين ألف دينار[6]، واشترى المعتمد جاريته نبت بثلاثين ألف درهم[7].

وترك لنا التنوخي أشبه ما تكون بالوضع القانوني بالرقيق فقد نقل عن قاضٍ أنه نظر في دعوى رجلٌ تاجر ضد عبدٍ له مأذون له بالتصرف يطالبه بدين قيمته عشرين ديناراً، ونخلص من تلك الواقعة إلى ما يلي:

يحق للعبد أن يكاتب سيده، بأن يدفع لسيده ثمنه أقساطاً ليصبح بعدها حرًّا.

لا يحق للعبد أن يرث أخاه العبد.

يرث السيد ما خلّفه عبده إن لم يكن له وارث حرّ. [8]

2- طبقة العامة

وتتألف من العلماء[9]، والمحدّثين[10] والفقهاء[11] والقضاة[12] والأطباء[13]، ورعاية الخلفاء الخلفاء لهم، فالخليفة الرشيد وهب إقطاعاً قيمته ألف ألف درهم للطبيب ابن ختيشوع

---

[1]) الطنبور: آلة من الآت الطرب، وهي آلة ذات عنق طويل وستة أوتار، ويقال التي تعزف عليها طنبورية. الجواليقي، المعرب، ص112.

[2]) الكراعة: المغنية على طبل صغير. تيمور، تفسير الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج3، ج7، دمشق، 1923، ص205.

[3]) الصناجية: الضاربة بالصنج، وهو شيء من الصُفر، يضرب أحدهما على الأخر. الجواليقي المعرب، ص106؛ تيمور، تفسير الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج3، ج7، ص206.

[4]) المشوار، ج2، ص174. والزفانه: هي التي ترقص فتضرب الأرض برجلها، ويرافقها الغناء المضحك. تيمور، تفسير الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج3، ج7، ص206.

[5]) النشوار،ج5، ص175.

[6]) الفرج، ج4، ص341.

[7]) النشوار، ج7، ص128.

[8]) الفرج، ج3، ص74-76.

[9]) المستجاد، ص209.

[10]) النشوار، ج5، ص228.

[11]) المصدر نفسه، ج7، ص36، ص37، ص42.

[12]) المصدر نفسه، ج7، ص76، ص191.

[13]) الفرج، ج4، ص208.

بعد أن بعد أن عالجه من مرضه[1]، والتجار[2]. ويضاف إليها أصحاب المهن، كالخياط[3]، كالخياط[3]، والحذاء[4] والثّلاج [5] إضافة إلى الزهاد[6] والصوفية[7] والعيارين[8]، واللصوص واللصوص وحيلهم[9]، والمشعوذين[10]، والمتخلفين[11].

وانتشرت في بغداد معتقدادت شعبية تعود إلى أسباب عدّة، وضع التنوخي كتابه " الفرج بعد الشدّة" - ويحوي أربعمائة واثنتين وتسعين قصة- تدور في جميعها حول أشخاص أحاطت بهم مخاطر اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، وانتهت بالفرج أعقبه تحسن في أوضاعهم. وإزاء هذا الواقع اتجه البغداديون إلى إنشاء عالم خاص بهم، توخوا منه أن يحل مشاكلهم فقامت في ضوء هذا الواقع جملة من المعتقدات الشعبية مثل: الأحجية بقصد التأثير واستجلاب الرضى، أو لتجنب السخط[12]، وتحصين الأطفال بوضع رغيف تحت وسادة الطفل، والتصدق به في صباح كل يوم[13]، وتعليق رقع فيها

---

[1]) المصدر نفسه، ج4، ص220.
[2]) النشوار، ج1، ص25، 37، 342.
[3]) الفرج، ج2، ص389.
[4]) النشوار، ج2، ص199.
[5]) المصدر نفسه، ج1، ص125.
[6]) المصدر نفسه، ج4، ص224.
[7]) المصدر نفسه، ج2، ص356؛ج3،ص76،ص117،ص119، ص122، ص123، ص128.
[8]) المصدر نفسه، ج7، ص85، ص92.
[9]) الفرج، ج4، ص248.
[10]) النشوار، ج1، ص126.
[11]) المصدر نفسه، ج1، ص178.
[12]) الفرج، ج1، ص224.
[13]) المصدر نفسه، ج2، ص292.

شكاوي ومظالم في محراب المسجد، أو في قبور أئمة أهل البيت[1]. والنـذور[2]، والرقـى[3]، والعلاج الشعبي[4]، والمنامات[5]. كما شاع الاعتقاد والتبرك بقبور بعض الرجـال الصـالحين، فاشتهر ببغداد مشهد النذور[6]. كما انتشرت بـين النـاس مـن الخاصـة والعامـة الاهـتمام بالمنجمين والزرّافين[7]. ولكن كان أكثر المتعاملين معهم من النساء[8].

وأشار التنوخي إلى حركة الشطّار والعيّارين ببغداد[9]، وبيّن بعض صفاتهم وأخلاقهـم، ففي حديثه عن ابن حمدي، قال:" كنت أسمع أن ابن حمـدي هـذا فيـه فتـوة، وظـرف، وأنه إذا قطع لم يعرض لأرباب البضائع اليسـيرة التـي تكـون دون الألـف درهـم، وأنـه لا يفتش امرأة ولا يسلبها[10]. وأظهر التنوخي مشاركته في الأحداث السياسية كـما حـدث في الصراع بين الأمين والمأمون[11].

وأمدتنا كتب التنوخي بأخبار اللصوصية، والتي تعكس في دلالتها الأوضاع الاجتماعية السائدة، فهو ينقل عن ابن حمدي أسباب لجوئـه للصوصـية:" الله بيننـا وبـين السـلطان الذي أحوجنا إلى هذا، فإنه قد أسقط أرزاقنا، وأحوجنا إلى هذا. ولسنا فيما نفعله نرتكـب أمراً أعظم مما يرتكب السلطان وأنت تعلم أن ابن شيرزاد يصادر الناس ويفقرهم وكذلك يفعل البريدي بواسط والبصرة، والديلم بالأهواز" [12].

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص239.

[2]) النشوار، ج5، ص36.

[3]) المصدر نفسه، ج2، ص90.

[4]) المصدر نفسه، ج2، ص94

[5]) الفرج، ج2، ص291.

[6]) المصدر نفسه، ج1، ص242.

[7]) النشوار، ج2، ص327.

[8]) الفرج، ج2، ص325.

[9]) النشوار، ج7، ص98.

[10]) الفرج، ج4، ص238.

[11]) المصدر نفسه، ج3، ص349.

[12]) المصدر نفسه، ج4، ص239.

أما الأعياد التي كان يحيها المسلمون فهي عيدي الفطر والأضحى، فكان إذا حل هذان العيدان، حضر الشعراء ليقدموا التهاني للخليفة أو السلطان ومدحه من أجل العطايا[1].

كما احتفل المسلمون بأعياد النيروز والمهرجان، فكان إذا حل المهرجان والنيروز، جلس الخليفة ليتقبل التهاني والهدايا[2]. ووصف التنوخي احتفال أم المقتدر بالنيروز؛ بأنها استخدمت أقمشة نفيسة وأشبعتها بدهن البلسان بدل النفط[3]. وكانت ترافق الاحتفال بالنيروز بمظاهر فرح عامّة، يستخدم فيها العامة ألعاباً تسمى الدوباركة، وهي على قدر الصبيان يجعلها البغداديون على سطوح منازلهم في ليالي النيروز[4].

إضافة إلى هذه الأعياد، شارك المسلمون في احتفالات وأعياد النصارى، حيث كان أهل الظرف واللعب حريصين على المشاركة بها، كيوم الشعانين، فيخرجوا بالنبيذ والطعام إلى الأُبلَّة[5]، فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون[6].

وصوَّرت كتب التنوخي مجالس الشرب والغناء التي كانت تعقد في قصور الخلفاء[7] والأمراء[8] و الوزراء[9]، فكان لتلك المجالس ملابس خاصة، " فكانوا إذا جلسوا إلى مجلس شراب، رموا ثياب العمل، ولبسوا ثياب المنادمة" [10]، كما تزين تلك المجالس

---

[1]) النشوار، ج5، ص267.

[2]) المصدر نفسه، ج8، ص246.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص293.

[4]) المصدر نفسه، ج2، ص232.

[5]) الأُبلَّة: مدينة نهر دجلة وعلى مقربة من البصرة. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص77.

[6]) المصدر نفسه، ج5، ص281.

[7]) الفرج، ج3، ص347.

[8]) النشوار، ج1، ص304.

[9]) المصدر نفسه، ج7، ص115.

[10]) المستجاد، ص153؛ الفرج، ج3، ص349.

بأحسن الأثاث والفرش[1]. ومن أشهر أنواع الخمرة التي كانت تقدم في المجالس القطربلي القطربلي المحفوظ بالعسل[2]، والنبيذ التمري[3].

أما مجالس الغناء، فقد حرص الخلفاء على حضورها، فالمأمون حضرها من وراء ستار[4]، والرشيد حضر مجالس غناء إبراهيم الموصلي[5]، والوزير المهلّبي داوم على حضور حضور تلك المجالس[6]. ولم يقتصر حضور تلك المجالس على فئة معينة، بل كانت تحضره مختلف فئات المجتمع، فقد كان المحدّث أبو القاسم ابن بنت منبع (ت 317هـ/929م) يحضر مجالس خاطف المغنية، ويتواجد وكان عمره يقارب المائة سنة[7]، وحضر صوفي مجلساً بالكرخ فيه جارية تقول القضيب، فتواجد حتى أغمي عليه فمات[8].

ومن أشهر المغنين في العصر العباسي إبراهيم بن المهدي[9]، وإبراهيم الموصلي[10]، واسحق الموصلي[11]، وأبو القاسم بن طرخان[12] وحكم الوادي[13]وبدعة الكبرى[14]، وعريب[15] ومواهب[16]، وخاطف[17].

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص362.

[2] النشوار، ج3، ص105.

[3] المصدر نفسه، ج3، ص141.

[4] الفرج، ج3، ص347.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص2-4.

[6] النشوار، ج7، ص115.

[7] النشوار، ج2، ص343.

[8] المصدر نفسه، ج2، ص356.

[9] المستجاد، ص59.

[10] النشوار، ج2، ص402.

[11] المصدر نفسه، ج7، ص135.

[12] المصدر نفسه، ج3، ص284.

[13] الفرج، ج3، ص9.

[14] النشوار، ج8، ص30.

[15] المصدر نفسه، ج1، ص270.

[16] المصدر نفسه، ج1، ص237.

[17] المصدر نفسه، ج2، ص343.

ومـن الملابـس التـي كانـت منتشرـة، الطيلسـان[1] والبركـان[2] والدراعـة[3] والمنـاطق[4]، والجباب[5] والسراويل[6].

أما أهل الذمة، فكانوا يتميزون بوضع الزنانير على خصورهم[7].

وأشار التنوخي إلى الأطعمة، فمنها: السكباج[8]، والطهبوج[9]. والادام[10]، والسميد[11]، والسـميد[11]، والفـالوذج[12]، والرطـب الازد[13]، والتمـر[14] والزيـت[15]، واللحـوم[16] والشيرج[17] والدهن[18] والقطائف[19].

ورغم ثقافته الدينية، وعمله كقاضٍ، إلا أنـه كـان جريئاً في تنـاول وطـرح كثير مـن الصـور الاجتماعيـة والأخلاقيـة الفاسـدة كحـب الغلـمان[20]، وانتشـار اللـواط[21]، والزنـا

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص26.

[2]) المصدر نفسه، ج7، ص94.

[3]) المصدر نفسه، ج4، ص167.

[4]) المصدر نفسه، ج3، ص3.

[5]) المصدر نفسه، ج2، ص167.

[6]) المصدر نفسه والصفحة.

[7]) المصدر نفسه، ج2، ص319.

[8]) النشوار، ج3، ص190. يعمل بتقطيع اللحم والقائه بالقدر، وتوضع عليه التوابل، وتحل بالدبس، ثم الزعفران، وتوضع بعد ذلك على النار حتى تنضج. البغدادي، الطبيخ، ص55.

[9]) النشوار،ج3،ص208.الطهبوج:طعام من بيض وبصل ولحم. ادشير،معجم الألفاظ الفارسية،ص111

[10]) النشوار، ج3، ص190.

[11]) النشوار، ج3، ص190.

[12]) المصدر نفسه، ج3، ص77. الفالوذج: تسلى اللحمة بالألية، ثم يضاف الملح والماء، وبعد ذلك يضاف السكر والعسل، ويطبخ حتى ينضج. البغدادي، الطبيخ، ص48.

[13]) المصدر نفسه، ج2، ص59.

[14]) المستجاد، ص209.

[15]) المصدر نفسه والصفحة.

[16]) النشوار، ج2، ص333.

[17]) النشوار،ج2،ص9. الشيرج نوع من الزيت،يستخرج من السمسم. البغدادي، الطبيخ، ص61

[18]) المصدر نفسه والصفحة.

[19]) النشوار، ج2، ص59. القطائف: عجين يحشى باللوز والسكر الناعم، يوضع عليها بعد رقها الفستق، ثم تقلى.البغدادي، الطبيخ، ص80.

[20]) الفرج، ج2، ص229؛ ج3، ص62.

[21]) النشوار، ج2، ص224، ص255، ص226، ص227، ص228، ص278؛ ج5، ص122، ص135.

والبغاء[1]، حتى أن شخصاً يدعى ابن الخراصة ضمن القمار والفجور ببغداد من قائد ديلمي يدعى أبو الحسن شيرمردي بن بلعباس بألفي درهم في الشهر [2].

ج- الحالة الثقافية

ويظهر هذا الجانب من خلال الحديث عن: العلماء[3]، والفقهاء[4]، والشعراء[5]، والكتاب[6]، والمدرسين[7]، والأطباء[8]، والنحاة[9]، والأدباء[10]، والمنجمين[11].

كما أشار إلى اهتمام الخلفاء بتعليم أبنائهم، واختيارهم لأشهر العلماء من أجل تلك المهمة. فالرشيد اختار الأصمعي لتعليم الأمين، وأوصاه بقوله:" اعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه، وثمرة فؤاده وهاأنذا اسلم إليك ابني محمد بأمانة الله، فلا تعلمه ما يفسد عليه دينه، فلعله يكون إماماً" [12]، وأجرى عليه عشرة آلاف درهم في الشهر[13].

أما العلوم التي كانت مثار اهتمامهم، فهي: القرآن، والفقه ورواية الشعر، وأيام الناس وأخبارهم[14].

أما المعتصم، فإنه لما شكى له المعلم، من أن الواثق لا يتعلم، أمره بضربه أربعة مقارع[15].

---

1) المصدر نفسه، ج3، ص102.
2) المصدر نفسه، ج1، ص349.
3) النشوار، ج4، ص284.
4) المصدر نفسه، ج2، ص343.
5) النشوار، ج2، ص303، ص307.
6) الفرج، ج3، ص117.
7) المصدر نفسه، ج3، ص163.
8) المصدر نفسه، ج3، ص98؛ ج4، ص208، ص219.
9) النشوار، ج1، ص274.
10) المصدر نفسه، ج4، ص47.
11) المصدر نفسه، ج8، ص57.
12) الفرج، ج3، ص163.
13) المصدر نفسه والصفحة.
14) المصدر نفسه والصفحة.

عكست بعض روايات التنوخي إقبال الناس على التعليم، لا سيما الأسر الفقيرة التي تاقت إلى احتلال مراكز اجتماعية مرموقة عن طريق العلم، فانتشرت حلقات التدريس، وغصّت المساجد بالمتعلمين، فقد كان أبو يوسف ينقطع بملازمة أبي حنيفة عن المعاش، ولاحظ أبو حنيفة فقر تلميذه، فقال له:" أطال الله عمرك، فتأكل بالفقه اللوزنج بالفستق المقشور" [1]. وكان الأصمعي مقبلاً على التعلم فسخر منه جاره النّعال، فنصحه بترك التعليم، ولكنّه صار من كبار الأثرياء بفضل علمه[2].

وأشار التنوخي إلى الرحلة في طلب العلم، فقد حرص طلاب العلم على السفر من بلد إلى آخر لأجل لقاء عالم أو فقيه أو أديب ليأخذ عنه أو يجيزه[3].

ويظهر أن مهنة التعليم لم تلق دائماً الاحترام، فقد أشار التنوخي إلى صورة مزرية من حياة بعض المعلمين، فكان بعضهم يدخلون في تشاتم مع الصبيان[4]، كما أن مهنة التعليم، لم تكن تدرّ على أصحابها المال الوفير، فكان معلمو الكتاب يعيش معظمهم على الكفاف، ويظهر فقرهم من ملابسهم[5].

وأظهر التنوخي المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها الأطباء عند الخلفاء، فقد دخل جبرائيل بن بختيشوع على المتوكل ليهنئه بالنيروز، فحين رآه المتوكل استدناه حتى صار معه على سريره[6].

وأورد في كتبه قصصاً لبعض المناظرات العلمية، كالمناظرة بين أبي الرياش أحمد بن هاشم القيسي وأبي أحمد المافروخي حول أشعار الجاهلية[7]. والمناظرة التي تمت بين الخليل بن أحمد الفراهيدي وأحد الرهبان حول بعض القضايا النحوية[8].

---

[15]) النشوار، ج8، ص17.

[1]) النشوار، ج1، ص251.

[2]) الفرج، ج3، ص161-162.

[3]) النشوار، ج8، ص202.

[4]) النشوار، ج3، ص148.

[5]) المصدر نفسه، ج3، ص147.

[6]) المصدر نفسه، ج8، ص246.

[7]) النشوار، ج4، ص22.

كما أبرز اهتمام الخلفاء والوزراء بمجالس العلم فالرشيد كان حريصاً على عقد مجالس الأدب بحضرته[1]، أما الوزير أبو محمد المهلّبي فقد كان يكثر الحديث على طعامه " ويكون أطيب الحديث وأكثره بالأدب وظروب الحديث على المائدة، لكثرة من يحضرها من العلماء والكتاب" [2].

وبين اهتمام العلماء بإنشاء المكتبات الخاصة، فمكتبة علي بن يحيى المنجم وصفها التنوخي بقوله:" وفي قصره خزانة كتب عظيمة، يسيمها خزانة الحكمة، يقصدها الناس من كل بلد، يقيمون فيها، ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبذولة في ذلك" [3].

د- الحالة الاقتصادية

عكست كتب التنوخي الحالة الاقتصادية في العراق من خلال حديثه في الأمور التالية:

أنواع الأرض[4]:

1. أرض الملك

وهي الأرض التي يملكها الأفراد، إما بالتوارث[5] أو بالشراء[6]، فمنها الضياع السلطانية التي تعود إلى الأمراء والسلاطين[7]، ويشرف عليها ديوان الضياع الخاصة[8].

---

[8] المصدر نفسه، ج8، ص149.

[1] الفرج، ج3، ص302.

[2] النشوار، ج3، ص208.

[3] المصدر نفسه، ج4، ص66.

[4] وقد قسّم الأستاذ الدوري الأرض في القرن الرابع الهجري إلى خمسة أنواع: 1- الضياع السلطانية، والتي تعود إلى الخليفة أو الأمير البويهي. 2- الإقطاعات. 3- أراضي الملك. 4- أراضي الوقف. 5- الأراضي المشاعة. الدوري تاريخ العراق الاقتصادي، ص 37.

[5] النشوار، ج5، ص78.

[6] المصدر نفسه، ج8، ص59.

[7] النشوار، ج8، ص54.

[8] المصدر نفسه والصفحة.

وكـان أصـحاب تلـك الضـياع يلجـأون إلى تعيـين الـوكلاء، ليقومـوا بـالإشراف عليهـا، وزراعتها، وجمع وارداتها[1]، خاصة تلك الضياع المنتشرة خارج المدن[2].

2. أرض الوقف

وهي الأرض التي يوقفها المسلمون لأغراض دينية، ويكون ريعها للمساجد والمـدارس والفقراء، أو للخدمات العامة. وكانت هذه الأرض لا تباع ولا تشترى، ولا يمكن إلغاؤها أو أبطالها. ذكر التنوخي " أن السيدة أم المقتدر طلبت من القاضي ابن البهلول كتاب وقـف لضيعة لتخرقة، وتعطل الوقف فلم يوافق القاضي عـلى ذلـك، فشـكته إلى المقتـدر، فقـال المقتدر للقاضي: مثلك يا أحمد قُلد القضاء، أقم ما أنت عليه" [3].

وكان لأوقاف كل مدينة، ديوان[4] يشرف عليها، وأشار التنوخي إلى أن ديـوان أوقـاف البصرة كان ببغداد، فإذا أراد أحد شيئاً، " خرجوا إلى بغداد، حتـى يـوردوا الأمـر فيـه مـن الحضرة، فلحق الناس مشقة، فنقل أبو أميه ديوانها إلى البصرة" [5].

3. أرض الأقطاع

وهي الأرض التي كان يقطعها الخلفاء والأمراء والوزراء للمقربين من الأعيان والقادة، فالوزير محمد بن العباس أقطع ضيعة القاضي التنوخي بعد أن صادرها منه، لأحد قادته[6].

وأشار إلى دور رجال الدولة في استصلاح الأرض، منها ما قام بـه الفضـل بـن مـروان، الذي كان يتولى للخليفة المأمون ديوان الضياع، فبعد اختلال إنتاج الأهواز، نتيجة لبثق

---

[1]) المصدر نفسه، ج3، ص9.

[2]) المصدر نفسه، ج8، ص54.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص242.

[4]) فقد كان الإشراف على الأوقاف نظرياً للقاضي، ولكنها كانت في الواقع تدار بواسطة ديوان خاص يدعى ديوان البر. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص50.

[5]) النشوار، ج1، ص235.

[6]) الفرج، ج1، ص239.

فيه، قام بإصلاحه، فتضاعف واردها من أربعة وعشرين ألف ألف درهم إلى ثمانية وأربعين ألف ألف درهم[(1)].

كما قام الموفق باستصلاح بعض الأراضي في الأهواز ليستعين بها في قتال صاحب الزنج، فأصلح القنوات، وأنفق ثلاثين ألف دينار على فلاحي تلك المناطق، واستطاع أن يحصل في موسم الحصاد من بيدر واحد على ستة وثلاثين ألف دينار[(2)].

وشاع الضمان للأرض في هذه الفترة، فيقوم أحد الأعيان أو المتنفذين بضمان أرض من الدولة مقابل مبلغ من المال[(3)]. فقد ضمن الفضل بن مروان صاحب ديوان الخراج للمأمون الأهواز بثمانية وأربعين ألف ألف درهم[(4)]، كما ضمن علي بن عيسى القمّي بلده بلده قم من المأمون[(5)]، وضمنت البصرة زمن علي بن بويه إلى ابن مكتوم الشيرازي وهو مدبرها حرباً وخراجاً (الإدارة والجباية)[(6)].

أما المحاصيل التي كانت تزرع: الحنطة[(7)]، والأرز[(8)] والبطيخ[(9)] والكمثرى[(10)]، والقثاء[(11)]، والنخيل[(12)]، والخوخ والتين[(13)]،والزيتون[(14)] والخسّ[(15)].

---

[1]) النشوار، ج8، ص50.

[2]) المصدر نفسه، ج8، ص154.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص211.

[4]) المصدر نفسه، ج8، ص50.

[5]) المستجاد، ص156.

[6]) النشوار، ج8، ص250.

[7]) النشوار، ج8، ص155.

[8]) المصدر نفسه، ج8، ص158.

[9]) المصدر نفسه، ج3، ص329.

[10]) المصدر نفسه، ج2، ص334.

[11]) المصدر نفسه، ج8، ص155.

[12]) المصدر نفسه، ج8، ص87.

[13]) المصدر نفسه، ج2، ص314.

[14]) المصدر نفسه، ج3، ص81.

الصناعـة والحرف

أورد التنوخي عدداً من الروايات تتعلق ببعض الحرف وأصحابها، كصناعة الأحذية[1]، والثلج[2]، والخياطة[3]، البز[4] والصياغة[5]، وصناعة الأدوات المنزلية[6].

وفي ثنايا رواياته نجد معلومات تتعلق ببعض الحرف البسيطة كالملاح[7]، وباعة الأطعمة والحلويات[8]، وباعة اللحوم[9] والشواؤون والرواسون (باعة الرؤوس)[10]، والتمّارون[11]، وباعة الخضار[12].

التجـــــارة

أبرز التنوخي أخبار التجارة والتجار في العراق، فلم يقتصر النشاط التجاري على العراق وحده، بل كانت هناك علاقات تجارية مع مصر[13] والشّام[14] والهند[15] وأواسط

---

15) المصدر نفسه، ج1، ص129.
1) الفرج، ج2، ص389.
2) النشوار، ج1، ص125.
3) المستجاد، ص55.
4) المصدر نفسه والصفحة.
5) النشوار، ج3، ص31.
6) المصدر نفسه، ج4، ص57.
7) المصدر نفسه، ج1، ص68.
8) المصدر نفسه، ج2، ص112.
9) الفرج، ج4، ص295.
10) النشوار، ج3، ص67.
11) المصدر نفسه، ج3، ص60.
12) المصدر نفسه، ج1، ص130.
13) الفرج، ج2، ص103.
14) النشوار، ج2، ص205.
15) المصدر نفسه، ج3، ص106.

آسيا[1]. أما أشهر المراكز التجارية في العراق إضافة إلى بغداد والبصرة[2]، فكانت مدينة الأُبلَّة[3].

أشار التنوخي إلى احتكار السلع من قبل بعض التجار، وإخفائهم لها من أجل رفع أسعارها، كقصة التاجر أبي عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن مرزوق الذي أوعز إلى وكلائه بشراء الزيت من الأسواق، فلما زاد الطلب عليه، باعه بالسعر الذي حدده[4]. كما أشار إلى عظم ثروة بعض التجار، فإن رجلاً من أولاد التجار مات أبوه فخلّف له خمسمائة ألف دينار، وكان يضاهي المقتدر (رغم إسرافه) وإذا بلغه أنه عمل شيئاً من ألوان اللذة والطيب عمل ما يقاربه من جنسه[5]، والتاجر ابن الجصّاص[6] بعد أن صودر بقي له مليون دينار[7].

ومن أوجه النشاط الاقتصادي استخدام السفاتج[8]، التي كثر استعمالها في الدولة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري، ذلك أنه لما نشطت التجارة وزادت المعاملات المالية، أصبح التعامل بالمبالغ الكبيرة يواجه بعض الأخطار، وخاصة من اللصوص وقطاع الطرق " وخرجت إلى بغداد، بعد أن أخذت بالمال سفاتج" [9]. وكانت تلك

---

[1]) الفرج، ج2، ص11.

[2]) المصدر نفسه، ج4، ص251.

[3]) النشوار، ج3، ص87.

[4]) المصدر نفسه، ج3، ص81-82.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص184.

[6]) هو أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري، صاحب الخليفة المعتضد بالله، وقد تولّى تجهيز السيدة قطر الندّى بنت خمارويه عند زفافها للخليفة المعتضد. وقد تعرض للنكبة المصادرة على يد الخليفة المقتدر سنة (302هـ/914م) وأخذ منه ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار، وأشار الكتبي إلى السبب في ذلك بأنه أخفى عبد الله بن المعتز بعد أن انحل أمر خلافته، وبلغ من قوته ونفوذه أن هدد الوزير أبا الحسن عليّ بن الفرات بقوله:" لأقصدن الخليفة ولأحولن إليه من خزائن ألفي ألف دينار عيناً وأقول له خذ هذا المال وسلّم ابن الفرات إلى فلان واستوزره" . عريب، صلة، ص32؛ النشوار، ج1، ص33؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص372.

[7]) النشوار، ج1، ص26-27.

[8]) السفاتج: جمع سفتجة، لفظ فارسي معرب، فسره الثعالبي بأنه كتاب يبعثه صاحب المال لوكيله، بأن يدفع مالاً قرضاً، يأمن به من خطر الطريق. الثعالبي، ثمار القلوب، ص545.

[9]) المصدر نفسه، ج4، ص84.

السفاتج يحدد موعد استحقاقها[1]، كما يستطيع صاحبها أن يسحب نقوده إذا حل استحقاقها دفعة واحدة أو متفرقة[2].

وكانت الصيرفة ، من وسائل تنشيط التجارة، حيث يقوم الصيارفة بتمويل التجار بالمال، مقابل الفائدة[3]، وتركز وجود الصيارفة ببغداد بدرب عون[4]، والأبلة[5] وسيراف[6]. وسيراف[6]. وكانت مهنة الصيرفة والجهبذة حكراً على اليهود[7]، ومن أشهر الجهابذة في القرن الرابع، اليهوديان: يوسف بن فنحاس، وهارون بن عمران، وبلغوا من الجاه والثروة أنهما كانا يقرضان الدولة[8].

ومن الأسواق المشهورة في العراق، سوق الثلاثاء[9]، وسوق الخرازين[10]، وسوق الكرخ[11]، وسوق الدواب[12]، إضافة إلى سوق المربد بالبصرة[13].

وكان الإشراف على تلك الأسواق من واجبات المحتسب، الذي عليه " ضبط العامة ومنع الغشوش" [14]، وإضافة إلى ذلك كان من واجباته مراقبة المتقاعسين من رجال الدولة كالقضاة[15]. يعاونه في أداء عمله عدد من الرجّالة[16].

---

1) النشوار، ج2، ص70.
2) الفرج، ج4، ص244.
3) النشوار، ج3، ص81؛ ج2، ص192؛ ج3، ص133.
4) المصدر نفسه، ج2، ص192.
5) الفرج، ج4، ص251.
6) المصدر نفسه والصفحة.
7) النشوار، ج8، ص38.
8) المصدر نفسه، ج8، ص38-42.
9) النشوار، ج2، ص390.
10) المصدر نفسه، ج2، ص38.
11) الفرج، ج2، ص368.
12) المصدر نفسه، ج2، ص140.
13) النشوار، ج7، ص116.
14) المصدر نفسه، ج2، ص108.
15) المصدر نفسه، ج2، ص110.
16) المصدر نفسه، ج2، ص172.

وأشار التنوخي إلى بعض معوقات النشاط الاقتصادي في العراق، كالفتن الداخلية، والخلافات السياسية والعسكرية على السلطة، كما كان للأعمال التخريبية التي أثارها الشطار والعيارون بين العامة أثارها السيئة على النشاط الاقتصادي[1]. فقد تواترت الكبسات الليلية داخل العاصمة من قبل اللصوص على الدورِ والمحلات، ينقبونها ويسطون على ما فيها، ففي سنة (309هـ/921م) هاجم اللصوص منزل أحد الصيارفة فأخذوا منه ثلاثة آلاف دينار[2].

إضافة إلى ذلك، فإن المصادرات أدت إلى عزوف كبار التجار عن ممارسة الأعمال التجارية، ودفن أموالهم تحت الأرض، كما فعل أكبر تاجر ببغداد ابن الجصاص[3].

لجأ الخلفاء العباسيين إلى المصادرات منذ بداية قيام دولتهم، إلا أن هذه الظاهرة بلغت أقصاها في عهد الخليفة المقتدر بالله، فقد بلغت قيمة المصادرات في عهده ثمانية وستين مليوناً وثمانمائة وثلاثون ألف دينار[4]. كما صودر الوزير علي بن الفرات على ألف ألف وستمائة ألف دينار[5]. ومرّت فترات كان التجار غير مطمئنين على أموالهم، وخاصة عندما تشتد شراهة المسئولين ونهمهم في الاستحواذ على أموال الناس، ففي سنة (314هـ/926م) اشتدت مطالبة الوزير أحمد الخصيبي لأموال الناس، وصار يختلق الحجج الواهية " ولم يدع عند أحدٍ مالاً أحسّ به إلا أخذه بأتعس ما يكون من الأخذ والشدّة" [6].

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت الحياة محفوفة بالمخاطر وأحجم كثير من أصحاب الثروات على استثمار ثرواتهم وصاروا يميلون إلى تحويلها إلى ذهبٍ وفضة ثم يكنزونها. وقد ترتب على هذا الاكتناز حبس رأس المال عن عمليات الإنتاج، ووقوف الثروات عن النمو. كما أدّت المصادرات إلى بروز ظاهرة جديدة حدّت من النشاط

[1]) الفرج، ج1، ص107، ص127.

[2]) النشوار، ج1، ص342.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص24.

[4]) انظر تفاصيلها: مسكويه، تجارب، ج1، ص240.

[5]) النشوار، ج2، ص32.

[6]) عريب، صلة، ص111.

التجاري في أسواق بغداد، إذ لجأ أصحاب الثروات إلى الحيلة ليخفوا ثرواتهم، عن عيون الطامعين، فقد اعترف الوزير حامد بن عباس أنّه دفن خمسمائة ألف دينار في بلاليع احتفرها بنفسه[1]. وكان المتمردون سنة (317هـ/929م) قد أخرجوا من تربة السيدة أم المقتدر بالله بالرصافة، ستمائة ألف دينار حيث كانت مخبئة هناك[2].

وكانت المصادرات لا تقتصر على التجار، بل شملت الوزراء[3] ورجال الدولة[4]، ولم ينج منها القضاة[5]. وكانوا يلجأون إلى شتى وسائل التعذيب حتى يقر بماله وتراوحت صور التعذيب بين نتف الشعر[6]، والتعليق بالأرجل[7]، والتقييد بالسلاسل[8] والضرب بالمقارع[9].

وأشار التنوخي إلى بعض الظروف غير الطبيعية التي أدت إلى ارتفاع أسعار السلع، كانحباس الأمطار[10]، والحرائق مثل حريق الكرخ سنة(343هـ/954م)[11]، وحريق سوق المربد بالبصرة[12]، وحريق الجمل الذي حل بسوق الخزازين سنة (221هـ/835م)[13]. إضافة إلى الأزمات السياسية، كما حدث في عام (334هـ/945م)،

---

1) مسكويه، تجارب، ج1، ص102.

2) المصدر نفسه، ج1، ص193. وللمزيد حول المصادرات، انظر: محمد شطناوي، المصادرات في العصر العباسي (132-334هـ) رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1994.

3) الفرج، ج1، ص127.

4) المصدر نفسه، ج3، ص228.

5) النشوار، ج1، ص25.

6) النشوار، ج8، ص93.

7) المصدر نفسه، ج2، ص86.

8) الفرج، ج2، ص46.

9) النشوار، ج2، ص86.

10) النشوار، ج2، ص87.

11) المصدر نفسه، ج2، ص104.

12) المصدر نفسه، ج7، ص116.

13) المصدر نفسه، ج2، ص101.

وقت دخول الديلم بغداد، حيث ارتفعت الأسعار، حتى أن معزّ الدولة بن بويه، اشترى كر من الحنطة بعشرين ألف درهم[1].

وورد في ثنايا رواياته معلومات عن واردات الدولة، كالخراج، فبلغ خراج الأهواز سنة (305هـ/917م) ستة عشر ألف ألف وثمانمائة ألف درهم[2]. كما أورد بعض صور من تجاوز العمال في الجباية، فقد أقدم عامل المكتفي بأرجان على إحراق باب شخصٍ لأجل دفع الخراج، فلما وصل الخبر إلى المكتفي أنفذ من قبض عليه وضربه ألف سوط[3]. وكان بعض عمال الخراج يقتطع لنفسه من غلاّت المقاسمة، ومنهم من ضيق على صغار الفلاحين، حتى أدى ذلك إلى ذهاب غلابتهم واضطروا لدفع الرشاوي للمستخرجين[4].

كما أشار إلى طرق الجباية، فكانت أن يجمع المحصول ويكال أو يعد، ويقدر خراجها حسب عددها[5]. وإلى أشكال الضرائب المفروضة على التجار، خاصة القادمة من خارج العراق[6]، وضريبة فرضت على أصحاب العقارات سميت بأجرة العرصة[7]، وضريبة المواريث، جعل لها ديوان خاص، عرف بديوان المواريث[8].

وكانت الضرائب تحدد على أساس تقارير المساحين، الذين كانوا برما زادوا في المساحة من واحد إلى اثنين بالعشرة، ثم تحضر لوائح المطالبين وتسلم إلى المستخرج الذي يبعث الرجالة والفرسان لأجل تحصيل الأموال[9].

كما أشار التنوخي إلى أنواع العملة، فمنها الدينار[10]، والدرهم[1]. وكانت طريق التعامل بها وزناً وليس عداً[2].

---

[1] المصدر نفسه، ج2، ص104.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص35.

[3] النشوار، ج2، ص24.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص24،30.

[5] المصدر نفسه، ج8، ص125.

[6] المصدر نفسه، ج3، ص187.

[7] المصدر نفسه، ج1، ص146.

[8] المصدر نفسه، ج1، ص39.

[9] المصدر نفسه، ج1، ص217.

وفي ثنايا رواياته أشار التنوخي لأسعار بعض السلع، فقد بلغ سعر كرّ الأرز أيام الموفق ثلاثين دينارًا[3]، وسعر كرّ الحنطة نيف وعشرين دينار[4] وسعر خمسين رطلاً من الخبز درهم[5].

أورد التنوخي رواتب بعض الموظفين، فراتب والي فارس بلغ ثلاثة آلاف دينار[6]، وراتب أحد الكتاب في ديوان الضياع بلغ عشرين دينار في الشهر[7]، أما راتب الجندي الراجل فبلغ دينارين[8]. وأجرة الطباخ تراوحت بين أربعة عشر درهماً وعشرون درهماً في الشهر[9]. كما كان راتب الكاتب المبتدئ عشرة دنانير في الشهر، والمتوسط الخبرة عشرين ديناراً، والكاتب الجيد أربعين ديناراً[10]. وهناك بعض الرواتب التي يجريها الخلفاء على بعض الأشخاص لخدمة قدموها له، كما فعل المعتز الذي جعل لأبي معشر المنجم مائة دينار في كل شهر، لأنه تنبأ له بالخلافة[11].

هـ. الحالة الإدارية

أشار التنوخي في مؤلفاته إلى بعض الجوانب الإدارية في الدولة العباسية، من خلال أخبار الخلفاء وعلاقتهم بالوزارة[12] والقضاة[13] والكتاب[14].

---

[10]) الفرج، ج4، ص125.
[1]) المصدر نفسه، ج4، ص251.
[2]) النشوار، ج2، ص194.
[3]) النشوار، ج8، ص158.
[4]) المصدر نفسه، ج8، ص155.
[5]) المصدر نفسه، ج2، ص10.
[6]) المصدر نفسه، ج8، ص104.
[7]) المصدر نفسه، ج8، ص55.
[8]) المصدر نفسه، ج2، ص284.
[9]) المصدر نفسه، ج8، ص45.
[10]) المصدر نفسه، ج8، ص54-55.
[11]) المصدر نفسه، ج4، ص57.
[12]) المصدر نفسه، ج5، ص115.
[13]) الفرج، ج4، ص43.

فالمتوكل أسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجرائي واقتصر على أصحاب الدواوين، وأمرهم بأن يعرضوا الأعمال بأنفسهم[1]. كما أوضح بعض الأمور المتعلقة بالولاة والأعمال التي كانوا يقومون بها في ولاياتهم، وعن ارتباطهم بالوزراء[2]، وأعمال صاحب الشرطة[3].

أما القضاة، فبحكم عمله كقاضٍ، وعلاقته الوثيقة بهم، فقد فصَّل التنوخي أخبارهم وطرق الحكم، ومجالس القضاء، وبعض صفاتهم وأخلاقهم[4].

وأورد أسماء عدد من الدواوين مثل: ديوان السواد[5]، ديوان المشرق[6]، ديوان المغرب[7]، ديوان الخراج[8]، ديوان الضياع[9]، ديوان بيت المال[10]، وديوان الرسائل[11]، وديوان الدار[12].

---

[14]) النشوار، ج1، ص198؛ الفرج، ج3، ص228.

[1]) النشوار، ج1، ص42.

[2]) الفرج، ج3، ص347.

[3]) النشوار، ج8، ص32.

[4]) المصدر نفسه، ج8، ص23.

[5]) المصدر نفسه، ج8، ص24.

[6]) المصدر نفسه، ج8، ص17.

[7]) النشوار، ج1، ص42.

[8]) الفرج، ج3، ص347.

[9]) النشوار، ج8، ص32.

[10]) المصدر نفسه، ج8، ص23.

[11]) الفرج، ج3، ص347.

[12]) النشوار، ج8، ص39.

الفصل الثاني

منهجيـة القاضي التنوخـــي

-طريقة ذكره لمصادره

-طرقه في النقل

-الدقة في النقل

-الاختصـار

-المقارنـة

-التنوخي ونظرته إلى الحكم

-موقفه من المذاهب والفرق وعقائدها

- أسلوبـه

- لغتـه

- النقد الأدبي في مؤلفات التنوخي

التنوخي وطريقة ذكره لمصادره

قام منهج القاضي التنوخي في مؤلفاته على استعمال الإسناد[1] والعناية به ما أمكنه ذلك، واستعمل في كثير منها صيغاً تدل على السماع والمشافهة والحضور والمشاهدة، من ذلك قوله:" حدثنا" [2]، " حدثني" [3]، " سمعت" [4]، " أخبرني" [5]، " أنشدني" [6]، " نبأنا" نبأنا" [7]، " أنبأنا" [8]، " أخبرنا" [9]، " بلغني" [10]، " حضرت" [11]، " اجتمعت" [12]، " سألت" [13]، " قال عضد الدولة وأنا حاضر" [14]، " قرئ على أبي بكر الصّولي وأنا أسمع" [15].

أفاد التنوخي من المصنّفات السابقة لعصره، والتي كان مصنّفوها من غير شيوخه، واستوعب الكثير منها، وكان يشير إلى تلك المؤلفات بصورة مختلفة، فأحياناً يذكر اسم المؤلف وكتابه كاملاً، كقوله:" ذكر أبو الحسن المدائني في كتاب الفرج بعد

---

[1] باستثناء كتاب " المستجاد من فعلات الأجواد" ، فإن الغالب على رواياته التحرر من الإسناد.

[2] النشوار، ج1، ص125؛ ج3، ص40، ص57، ص99، ص116؛ ج4، ص54، ج5، ص122؛ ج8، ص30، ص33، ص45؛ الفرج، ج1، ص109، ص110، ص111، ص133؛ ج2، ص7، ص20، ص180؛ ج3، ص386.

[3] يستخدمها بكثرة في مؤلفاته.

[4] النشوار، ج1، ص26، ص208؛ ج4، ص255؛ ج5، ص228؛ ج7، ص199؛ ج8، ص48.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص152، ص157؛ ج2، ص22، ص89؛ ج3، ص16، ص206؛ ج4، ص211؛ الفرج، ج1، ص156، ص194، ص270؛ ج2، ص233؛ ج3، ص135.

[6] النشوار، ج1، ص115، ص116؛ ج3، ص15، ص156، ص159، ج8، ص68.

[7] المصدر نفسه، ج5، ص180.

[8] المصدر نفسه، ج5، ص176.

[9] المصدر نفسه، ج1، ص309؛ الفرج، ج1، ص124، ص179؛ ج2، ص9.

[10] المصدر نفسه، ج3، ص56.

[11] المصدر نفسه، ج3، ص144.

[12] المصدر نفسه، ج4، ص247.

[13] الفرج، ج1، ص96.

[14] النشوار، ج5، ص246.

[15] الفرج، ج1، ص382، ص384، ص386؛ ج3، ص150؛ ج4، ص104.

الشدّة والضيقة" [1]، " قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء" [2]، " وجدت في كتاب كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصبهاني[3]" . وأحياناً أخرى يورد اسم المؤلف والكتاب مختصراً، خاصة بعد اعتماده عليه في مرة سابقة كقوله:" ذكر أبو الحسين في كتابه" [4] " روى المدائني في كتابه" [5]، " قُرئ على أبي بكر الصّولي في كتابه الوزراء" [6].

ونجده أحياناً، يذكر اسم المؤلف دون ذكر اسم كتابه كقوله:" وجدت بخط القاضي أبي جعفر أحمد بن البهلول الأنبا ري" [7]، " وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي" [8].

وبعد أن يورد اسم مصدره كاملاً لأول مرة يروى عنه، يختصره بعد ذلك بذكر كنيته أو لقبه، كقوله:" حدثني أبو الحسين" [9]، " حدثني أبي" [10]، " حدثني أبو حامد القاضي" القاضي" [11]، " أخبرني أيضاً رحمه الله" [12]، " حدثني أبو محمد" [13]، " قال لي القاضي" [14]، " أنشدني الوحيد لنفسه" [15]، " أنشدني سيدوك الشاعر" [16]، وأحياناً اكتفى بقوله:" حدثني" وقال" إذا كان نقل عنه روايات متوالية.

---

1) المصدر نفسه، ج3، ص206.

2) الفرج، ج2، ص259، ص294.

3) المصدر نفسه، ج4، ص383.

4) المصدر نفسه، ج3، ص124، ص127.

5) المصدر نفسه، ج2، ص330.

6) المصدر نفسه، ج1، ص168.

7) المصدر نفسه، ج1، ص133، ج4، ص82.

8) المصدر نفسه، ج2، ص26، ص34؛ المستجاد، ص93.

9) النشوار، ج1، ص64؛ ج2، ص324.

10) المصدر نفسه، ج1، ص66، ص319، ص334؛ ج2، ص5، ص14، ص27.

11) المصدر نفسه، ج1، ص98.

12) المصدر نفسه، ج1، ص152، ص157.

13) المصدر نفسه، ج1، ص268، ص270.

14) المصدر نفسه، ج7، ص165.

15) الفرج، ج5، ص52.

16) المصدر نفسه، ج5، ص55.

كما نقل من بعض الكتب دون الإشارة إلى أسمائها أو أسماء مؤلفيها بقوله:" وجدت في بعض الكتب" [1].

ولكي يعالج التنوخي مسألة الفارق الزمني بينه وبين أحداث التاريخ الجاهلي أو الأموي، أو عن بعض الحضارات الأخرى، نجده عُني عناية فائقة في تبيان الطرق التي وصلت فيها تلك المعلومات إليه ما أمكنه ذلك، أو نص على النقل من مصدر مباشرة ليضفي صفة التوثيق ويقدم مصدر الخبر ما وسعه ذلك، وإذا لم يتمكن لجأ إلى صيغ المبني للمجهول عند الإشارة لمصادر نقله، فمن ذلك قوله، " يروى" [2]، " بلغني" [3]، " روي عن وهب بن منبه" [4]، " حكي" [5]، " قيل" [6]، " حكى الأصمعي" [7]، " ذُكر عن رجل" [8].

كان القاضي التنوخي في بعض الأحيان يعتمد عدة مصادر للحدث التاريخي وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت لدية موارد تأتلف معلوماتها وأخرى تختلف، فاتّبع أسلوب الرواية من أكثر من راوٍ للخبر الواحد متأثراً بأسلوب المحدّثين نحو قوله:" حدثني أبو محمد بن يحيى وأبو الفرج الببغاء" [9]، " حدثني القاضي أبو الحسين عبد الله بن أحمد الحارث وأبو الحسن ابن المأمون الهاشمي" [10]، " أخبرني أبي -رحمه الله- وأبو الحسين ابن عياش" [11]، " حدثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد وأبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش الطائي الجوهري البغدادي، وجمعت خبريهما[12]، " حدثني محمد بن

---

1) الفرج، ج1، ص94؛ ج2، ص101، ص144، ص396.
2) المصدر نفسه، ج1، ص374.
3) النشوار، ج1، ص178.
4) المصدر نفسه، ج1، ص201.
5) المصدر نفسه، ج2، ص40، ص75.
6) المصدر نفسه، ج7، ص246
7) الفرج، ج1، ص375.
8) المصدر نفسه، ج3، ص124.
9) النشوار، ج1، ص276.
10) المصدر نفسه، ج1، ص24.
11) المصدر نفسه، ج1، ص46.
12) النشوار، ج2، ص55.

عدي بن زحر وجماعة من البصريين، قالوا" :[1]، " حدثني جماعة منهم رجل يعرف بابن السراج وغيره ومنهم محمد بن عبد الله بن محمد بن سهل الواسطي[2]، و" أنشدني أبو إسحاق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام الكاتب وأبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى المنجم" [3].

وتجدر الإشارة إلى أن القاضي التنوخي قد ذكر معلومات مهمة عن الرواة في صدر رواياته، ومن تلك المعلومات:

1) ذكر التنوخي في الأغلب بعد اسم الراوي اسم الشهرة، إذا كان له اسم شهرة اشتهر به بين الناس، ويوضح أحياناً سبب شهرته بهذا الاسم، كقوله:" حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن ابن رجاء بن أبي الضحاك، وكان يعرف بالديناري، لما بين أبيه الحسن بن رجاء وبين دينار بن عبد الله من القرابة، فانهما كانا ابني خاله على ما أخبرني" [4]، " حدثني أبو الحسن علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف أبوه بأبي قيراط" [5] و" أنشدني محمد بن عبد الله ابن سكرة الهاشمي، وهو من أولاد عبد الله بن علي بن المهدي المعروف بابن ريطة غلب عليه اسم أمه، كما غلب على إبراهيم بن المهدي اسم أمه شكلة" [6]، و" حدثنا إبراهيم بن محمد الأنصاري المعروف بالثمدي" [7] وأخبرني محمد بن الحسن المظفر الكاتب اللغوي المعروف بالحاتمي" [8] و" حكى سعد بن محمد بن علي الأزدي المعروف بالوحيد" [9] و" أنشدني أبو علي أحمد بن المدائني المعروف بالهائم الراوية" [10].

---

[1]) المصدر نفسه، ج3، ص73.

[2]) المصدر نفسه، ج8، ص170.

[3]) الفرج، ج5، ص18.

[4]) المصدر نفسه، ج3، ص151.

[5]) النشوار، ج8، ص9.

[6]) المصدر نفسه، ج3، ص156.

[7]) الفرج، ج1، ص134.

[8]) الفرج، ج3، ص93، ص94؛ ج5، ص77.

[9]) المصدر نفسه، ج4، ص177، ص264.

[10]) المصدر نفسه، ج5، ص86.

2) اهتم التنوخي بذكر بلد الراوي أحياناً، وذلك بنسبته إلى بلده عند ذكر اسمه كقوله:" حدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن داسة البصري" [1] و" حدثني أبو محمد يحيى بن فهد الأزدي الموصلي" [2] و" أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي النصيبي" [3]، و" سمعت أبا علي أحمد بن موسى حمولي القمي" [4] و" حدثني أبو عبد الله بن هارون التستري" [5] " وسمعت أبا يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الرامهرمزي" [6] [6] و" حدثتني علم قهرمانة المتسكفي الشيرزاية[7] و" حدثني علي بن نظيف البغدادي" [8] و" حدثني أبو القاسم علي بن شهران المتكلم من أهالي عسكر مكرم" [9] " أنشدني بعض شعراء قريش وهو أبو الحسن علي بن الحسن الجمحي من أهل الباين، بلد قريب من سيراف" [10].

3) كان التنوخي في بعض الحالات يأتي بأسماء الرواة مختصرة، أو يشير إليهم بألقابهم وكناهم، مما يصعب على الباحث التعرف عليهم والترجمة لهم من كتب التراجم والتاريخ، كقوله:" حدثني أبو بكر الثقفي" [11]، و" حدثني درة الرقاص" [12]،

---

[1]) النشوار، ج1، ص56؛ الفرج، ج5، ص39.
[2]) النشوار، ج1، ص72؛ الفرج، ج2، ص108.
[3]) النشوار، ج1، ص103.
[4]) المصدر نفسه، ج2، ص99.
[5]) المصدر نفسه، ج2، ص143.
[6]) المصدر نفسه، ج2، ص159.
[7]) المصدر نفسه، ج7، ص167.
[8]) المصدر نفسه، ج8، ص70.
[9]) الفرج، ج2، ص92.
[10]) المصدر نفسه، ج5، ص72.
[11]) الفرج، ج1، ص276.
[12]) النشوار، ج1، ص191.

" حدثني أبو العلاء الدلال" [1]، حدثني ذو النون البصري[2]" ، " حدثني أبو عبد الله العسكري" [3]، وغيرهم.

وكان التنوخي في بعض الحالات يلجأ إلى إخفاء اسم الراوي بناءً على طلب الراوي نفسه، كما في قصة خلع الخليفة المطيع لله، فهو يقول:" واخبرني شاهد من الشهود المقبولين ببغداد، وسألني أن لا أذكر اسمه وهو حي، فلذلك لم أسمه" [4]، ولعل السبب في ذلك هو خوف الراوي من الملاحقة والمحاسبة من قبل ولاة الأمر.

لما كان الموظفون هم من أكثر الناس إطلاعاً على شؤون الدولة، لذا فإن التنوخي استعان بهم للحصول على معلوماته عن طريقهم. كان التنوخي حريصا على الإشارة في صدر رواياته إلى عمل الراوي الذي نقل عنه، كقوله:" حدثني الحسن بن علي زيد المنجم، وهو إذ ذاك عامل معزّ الدولة على الأهواز وكورها" [5]، " سمعت قاضي القضاة أبا السائب يحكي" [6]، و" حدثني أبو عمر عبيد الله بن الحسين بن أحمد السمسار البغدادي الشاهد، وكان يخلف القضاة على بعض الأعمال" [7]، و" حدثني أبو جعفر أصبع بن أحمد الكاتب شيخ خدم الصيمري وحجب أبا محمد المهلّبي" [8]، و" أخبرني أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي خليفة أبي علي القضاء بها" [9]، و" حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن علي الكاتب الذي كان زوج ابنة الوزير أبي محمد المهلّبي

---

[1]) الفرج، ج3، ص333.

[2]) النشوار، ج1، ص329.

[3]) المصدر نفسه، ج2، ص143.

[4]) المصدر نفسه، ج3، ص206.

[5]) النشوار، ج1، ص20

[6]) المصدر نفسه، ج1، ص60.

[7]) المصدر نفسه، ج1، ص208.

[8]) المصدر نفسه، ج2، ص81.

[9]) الفرج، ج1، ص180.

وخليفته على الوزارة" [1]، و" حدَّث عبد الرحمن بن جعفر الوكيل على أبواب القضاة" [2].

1) وثَّق التنوخي في حالات كثيرة مصادره الشفوية، بالإشارة إلى علمهم وفضلهم كقوله، " ومحل أبي العباس بن المنجم في نفسه أشهر من أن يجهل في العلم والأدب، قول الشعر، والمعرفة بالجدل والفقه" [3]، و" حدثني أبو محمد الحسن بن البومني البصري، وكان علامة، فهم حسن النشوار، وراوية للأخبار، ثقة" [4] ، " وجرى بيني وبين أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب الأهوازي، وهذا الرجل من معقلي الناس وفضلائهم عقلاً ونبلاً وبراعة في صناعته وتقدماً" [5]، و" أنشدني أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي، ومحله من علم اللغة والشعر المحل المعروف[6]" ، " حدثنا أبو علي محمد بن الحسن بن جمهور العمي الكاتب، صاحب الستارة المشهورة بالأدب والشعر وتصنيف الكتب" [7]، و" حدثني أبو العباس أحمد بن عبد الله بن البختري وهو شيخ من خلفاء القضاة مشهور بمدينة السلام بالعلم والتصرف بالحكم" [8]. وفي المقابل وجه النقد لبعض مصادره، كقوله[9]:" حضرت أبا عبد الله بن الحجاج الكاتب البغدادي، صاحب السفه في شعره" و " أبو المغيرة -يقصد محمد بن يعقوب الشاعر- راوي هذا الخبر، شاعر طويل اللسان، مطبوع، هجّاء وله مدائح كثيرة" [10].

---

1) الفرج، ج2، ص185.

2) المصدر نفسه، ج3، ص321.

3) النشوار، ج1، ص15.

4) المصدر نفسه، ج1، ص170.

5) المصدر نفسه، ج2، ص252. قال مسكويه:" من معقلي الناس وفضلائهم، مع براعة في صناعة الكتابة" . تجارب، ج2، ص325.

6) المصدر نفسه، ج2، ص158.

7) المصدر نفسه، ج3، ص258. وصفه الشابشتي بقوله:" كان مليح الشعر والكتابة" . الدّيارات، ص269.

8) المصدر نفسه، ج8، ص186.

9) المصدر نفسه، ج2، ص229.

10) المصدر نفسه، ج3، ص243.

2) أشار التنوخي أيضاً إلى مذهب الراوي ومعتقده، مثال ذلك " أخبرني أبو القاسم حسين بن محمد بن نبيل كهل من أولاد الجند وكان أمامي المذهب[1] و" حدثني أبو الحسين علي بن نظيف المتكلم على مذهب أبي هاشم" [2] و" حدثني أبو القاسم عبد الرحمن بن جعفر السيرافي الفقيه المتكلم" [3] و" سمعت أبا أحمد بن مسلمه الشاهد العسكري المعتزلي الحنفي" [4] و" حدثني سعيد بن يوسف السمرقندي الحنفي" [5].

3) حرص التنوخي على الإشارة إلى المكانة الاجتماعية للراوي كقوله:" حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن المنجم النديم، وهو أحد بني يحيى بن أبي منصور المنجم، صاحب المأمون، ومحل أهله وسلفه وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والأمراء مشهور" [6] و" جرى بيني وبين أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب، وهذا الرجل من معقلي الناس وفضلائهم" [7] و" سمعت أبا علي أحمد بن موسى حمولي القمي، يحدَّث في حديث طويل، وهو إذ ذاك في السماء رفعة وجلالاً، ويساراً، وإلية طراز الحرم الديباج، وابتياع الثياب، ومرتبته عند معزّ الدولة أجل مرتبة"[8] و" حدثني أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني، كاتب الأمير أبي حرب سند الحبشي ابن معزّ الدولة، ومحله من النبل والجلالة والثقة والأدب مشهور" [9].

4) كان التنوخي إذا توفرت لديه معلومات حول تاريخ ولادة الراوي، أو عمره، لا يتوانى عن ذكره، وجاء ذلك في بضع روايات منها:" ذكر لنا صدقة بن علي الموصلي

---

[1]) النشوار، ج3، ص16.
[2]) المصدر نفسه، ج3، ص88؛ ج8، ص70.
[3]) المصدر نفسه، ج3، ص127.
[4]) المصدر نفسه، ج7، ص199.
[5]) الفرج، ج4، ص146، ص152.
[6]) النشوار، ج1، ص15.
[7]) المصدر نفسه، ج2، ص252.
[8]) المصدر نفسه، ج2، ص99.
[9]) المصدر نفسه، ج2، ص152.

أنه ولد في سنة سبع وثلاثمائة" [1]، و" كان له يوم حدثني بهذا الحديث -يقصد أبا عبد الله الحسين بن محمد الرقاق- أربعاً وثمانين سنة وشهور" [2]، و" حدثنا إبراهيم بن محمد الأنصاري المعروف بالثمدي وسنّه أكثر من تسعين سنة" [3].

5) حرص التنوخي على الإشارة إلى العلاقة التي تربطه ببعض الرواة في صدر بعض رواياته، كقوله:" حدثني أبو القاسم عبد الله بن أبي علان الأهوازي، خال والدي" [4] " وكنت إذا جئته -يقصد الحسن بن علي المنجم- وهو إذ ذاك على غاية الجلالة، وأنا حدث، اختصني" [5] و" حدثني الحسين بن الحسن بن أحمد الواثقي قرابة أبي" [6] و" حدثني خالي" [7] و" حدثني محمد بن عدي بن زحر البصري، جارنا بها" [8] و" حدثني أبو أبو بكر محمد بن بكر البسطامي... وكان ملازماً لأبي -رحمه الله- يتفقده، ويبره"[9]، و" يحيى بن خالد هذا -يقصد يحيى بن خالد الأزرق- هو جد عبد الله بن حمد الأهوازي، وعبد الله هذا جدي لأمي" [10].

5) ونتيجة للعلاقة الخاصة والمميزة بينه وبين بعض مصادره نجده يترحم على من توفي منهم، وأمثلة ذلك:" أخبرني القاضي أبو القاسم علي التنوخي أبي رحمه الله" [11]، وإذا ذكر عضد الدولة[12] أو الوزير أبي محمد المهلّبي[13] قال: رحمه الله، و " من أحاديث

---

1) النشوار، ج6، ص118.

2) الفرج، ج4، ص207.

3) المصدر نفسه، ج1، ص134.

4) النشوار، ج1، ص211.

5) المصدر نفسه، ج1، ص21.

6) المصدر نفسه، ج2، ص73.

7) المصدر نفسه، ج2، 59.

8) المصدر نفسه، ج3، ص135.

9) الفرج، ج4، ص133.

10) المصدر نفسه، ج1، ص222.

11) النشوار، ج2، ص27، ص135، ص137؛ الفرج، ج1، ص109؛ ج5، ص21.

12) النشوار، ج1، ص20؛ الفرج، ج3، ص403.

13) النشوار، ج1، ص68، ص69، ص70؛ الفرج، ج4، ص139.

أبي الحسن محمد بن علي بن الخلال البصري رحمه الله" [1] و" حدثني أبو عبد الله بن هارون التستري رحمه الله" [2].

6) ومن المعلومات التي قدمها التنوخي حول الروايات، الإشارة أحياناً إلى المكان الذي أخذ به الرواية وتاريخها، من ذلك:" سمعت الأمير أبا محمد جعفر بن ورقاء الشيباني يحدِّث في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة" [3]، و" كنت أنا قد اجتمعت ببغداد في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة مع أبي علي بن أبي عبد الله بن الجصاص" [4]، و" أنشدني أبو نصر بن هارون الكاتب النصراني في شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة" [5]، و " حدثني صدقة بن بن علي الموصلي في منزلنا ببغداد في ذي القعدة من سنة سبعين وثلاثمائة" [6]، و" قرئ على أبي بكر الصّولي وأنا حاضر أسمع بالبصرة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة في كتاب الوزراء" [7]، و" حدثني علي بن هشام بن أبي قيراط بواسط في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة من لفظه" [8].

7) وحرص عند نقله رواية من أصل الكتاب، إلى الإشارة إلى سلسلة الإسناد كما ورد في أصل الكتاب، كقوله:" وذكر أبو الحسن القاضي في كتابه فقال: حدثني بعض أصحابنا، قال: حدثني الحسن بن مكرم، قال: حدثني ابن عدي عن شعبه، عن قتادة... الخ" [9]. كما نبّه إلى إغفال ذكر الإسناد في بعض الكتب كقوله:" ذكر أبو الحسين القاضي في كتابة هذين البيتين بغير إسناد" [10].

---

[1]) النشوار، ج2، ص21.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص143.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص26.

[4]) المصدر نفسه، ج1، ص29.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص94.

[6]) الفرج، ج1، ص200.

[7]) المصدر نفسه، ج1، ص168؛ ج5، ص15.

[8]) المصدر نفسه، ج4، ص293.

[9]) الفرج، ج1، ص172. للمزيد من الاطلاع انظر: الفرج، ج1، ص237، ص249، ص307.

[10]) المصدر نفسه، ج1، ص294 وأنظر: ج1، ص296.

طرقه فـي النقل

لم يتبع القاضي التنوخي طريقة معينة في النقل دائماً، وإنما لجأ في معظم الأحيان عند أخذه عن مصادر مكتوبة بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب[1]، وأحياناً يذكر اسم صاحب الكتاب دون الإشارة إلى اسم الكتاب[2]، وفي مصادره الشفوية نجده يذكر اسم الراوي كاملاً أو يختصره باللقب أو الكنية[3]، خاصة إذا نقل عن أكثر من رواية.

كما أن التنوخي في مواقع عديدة، لا يذكر مصادره فيقول:" بلغني من أثق به" [4]، " " أخبرني جماعة من أهل العلم" [5]، " سمعت بعض الطياب" [6]، " أخبرني بعض شيوخ البصرة" [7].

تنوعت موارد التنوخي نتيجة لتنوع مادته، وحرصه على جمع أكبر عدد من الروايات، لذلك يمكن تقسيم موارده إلى:

1- السماع

هو أن يسمع التلميذ من لفظ الشيخ، وهو نوعان: إملاء وتحديث. وكل من هذين النوعين قد يكون من حفظ الشيخ أو من كتاب له[8]، والإملاء أعلى من التحديث، والسماع بنوعيه أعلى من أنواع التحمل عند الأكثرين، لأنه طريقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد كان يحدث صحابته وهم يسمعون[9].

---

[1] الفرج، ج2، ص124، ص127؛ ج3، ص206.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص33، ج4، ص84.
[3] ترد كثيراً في صدر رواياته.
[4] النشوار، ج3، ص192.
[5] المصدر نفسه، ج3، ص228.
[6] المصدر نفسه، ج1، ص185.
[7] المصدر نفسه، ج1، ص97.
[8] القاضي عياض، الإلماع، ص69.
[9] السيوطي، تدريب الراوي، ج2، ص8.

ونفى القاضي عياض الخلاف بين العلماء في جواز أن يقول السامع: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، وسمعت فلان يقول، وقال لنا، وذكر لنا فلان[1]. وعلل الخطيب ذلك بأن علماء اللغة والمحدّثين عللوا هذه الألفاظ بمعنى واحد، فقال الحميدي: كان عند ابن عُيينة: حدثنا، وأخبرنا، وأنبانا، وسمعت واحداً، وقال أبو الوليد الطيالسي: حدثنا وأخبرنا واحد، وقال إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا وحدثنا وأنبأنا كلها واحد" [2]. إلا أن المحدّثين فيما بعد فرقوا بين هذه الألفاظ وصار لكل لفظ منها مدلول خاص به، فالذي ينظر فيما كتبه الخطيب يجد أقوال العلماء في استعمال هذه الألفاظ[3].

لذلك أورد التنوخي عدداً كبيراً من رواياته عن طريق السماع مستخدماً ألفاظ التحمل[4]: سمعت، حدثني، حدثنا، أخبرني، وأخبرنا.

2 - القراءة

هي أن يقرأ التلميذ، والشيخ يسمع، سواء كان الشيخ يحفظ ما يُقرأ أو لا يحفظ، لكن يمسك أصله هو، أو ثقة غيره، وسواء كان التلميذ هو القارئ، أو غيره، وسواء قرأ من كتاب أو من حفظه[5]. وذهب أبو حنيفة إلى أن القراءة على العالم خير من قراءة العالم، وعلل ذلك بأن الشيخ لو أخطأ لم يتهيأ للطالب الرد عليه[6].

وقد أورد التنوخي عدداً كبيراً من الروايات بهذه الطريقة، كقوله[7]:" قرئ على أبي بكر الصّولي، وأنا أسمع" .

[1]) القاضي عياض، الإلماع، ص69.

[2]) الخطيب، الكفاية، ص424.

[3]) المصدر نفسه، ص412-414.

[4]) ترد كثير في صدر رواياته.

[5]) القاضي عياض، الإلماع، ص70؛ قحطان الدوري، أصول تلقي العلوم في المجتمع الإسلامي، مجلة تعليم الجماهير، ج4، السنّة السادسة، بغداد، 1979، ص16.

[6]) الخطيب، الكفاية، ص380.

[7]) الفرج، ج4، ص104.

3 - المناولـة

وهي أن يناول الشيخ كتاباً من سماعه، وذلك بأن يدفع أصل الكتاب، أو فرعاً مقـابلاً عليه، ويقول: هذا سماعي فاروه عني[1]. وقد نقل التنوخي مناولة مثل قوله[2]:" وأعطاني أبو الحسين أحمد بن يوسف الكتاب مناولة" ، وقوله[3]:" أخبرني أحمد بن يوسف مناولة" .

4 - المسألـة

وكان ذلك بسؤال أحدهم حول قضية أو حدث، كقوله[4]:" سألت القاضي أبا سعيد السيرافي -رحمه الله- عن الأخبار التي يرويها عن أبي بكر بن دريد" ، وقوله[5]:" سألت المتنبي عن نسبه، فما اعترف لي به" و" اجتمعت بالتاجر ابن الجصاص وسألته عما ينسب إلى والده" [6].

5 - المذاكرة

وذلك أنه سجل ما دار بينه وبين أصدقائه وندمائه من العلماء والقضاة والتجار، كقوله[7]:" تذاكرنا في مجلس ببغداد، و " فلما كان بعد سنين، جاءني علي بن إبراهيم وهو وهو معاملي في البز منذ سنين كثيرة، فذاكرته الحديث، فقال:" نعم" [8]، وقوله[9]:" وجرى بيني وبين القاضي أبي بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة فحدثني منام هذه العلوية" و" حدثني أبي في المذاكرة" [10].

---

[1]) الخطيب، الكفاية، ص377؛ الدوري، أصول تلقي العلوم، ص17.

[2]) الفرج، ج2، ص172.

[3]) النشوار، ج4، ص175.

[4]) المصدر نفسه، ج4، ص74.

[5]) المصدر نفسه، ج4، ص245.

[6]) النشوار، ج1، ص29.

[7]) المصدر نفسه، ج3، ص30.

[8]) الفرج، ج1، ص96.

[9]) المصدر نفسه، ج2، ص285.

[10]) المصدر نفسه، ج1، ص182؛ ج3، ص230.

6 - الإجــازة

الإجازة هي قول الشيخ لتلميـذه: أجـزت لـك أن تـروي عنـي هـذا الحـديث أو هـذا الكتاب، ووردت الإجازة عند التنوخي كثيراً، كقوله[1]:" أخبرني أبو طالب محمد بن أحمد أحمد بن إسماعيل بن البهلول فيما أجاز لي روايته عنه، بعدما سمعته مـن حـديث" ، و" أخبرني القاضي أبـو طالـب إجـازة" و" أخـبرني أبـو الفـرج الأصـبهاني إجـازة[2] وقولـه[3]:" أخبرني أبو بكر الصّولي إجازة، ونقلته من حفظه" .

7 - المشاهدة والمشاركة في الحدث

كثيراً ما كان يشير التنوخي إلى مشاركته في الأحداث ومشـاهدتها، نحـو قولـه عـن أبي غالب الآجري[4]: ولقد رأيت أنا أبا غالب الآجري هذا، وقد ورد البصرة في أيام أبي القاسـم البريدي" وقوله[5]:" تجارينا عند القاضي أبي الحسن صالح الهاشمي سنة ستين وثلاثمائـة" ، و" شاهدت أنا قريباً من هذا" [6]، و " كنت بحضرة الملـك عضـد الدولـة في عشـية مـن العشايا" [7]، و " رأيت بالبصرة فيلاً لطيفاً حمله صاحب عُمان إلى معزّ الدولة"[8].

حـ- النقل من وثائق وكتب

سيأتي بيان ذلك في الفصل الثالث عند الحديث عن مصادر التنوخي المكتوبة

الدقـة فـي النقـل. أما دقة الحوادث والروايات التـي رواهـا التنـوخي في كتبـه، فقـد يبدو مـن الصـعوبة أن تتـوفر في جميعهـا، ولعـل ذلـك عائـد إلى تنـوع رواياتـه، واتسـاع المجالات التي تناولتها، من جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها.

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص251.

[2]) المصدر نفسه، ج1، ص253.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص328، ص331.

[4]) النشوار، ج1، ص90.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص128.

[6]) المصدر نفسه، ج4، ص86.

[7]) المصدر نفسه، ج4، ص259.

[8]) المصدر نفسه، ج8، ص210.

لهذا ليس المقصود بدقة النقل هنا، نقل النصوص حرفياً، بل نقل المعلومات بصورة صحيحة، بحيث لا تجد اختلافاً في المادة التاريخية عند المقارنة مع مثيلاتها في المصادر الأخرى.

وقد استعمل التنوخي طريقة النقل تارة، وأغفلها تارة أخرى، وغالباً ما كان التنوخي يعنى بنقل النصوص بألفاظها في الحالات التي تستحق ذلك وتتطلبه، مثل: أقوال العلماء والقضاة، والقصائد الشعرية، فكان يؤكد ذلك بالألفاظ والعبارات الدالة عليها، نحو قوله: حدثنا صدقة ابن علي الموصلي، وكان خليفة أبي على قضاء نصيبين وأعمالها، قرأ علينا من لفظه" [1]، و" حدثني أبو الفرج الأصبهاني إملاءً من حفظة" [2] و" أخبرني الصّولي فيما أجاز لي روايته عنه بعدما سمعت حديثه منه" [3]، و" حدثني بهذا الخبر أبي علي مثل هذا هذا الإسناد، ولم أحفظه، لأني لم أكتبه عنه في الحال" [4].

ودقته في النقل لا تتوقف على إظهار الشك في الرواية، بل نجد شخصية التنوخي تظهر، من خلال تعليقاته على تلك الروايات وإبداء رأيه فيها. ففي تعليقه على تفسير قوله تعالى: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُون (147))[الصافات:143-147] ويقول:" أو هاهنا ظاهرها الشك، وقد ذهب إلى ذلك قوم، وهو خطأ، لأن الشك لا يجوز على الله تعالى، العالم لنفسه، العارف بكل شيء قبل كونه، وقد روى عن ابن عباس أنه قال: أو يزيدون، بل يزيدون، وقال كانت الزيادة ثلاثين ألفاً، وروي عن ابن جبير ونوف الشّامي، أنهما قالا: كانت الزيادة سبعين ألف، فقد ثبت أن " أو" هنا بمعنى بل" [5].

---

[1] النشوار، ج6، ص118.

[2] الفرج، ج2، ص340؛ ص231.

[3] المصدر نفسه، ج4، ص61.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص308.

[5] الفرج، ج1، ص73.

وقد ورد هذا التفسير عند ابن كثير، فقال: قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في رواية عنه، بل يزيدون، وكانوا مائة وثلاثين ألفاً، وأضاف ابن كثير أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- سئل عن قوله تعالى:(وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) [الصافات:147].

قال: يزيدون عشرين ألفاً. لهذا سلك ابن جرير في تفسيره لهذه الآية ما سلكه عند قوله تعالى:(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [البقرة:74]، فالمراد ليس انقص من ذلك، بل أزيد[1].

ويجد الباحث تعليقاته وآرائه النقدية تتكرر، ففي قصة سخط الواثق على وزيره سليمان بن وهب، وما قرره عليه من المصادرات، يقول التنوخي[2]: هذا الخبر عندي مضطرب، لأشياء كثيرة، ولكني كتبته كما وجدته، وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب خبر نكبة الواثق لسليمان بن وهب بما هو أدق من هذه الحكاية" . وقوله أيضاً:" وما أعجب هذا الخبر، فاني قد وجدته في عدة كتب، بأسانيد، وبغير أسانيد على اختلاف الألفاظ، وأنا أذكر أصحها عندي" [3].

ومن صور الأمانة العلمية والدقة في النقل، عدم تحرجه من الإشارة إلى النسيان، أو السند أو بعض أجزاء رواياته، كقوله:" فذكر أميراً جليلاً، قد نسيت اسمه على الحقيقة، وأظنه، قال: يأنس الموفقي" [4] و" حدثني أبو الحسين بن عياش، قال: حدثني شيخ من شيوخنا، ذكره هو وقد غاب عني اسمه" [5]، و" سمعت أبا بكر الصّولي، وأنا إذ ذاك في حد الصبيان، يحكي لأبي حكاية طويلة عن الراضي فيها شعر له، لم تعلق بذهني كلها في الحال، لصغري عن ذلك" [6]، و و" حدثني أبي -رضي الله عنه- في

---

[1]) ابن كثير، التفسير، ج4، ص23.

[2]) الفرج، ج3، ص130.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص97.

[4]) النشوار، ج1، ص39.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص78.

[6]) المصدر نفسه، ج1، ص189.

المذاكرة بإسناد لست أقوم عليه، لأني لم أكتبه في الحال" [1]. كذلك فهو يتوقف فيما يشتبه عليه، متجنباً المجازفة في العلم، وعندما يروي أخباراً عجيبة، فإنه يعبر بلفظ، " روي" [2] " ويروي" [3]، " وحكي" [4]، " وقيل" [5]، " وزعموا" [6].

كما أظهر شكه في بعض الروايات، عندما لا يمكنه القطع بصحتها أو زيفها، كقوله:" الشك مني" [7]، و" أنا الشاك" [8] و" أنا الشاك، لأني لم أكتبه" [9].

ولم تقتصر ملاحظات وانتقادات التنوخي لرواياته على مجرد إظهار الشك فيها، أو الإشارة إلى ورود الخبر بأكثر من طريقه، بل قام بالتحقق من صدق الرواية أو كذبها من خلال سؤال صاحب العلاقة بالرواية، كقوله[10]:" حدثني عبيد الله بن أحمد بن بكير، قال: حدثني أبو جعفر الضبي، الفقيه الحنفي، وقد شاهدته أنا، وكان من شيوخ التجار المستورين، فقيهاً، يحضر مجلس أبي للخلاف، ويناظر، ولم أسمع منه هذه الحكاية" ، وكذلك بعد أن أورد قصة المناظرة بين أبي زهير الجبائي وأبي الحسن الكرخي قال التنوخي[11]:" قال لي عبد الله بن محمد بن داسه: أن أبا زهير هذا هو أستاذ أبي محمد بن عبد الله الذي علّمه الفقه على مذاهب أصحابنا، وكان أبو محمد أستاذنا وما سمعت منه هذه الحكاية" . وعندما أورد بيتين نسبا إلى صاعد بن ثابت وهما:

---

[1]) الفرج، ج2، ص66؛ ج3، ص230.
[2]) الفرج، ج1، ص374.
[3]) المصدر نفسه، ج1، ص78.
[4]) النشوار، ج1، ص181؛ ج2، ص40، ص75؛ ج7، ص243؛ الفرج، ج4، ص22.
[5]) النشوار، ج7، ص246.
[6]) المصدر نفسه، ج1، ص225.
[7]) المصدر نفسه، ج2، ص137.
[8]) الفرج، ج1، ص107.
[9]) المصدر نفسه، ن ج2، ص210.
[10]) النشوار، ج3، ص87.
[11]) المصدر نفسه، ج3، ص53.

ثنتان من همتـي ما ينقضي- أسـفي عليهما أبـداً مـن خيفـة الفـوت

لم أحـبُ منتُجـع الـدنيا بجملتهـا ولا حميت الورى من صولة الموت

قال[1]:" فاجتمعت مع أبي العلاء صاعد، بعد ذلك، بواسط، في جمادى الأولى سنة خمس وستين وثلاثمائة، فسألته عن البيتين، فقال: غلط، وما أخبرته أنهما لي".

وأحياناً أخرى، حاول إثبات الرواية الشفوية التي أخذها عن شيوخه، بالرجوع إلى مصدر مكتوب، كقوله بعد أن أورد قصة القاضي أبو عبد الله بن أبي داوود، ومشورته للخليفة الواثق بإطلاق سراح الكتاب من السجون، وقد أكد التنوخي هذا الخبر بالرجوع إلى كتاب الوزراء للجهشياري بقوله:" قد ذكر محمد بن عبدوس هذا الخبر في كتاب الوزراء" [2]، وقصة تعذيب الحجاج بن يوسف الثقفي لآزادمر، فقال " وذكر المدائني في كتابة، وقد وجدته أنا في غير موضع عن المدائني" [3].

ولم يقتصر دوره فقط على تأكيد رواياته من أصل كتاب، بل أشار إلى طبيعة تلك الرواية هل كانت مطابقة لما في المصادر أم لا، كقوله:" وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء هذا الخبر بخلاف هذا" [4]، " وروي لي هذا الخبر على وجه أخر" [5].

إن نظرة التنوخي الناقدة، لم تقتصر أيضاً على الروايات الشفوية، بل امتدت لما في الكتب، محاولاً إثبات أو نفي ما جاءت به، كقوله:" ذكر المدائني في كتابه، قال أبو سعيد، وأنا أحسبه يعني الأصمعي" [6]، وقوله:" حدثنا بإسناد ذكره، لم أحفظه، ولا بلفظه، وبعد عن يدي إخراجه من الأصل، وقد تحريت مقاربة اللفظ بجهدي أو لعله يزيد أو ينقص" [7].

---

[1]) النشوار، ج3، ص15.

[2]) الفرج، ج2، ص63.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص398.

[4]) المصدر نفسه، ج3، ص243.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص288، ص316، ص318.

[6]) المصدر نفسه، ج1، ص286.

[7]) المصدر نفسه، ج1، ص127.

كما برز التنوخي عالماً بالحديث ورجاله، ففي قصة الرجال الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، قال[1]:" هذا الحديث مشهور، رواه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وغيرهم، وعند كل واحد منهم عدة طرق، وقد اختُلف في ألفاظه، والمعنى واحد، وليس غرضي هنا جمع طرقه وألفاظه، استقصي ما روي من ذلك، إلا أن في الرواية غلطاً، لابدَّ من بيانه، وهو أنه روى من غير طريق أبي أسامة عن عمر ابن حمزة العمري، عن سالم، عن ابن عمر، ليس فيه عبيد الله، والمشهور أنه عن عبيد الله بن نافع عن ابن عمر" ، ومثل ذلك أيضاً قوله[2]:" هذا حديث مشهور، جاء به أبو داوود في كتاب السنن، الذي حدثنا به عنه، محمد بن بكر بن داسة، باختلاف في اللفظ، وليس غرضي جمع طرقه وألفاظه، فآتي بها مستقصاة" .

أما بالنسبة إلى كتاب الفرج بعد الشدّة فقد كان شرطه في اختيار الحديث موافقته لموضوع الكتاب بغض النظر عن صحته أو ضعفه[3]. لذلك ورد في كتابه أحاديث صحيحة، صحيحة، أوردها أهل الحديث في صحاحهم، واحتجوا بها، وأخرى أحاديث ضعيفة، بعضها وصل إلى درجة الحديث الموضوع، ومن الأمثلة على الأحاديث الصحيحة:" من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة" [4]. هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحة[5]. ومن الأحاديث الضعيفة:" انتظار الفرج من الله تعالى عبادة" [6]. قال الذهبي[7]:" باطل، باطل، وقال ابن الجوزي[8]:" هذا حديث لا يثبت" . وقال الترمذي[9]:"

---

[1] الفرج، ج1، ص127.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص122.

[3] الفرج، ج2 ص109؛ ج2، ص97.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص121.

[5] البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص168.

[6] الفرج، ج1، ص110.

[7] الذهبي، ميزان، ج1، ص334.

[8] ابن الجوزي، العلل، ج1، ص864.

[9] العجلوني، كشف الخفاء، ج1، ص187.

رواه حماد بن رافد، وليس بالحافظ" " وحديث اشتدي أزمة تتفرجي" [1]. قال السخاوي[2]:" هذا حديث باطل" .

ولكن هذا لا يعني أن التنوخي انتقد سائر الروايات التي تظهر فيها المبالغة، بل روى بعضها، دون التعليق أو الإشارة إلى صور المبالغة فيها، كقصة الإمام علي بن أبي طالب، الذي باهى الله -سبحانه وتعالى- ملائكته، " أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين نبيي محمد، وقد نزل على فراشه، ونام ليفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه" [3]. وكذلك قصة الرجل الذي حبسه ناصر الدولة في القلعة، والذي احتال الهرب، فرمى بنفسه من القلعة، وكان بينه وبين الأرض أكثر من ثلاثة آلاف ذراع، فقام صحيحاً[4]، وقصة الرجل الذي القُي من علِ أولاً وثانياً فنجا وسِلم[5].

لكن كتب التنوخي لم تخلُ من بعض التطرف أحياناً، كالإسراف في المدح لبعض الأشخاص، نتيجة للعلاقة المميزة التي كانت تجمعه معهم، ففي حديثه عن آل حمدان بالشّام، يظهرهم بصورة مثالية، فهذا أبو فراس الحمداني يصفه بقوله[6]:" من مناجيب بني حمدان، بارع في كل فضل، حسُن باطن وظاهر، وفروسية تامة، وشجاعة كاملة، وكرم مستفيض، لأنه نشأ في تربية سيف الدولة -رضي الله عنه- وحجره، وأخذ أخلاقه، وتأدب بأدبه" .

أما الوزير أبو محمد المهلّبي، فإنه أينما ذكره في رواياته ترحم عليه، كما قدّمه بصورة المحسِن صاحب البر تجاه الضعفاء، كقصة إحسانه إلى كواز[7]، وتعزيته لأبناء أبي الحسين عبد العزيز بن إبراهيم، الذي كان يتولى له الكتابة في ديوان السواد، فهو

---

[1]) الفرج، ج1، ص113.

[2]) السخاوي، المقاصد، ص59.

[3]) المستجاد، ص10.

[4]) الفرج، ج2، ص109.

[5]) المصدر نفسه، ج2، ص97-100 وكذلك انظر، الفرج، ج2، ص102.

[6]) النشوار، ج1، ص225.

[7]) النشوار، ج1، ص68.

يصف حال الوزير عندما ذهب للتعزية بقوله[1]:" فجزع علي أبو محمد، وجاء إلى أولاده، فعزاهم بأعذب لسان، وأحسن بيان، ووعدهم بالإحسان، وقال: أنا أبوكم، وما فقدتم من ماضيكم، غير شخصه" . وأضاف، " وكان رحمه الله من بقايا الكرام" [2].

كما يُنتقد التنوخي بإيراده كثيراً من قصص المنامات والأحلام، التي كان يظهر فيها الرسول -صلى الله عليه وسلم- يظهر فيها للناس عامة، وللخلفاء والولاة خاصة، والتي تمثل انعكاساً للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها المجتمع في تلك الفترة[3]، وهي في دلالتها العامة تشير أن الله ورسوله لا يرضيان بالظلم وهما الذائدان عن المظلومين، وأن العدل والحق من مكارم الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ورغم هذه الدلالات فإنه لا يمكن القبول بتلك القصص كحقائق ومسلمات لمجرد أخذها عن أشخاص يعرفهم، أو عاصرهم.

والمتتبع لبضع قصص المستجاد، والتي جاء أغلبها بدون إسناد، يلحظ صوراً من المبالغة في وصف الكرم والكرماء حداً يتعدى صفة الكرم إلى التبذير والإسراف.

ولقد نبه الأستاذ محمد كرد علي إلى ذلك في مقدمة الكتاب بقوله:" ولا بدَّ أن يسأل القارئ النبيه وهو يتصفح هذه الأخبار، ترى هل كان ما رواه المؤلف بالسند من أخبار الأجواد صحيحاً، من كل وجه، أم أن بعضها قُصَد به تزيين الكرم للناس... وأكبر الظن أن أخبار التنوخي ما خرجت عن قصص وقعت، وربما دخل بعضها شئ من المبالغة للتأثير على النفوس والإدهاش بالغرائب" [4].

الاختصـــار

لجاء التنوخي في بعض الأخبار إلى الاختصار أحيانا لطولها، أو لشيوعها بين الناس. من ذلك أنه في أثناء حديثه عن الإسراف والتبذير في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء،

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص69.

[2]) المصدر نفسه والصفحة، للمزيد من ذلك انظر: النشوار، ج1، ص332؛ ج2، ص310؛ ج5، ص23.

[3]) الفرج، ج2، ص246.

[4]) المستجاد، ص3.

ذكر ما شاهده في مجلس الوزير أبي محمد المهلّبي، " وقد اشترى في ثلاثة أيام متتابعة ورداً بألف دينار، فطرح في بركة عظيمة كانت له في دار كبيرة، تعرف بدار البركة، وشرب عليه ونهب... وكان لذلك شرح طويل" [1]، كذلك قصة الوحل الذي عملته السيدة شغب والدة الخليفة المقتدر، يقول:" وخبر هذا الوحل مستفيض على السنّة العوام، فلا وجه للإطالة بذكره" [2]. وقوله في قصة مطالبة الصيمري لأهل البصرة بالمعطل من الضرائب:" ولهذه المطالبة شرح طويل" [3]. وأيضاً في قصة سيدنا آدم -عليه السلام- وقد جاء القرآن من هذا الشرح بما لا يحتمله هذا المكان، وروى فيه من الأخبار، مالا وجه للإطالة فيه والإكثار منه" [4]. وأحيانا أخرى اختصر بعض أجزاء رواياته، لأنها خارجة عن إطار الكتاب، أو الموضوع الذي يتحدث عنه. كقوله:" وذكر باقي الحديث مما لا يتعلق بهذا الباب" [5]. وقصة الخليفة المنصور وما ارتكبه من العظائم " وفيه حديث طويل" [6]، وعند إشارته إشارته إلى قصة خلع الخليفة المقتدر، قال:" وقد شرح هذا أصحاب التواريخ" [7].

وكان الحال نفسه من الانتقاء والاختصار في إيراده للشعر، فقد كان يختار القطع الشعرية الملائمة، التي تدخل في موضوع الرواية أو القصة، مشيراً إلى ذلك، كقوله بعد أن يورد بيتاً في مدح سيف الدولة الحمداني، من نظم الشاعر أبي الفرج الببغاء:" وهي حقيقة -يقصد القصيدة- أن تورد كلها، ولكني اخترت من شعره ما يصلح للمكاتبة في الحوادث أو الأمثال، أو معنى لم يسبق إليه، فتركت أكثر محاسن شعره، وحسن نظمه، وبلاغته، وعذوبة كلامه، وأكثر إحسانه، وموكلاً إلى من

[1]) النشوار، ج1، ص303.
[2]) المصدر نفسه، ج1، ص292.
[3]) المصدر نفسه، ج1، ص171.
[4]) الفرج، ج1، ص66.
[5]) المصدر نفسه، ج2، ص404.
[6]) المصدر نفسه، ج2، ص318.
[7]) المصدر نفسه، ج3، ص198.

ينظر في ديوانه" [1]. وكقوله:" وذكر أبو الفرج الأصبهاني القصيدة، وقد اخترت منها ما يتعلق بالفرج بعد الشدّة" [2]. وكذلك في قصة الشيخ الذي كان يأتي إلى خرائب البرامكة، ليلاً، فيبكي وينتحب، ثم يقول الشعر في مدحهم، فيقول التنوخي:" وذكر أبياتاً طويلة، لا تدخل في كتابي هذا، فأروها" [3].

المقارنــة

لم يكتف التنوخي بإيراد أكثر من رواية للقصة فقط، بل نجده يعقد مقارنات بين القصص، خاصة تلك القصص التي تنتمي إلى حضارات غير إسلامية، مع ما يشابهها من الحضارة الإسلامية، ففي قصة ملك الهند، الذي جمع علماء وحكماء بلده، وطالبهم بالنصيحة، فقالوا:" إنه لا عِرف له في الملك " فسألهم عن ملكهم السابق، فقالوا: ملك ابن ملك إلى أن عدوّ عشرة من آبائه كلهم ملوك، فلما انتهى إلى الأخير، قالوا: كان متغلباً، فقال: فأنا ذلك الملك الأخير، وإن طالت أيامي مع إحساني المسيرة بقي هذا الملك بعدي في ولدي، وولد ولدي فصار أولاد أولادهم من العِرف في المُلك، مثل ما كان لملككم الذي من قبلي. يعلق التنوخي على ذلك بقوله:" قلت للقاضي -راوي الخبر- هذا شيء قد سبقت العرب إليه بكلمتين، استغنى بهما عن هذا المثل الطويل العجمي، فقال: ما هما؟ فقلت: روت العرب أن رجلين تفاخرا، فقال أحدهما لصاحبه: نسبي مني ابتدأ ، ونسبك إليك انتهى" [4].

ومن مقارناته قصة حلم الإسكندر المقدوني، الذي رأى في منامه كأنه صارع ملك الفرس دارا، فصرعه دارا، فقص رؤياه على بعض الفلاسفة، الذين بشروه بالنصر والغلبة على الفرس، فلما كان بعد أيام، انتصر الإسكندر على دارا، قال التنوخي:" ومثل هذا مشهور في روايات أصحاب الأخبار والسير، أن عبد الله بن الزبير، رأى في

---

[1] النشوار، ج1، ص103.

[2] الفرج، ج2، ص123.

[3] المصدر نفسه، ج3، ص167.

[4] النشوار، ج1، ص111.

منامه كأنه صارع عبد الملك بن مروان، فصرع عبد الملك، وسمّره على الأرض بأربعة أوتاد، فأرسل، إلى ابن سيرين ليفسر له رؤياه فكان تفسير ابن سيرين، أن عبد الملك بن مروان يغلبك على الأرض، ويلي هذا الأمر من ولده لظهره، أربعة بعدد الأوتاد التي سمرته بها على الأرض" [1].

ومن مقارناته أيضاً في حديثه عن إسراف الخليفة المتوكل، الذي أنفق خمسين ألف دينار على مجلس شرابه ليلة واحدة، فقال:" ويشبه هذا ما فعله الحسن بن سهل فإنه عندما زفّ ابنته بوران إلى المأمون، انقطع الحطب في المطبخ، فلما علم بذلك، أمر بالخيش فصب عليه الزيت، وأمر بإبقائه تحت القدور، فاستعمل من ذلك الخيش الشيء الكثير" [2].

التنوخي ونظرته في الحكم

لعل حالة الضعف التي وصلت إليها البلاد الإسلامية، من الانقسام والتفكك، والتي أطمعت بها الأعداء، كانت هماً أرّق التنوخي فحاول البحث في أسباب ذلك الضعف، محاولاً تقديم حلاً وعلاجاً لذلك، فتوصل في النهاية إلى أن وراء حالة الضعف الأسباب التالية:

1. أن اختلال أمر القضاء، وضياع العدل بين الناس، كانت سبباً رئيساً في حالة الضعف والانحلال، وأكد ذلك بقوله[3]:" فإذا أختل أمر القضاء في دولة اختل حالها" ، ثم يوضح ذلك أكثر من خلال تجارب وأحداث تاريخية مرت بها الخلافة الإسلامية، " كان أول ما انحل من نظام الملك فيما شاهدنا من أيام بني العباس، القضاء فإن ابن الفرات، وضع منه، وأدخل فيه قوماً بالذمامات لا علم لهم، ولا أبوة فيهم.

---

[1]) الفرج، ج2، ص ص316-317.

[2]) النشوار، ج1، ص303. للمزيد من الإطلاع على ما يشبه هذه القصص انظر: النشوار، ج2، ص128؛ الفرج، ج1، ص165؛ ج3، ص198؛ ج4، ص107.

[3]) النشوار، ج1، ص231.

2. ضعف الوزراء، وتّولي هذا المنصب من هو ليس بالأهل له فقال:" فما مضت إلا سنوات، حتى ابتدأت الوزارة تتضع، ويتقلدها كل من ليس لها بأهل، حتى بلغت في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، أن تقلد وزارة المتقي، أبو العباس الأصبهاني الكاتب، وكان غاية في سقوط المروءة، والرقاعة، وتلى سقوط الوزارة، اتضاع الخلافة، وبلغ صيورها إلى ما نشاهد، فانحلت دولة بني العباس بانحلال القضاء" [1].

3. إضافة إلى أهمية القضاء في استمرار الدول، أكد التنوخي على دور العامل الاقتصادي في عمران الدولة، ففي حديثه عن نقصان دخل المقتدر عن مصروفاته، أشار إلى أن السبب وراء ذلك هو إهمال الأرض والزراعة[2].

موقفة من المذاهب والفرق وعقائدها

أ- موقفه من المذاهب

إن اتباع القاضي التنوخي المذهب الحنفي، لم يمنعه من تعظيم قضاة وفقهاء المذاهب الأخرى، فها هو يتحدث عن قاض مالكي فيقول[3]:" ونشر من مذهب مالك وفضله، ما لم يكن بالعراق في وقت من الأوقات، وصنّف في الاجتماع لمذهب مالك وشرح له، ما صار لأهل هذا المذهب مثالاً يحتذونه، وطريقاً يسلكونه وبالإضافة إلى ذلك علمه بالقرآن، فإنه ألف في القرآن كتباً تتجاوز كثيراً من الكتب المصنّفه فيه" . ولا يفوت القاضي التنوخي أن يتكلم عن الأمام أبي حنيفة، وهو أمام مذهبه، قوله[4]:" كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً، معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع الحال، معروفاً بالأفضال على كل ما يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار" .

---

1) النشوار، ج1، ص ص231-232.

2) المصدر نفسه، ج1، ص65.

3) النشوار، ج6، ص ص19-20.

4) النشوار، ج7، ص37.

ذكرتُ فيما سبق قول ابـن الأثير في اتهـام التنـوخي بالتحامـل عـلى الإمـام الشـافعي بقوله[1]:" وكان حنفي المذهب، شديد التعصب على الشافعي، يطلـق لسـانه فيـه، قاتلـه الله" . ومن تتبع فقرات النشوار والفرج والمستجاد، لم أجد أي إشـارة فيهـا طعـن بالإمـام الشافعي أو إتباعه، بل على العكس من ذلك، فإنه أخذ روايات عن فقهاء شـوافع، أمثـال أبو السائب عتبة" بن عبيد الله بن موسى الهمذاني[2].

كما انتقد التنوخي الحنابلة، وجعل بعض أفعالهم سبباً للفتن الطائفية بـين المسـلمين، ومن تلك الأفعال اتخاذهم مسجد براثا[3]؛ سبباً للفتن والبلاء، فرفع الأمر كما ذكر التنوخي إلى الوزير علي بن عيسى (ت 334هـ/946م) الذي أمر بهدمه. بعد أن أفتـى جماعـة مـن الفقهاء بأنه مسجد ضرارٍ وكفرٍ[4]، وتفريق بين المؤمنين" [5].

ب- موقفه من الفرق وعقائدها

كان موقف القاضي التنوخي موقف المـدافع عـن المعتزلـة، مذهبـه، ومـذهب والـده ومذهب أصحابه، فهو يثني عليهم كلما ذكرهم[6]، ولقد ذهـب أكـثر مـن ذلـك إلى إيـراد روايات فيها مبالغة في وصفهم كقوله:" من بركة المعتزلـة أن صـبيانهم كـانوا لا يخـافون الجن" [7]، واسند تلك الأخبار إلى جماعة من أصحابه " أهل العدل والتوحيد" [8] مما يـدل يدل على قبوله لها.

---

[1]) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص15.
[2]) النشوار، ج2، ص208، ص246، ص269؛ الفرج، ج4، ص154.
[3]) براثا: محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محول، وكان لها جامع مفرد تصلي به الشّيعة، خرب عن آخره. ياقوت، معجم البلدان، ج 1، ص 432.
[4]) وهذا إشارة إلى ما قام به من قبل جماعة من المنافقين ببناء مسجد مجاور لمسجد قباء في المدينة المنورة للتفريق بين المسلمين، فنزلت به الآية الكريمة:" والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين" . فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهدمه بعد عودته من غزوة تبوك. ابن كثير، التفسير، ج2، ص370-371.
[5]) المصدر نفسه، ج2، ص134.
[6]) النشوار، ج2، ص207، ص208.
[7]) المصدر نفسه، ج2، ص342.
[8]) المصدر نفسه، ج1، ص95؛ ج2، ص342.

وأشار التنوخي إلى موقف الناس من المعتزلة، والتضييق عليهم بسبب قولهم بخلق القرآن، مبيناً أن هذا الموقف لم يقتصر على العامة " والغوغاء" [1]، بل أن السلطة العباسية مارست سياسة التضييق والحبس على القائلين بخلق القرآن، فعندما عبَّر أحد المعتزلة عن رأيه بذلك " بحضرة غوغاء من العوام، وثبوا عليه، وحملوه إلى نزار الضبي، وكان أميراً على البصرة، فحبسه" [2]. ومن صور التضييق على المعتزلة التي ذكرها التنوخي، التنوخي، أنه لما توفي أحد شيوخ المعتزلة وهو أبو هاشم الجبائي[3]، حمل إلى المقبرة " في يوم مطير، ولا يعلم بموته أكثر الناس" [4]. وأكثر التنوخي في الأخذ عن المعتزلة، أمثال: أبي جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش الجواهري[5]، وأبي القاسم طلحة بن محمد الشاهد[6]، الشاهد[6]، وأبي الحسن علي بن عيسى بن علي المعروف بالاخشيذي[7].

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص207.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص208.

[3]) أبو هاشم عبد السلام بن علي محمد البصري الجبائي (ت 321هـ/933م) ، هو وأبوه كانا من رؤساء المعتزلة. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص261.

[4]) النشوار، ج2، ص209.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص95، ص96؛ الفرج، ج4، ص224.

[6]) النشوار، ج4، ص203؛ الفرج، ج1، ص247؛ ج2، ص326.

[7]) النشوار، ج4، ص60.

أظهر التنوخي تعاطفه مع العلويين[1]، فلم يجد ما يمنع من ذلك، فأورد روايات تظهر فيها المبالغة " فإن لحوم ولدّي فاطمة - صلوات الله عليها- محرمة على السباع، فمن أكلته السباع فهو دعي" [2]. كما أن شخصية الإمام علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- تتراءى في المنام للظالمين، والذين يوشكون على الوقوع في الخطأ، فتظهر لهم الصواب أو تردعهم، وقد يظهر الرسول -صلى الله عليه وسلم- في المنام ليوصي بأحد العلويين[3]، بل إن المعتضد عندما كان سجيناً[4]، رأى علياً -رضي الله عنه- في المنام، فخاطبه قائلا: يا أحمد، إن هذا الأمر -يقصد الخلافة- صائر إليك، فلا تتعرض لولدي، وصنهم ولا تؤذهم" [5].

[1] كان هناك ارتباط كبير بين المعتزلة والحركة الشيعية المعتدلة، رغم الاختلاف في بعض المواقف العقائدية والفكرية، والمواقف السياسية. وقد رفض واصل بن عطاء رأس المعتزلة الأوائل، أن يقرر هل أن مرتكب الكبيرة كافر، أم مؤمن. ومعنى ذلك أن المسلم الذي يحمل السلاح ضد أخيه المسلم لا يكون كافر أو مؤمن " بل منزلة بين المنزلتين" ، ولم يخشى سطوة الأمويين بل أكثر من ذلك فقد عرف بصداقته لمحمد بن حنفية، وأن زيد بن علي بن الحسين كان تلميذاً له. الشهرستاني، الملل، ج1، ص180، كما يشير البروفيسور سورديل إلى أن المعتزلة أيدوا محمد بن عبد الله المحض " النفس الزكية" وأخيه إبراهيم في البصرة. مما يدل على أن المعتزلة والزيدية كانا أقرب غلى بعضهما بحيث شكلا جبهة معارضة واحدة للعباسيين. The Abbasid Calipghate, p211 ,F. Omar . وفي عهد الرشيد كان جما؛ فاروقالزيدية يدعون معتزلة بغداد وقد أمر الرشيد بسجن ثمامة ابن الأشرس المعتزلي، بسبب دفاعه عن أحمد بن عيسى الزيدي.الطبري، تاريخ، ج8، 27؛ فاروقق عمر، بحوث في التاريخ العباسي" موقف العلويين السياسي من العباسيين" ص132.

[2] الفرج، ج4، ص172.

[3] النشوار، ج2، ص234.

[4] أشار ابن الأثير إلى السبب في ذلك بقوله:" في هذه السنّة في شوال (سنة 275هـ/888م) قبض الموفق على ابنه المعتضد بالله، أبي العباس أحمد، وسبب ذلك أن الموفق دخل واسط ونزل بها ثم عاد إلى بغداد وتخلف المعتمد على الله بالمدائن، وأمر الموفق ابنه بأن يسير إلى بعض الوجوه فقال: لا أخرج إلا إلى الشّام لأنها الولاية التي ولانيها أمير المؤمنين، فأمر الموفق بإحضاره وحبسه في حجرة في داره. ابن الأثير الكامل، ج7، ص433.

[5] الفرج، ج2، ص209.

عكست مؤلفاته، المنزلة السامية التي كان شغلها آل البيت في قلوب ونفوس المسلمين، فكانت زيارة الحائر (قبر الحسين) لها موسم خاص، يؤمه الناس أفواجاً[1].

لم يكتف التنوخي في إظهار حبه وتعاطفه مع العلويين بل أظهر، مقدار ما تعرض له أتباعهم من الشّيعة من التضييق من قبل السلطة الحاكمة من جهة، ومن قبل الحنابلة من جهة أخرى، فإن الشّيعة " كانوا يلقون جهداً جهيداً من الحنابلة إذا أرادوا الخروج إلى الحائر " [2].

كما أن الشّيعة كانوا لا يستطيعون النياحة على الحسين " إلا بعز السلطان، أو سراً، لأجل الحنابلة" [3]، رغم أن النياحة لم تكن إلا بمراثي الحسين وأهل البيت عليهم السلام فقط، من غير تعريض بالسلف" [4]، فعندما سمع زعيم الحنابلة المعروف بالبر بهاري[5]، أن نائحة تدعى خلبِ تنوح على الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: اطلبوها فاقتلوها" [6].

أما البويهيون -وبحكم تشيعهم-، فقد أشار التنوخي إلى تعاطفهم مع آل البيت، فمعزّ الدولة ابن بويه كان إذا ما خرج من أزمة تصدق على الطالبين، بأن يحمل مبلغ من ماله إلى نقيب الطالبيين ليفرقه فيما بينهم" [7].

ورغم تعاطف التنوخي مع آل البيت، إلا أنه انتقد بعض مؤيديهم من الشّيعة الغلاة، الذين كانوا يغالون في أفكارهم، كالآذان بحي على خير العمل، والإساءة إلى بعض

---

1) الفرج، ج2، ص289.

2) النشوار، ج2، ص232؛ الحائر، قبر الحسين بن علي بن أبي طالب في مدينة كربلاء. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص208، ويحرص الشّيعة على زيارته، خاصة في العاشر من محرم (يوم عاشوراء) إحياءً لذكرى مقتل الحسين بن علي في كربلاء.

3) المصدر نفسه، ج2، ص233.

4) المصدر نفسه والصفحة.

5) الحسن بن علي بن خلف، كان رئيس الحنابلة، وكان يدفعهم إلى كثير من أعمال العنف، مات سنة 329هـ/940م. مسكويه، تجارب، ج1، ص322.

6) النشوار، ج2، ص233.

7) المصدر نفسه، ج2، ص93.

الصحابة، وعلق على ذلك بقوله[1]:" وهذا عظيم مفرط، ونستغفر الله منه، ونستعيذ به من الجهل" .

وتناولت كتب التنوخي أفكار بعض الفرق، كالخوارج الذين رأوا أن الصلاة مع الجماعة لا تسقط الفرض يوم الجمعة، " أن التجميع معهم لا يسقط الفرض الذي هو إذا أجمع معهم ترك الظهر، فتفوته الصلاة الواجبة. كما أنهم يستحبون أن يقال لهم شراة، ويأبون بأن يقال لهم خوارج، ويذهبون إلى قوله تعالى[2]:" ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله" [3].

وتعرض التنوخي للقرامطة عندما أظهروا الإساءة إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه من الخلفاء الراشدين، بقولهم عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- رجلاً بائساً، وأبو بكر ضعيفاً، وعمر كان فظاً غليظاً، وعثمان جاهلاً، وعلي ممخرقاً[4]. وعلَّق التنوخي على هذه الأفكار بقوله:" فإذا القوم زنادقة لا يؤمنون بالله ولا يفكرون في أحد من الصحابة، ويدل على هذا أن أبا طاهر القرمطي دخل الكوفة دفعات، فما دخل إلى قبر علي -عليه السلام- واجتاز بالحائر فما زار الحسين" [5]. ومن مخاريقهم قبة ينفرد فيها أميرهم وطائفة معه، فإذا وقع قتال، لم يقاتلوا، وكانوا يقولون:" أن النصر ينزل من تلك القبة" [6].

وانتقد التنوخي الصوفية، مبرزاً مخاريقهم وانحرافاتهم عن الدين، فمن تلك الانحرافات أن الإنسان إذا أراد الحج، فإنه يستغني عنه، بأن يعمد إلى بيت في داره،

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص133.

[2]) سورة البقرة، آية 207.

[3]) النشوار، ج8، ص69.

[4]) المصدر نفسه، ج4، ص168.

[5]) المصدر نفسه، ج4، ص169.

[6]) المصدر نفسه، ج4، ص171.

فيجعل فيه محراباً، ويغتسل، ويحرم، ويطوف بالبيت، فإذا قام بذلك سقط عنه الحج[1].

أورد ابن الأثير هذا الخبر في المناظرة التي جرت بين الحلاج والقاضي أبو عمر[2]، فسأل القاضي أبو عمر الحلاج عن ذلك، فأجاب: أن ذلك من كتاب الإخلاص للحسن البصري[3]. ومن انحرافاتهم أيضاً، أن اتباع الحلاج من الصوفية، لما قُتل أنكروا موته، وقالوا:" إنما الذي قتل هو برذون، اتفق أن مات ذلك اليوم، ويؤكدون على عودته إليهم. علق التنوخي على ذلك قائلاً:" فصارت هذه الجهالة، مقالاً لطائفة منهم" [4]. وأشار التنوخي إلى أن بعض الصوفية قالوا بالحلول، فإنه بعد موت الحلاج، قالوا:" أن الصوت الذي كان حالاً فيه، حل في ابن له بتستر" [5]. ولم يكتف أتباع الحلاج بإظهار هذه المخاريق والانحرافات، بل ذهبوا أكثر من ذلك، بأن حاولوا إسناد أفكارهم، وخاصة فكرة الحج إلى أن الحلاج روى ذلك عن آل البيت[6].

أسلوبه

يعد القاضي التنوخي من كتاب القرن الرابع الهجري، وفي هذا العصر تنوعت موضوعات الكتابة وتعددت، فاختلفت الأساليب تبعاً لذلك، على الرغم من وجود صفات مشتركة بين أساليب الكتابة.

---

[1]) النشوار، ج1، ص162. وأضاف ابن الأثير إلى ذلك " ثم يجمع بين ثلاثين يتيماً ويعمل أجود الطعام، وأطعمهم في ذلك البيت، وخدمهم بنفسه، فإذا فرغوا كساهم وأعطى كلُّ واحد منهم سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك كان كمن حج. الكامل، ج8، ص129.

[2]) محمد بن يوسف الأزدي، ولد في البصرة سنة 234هـ/857م، وكان ثقة فاضلاً، غزير العقل والحلم، ولي قضاء مدينة المنصور سنة 264هـ/877م، وفي سنة 317هـ/929م، قلد قضاء القضاة، وتوفي سنة 320هـ/932م. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص246-248.

[3]) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص128.

[4]) النشوار، ج1، ص164. للمزيد حول أخبار الحلاج انظر، ج1، ص159، ص160؛ ص161، ص162، ص172، ص173.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص173.

[6]) النشوار، ج1، ص163.

وكتب التنوخي التي قامت عليها الدراسة، كُتب غلب عليها طابع القصص والحكايات، وقد نبه المؤلف في مقدمة كتبه إلى طريقته بالتأليف، فبالنسبة لكتاب " النشوار" قال:" فأوردت ما كتبته مما كان في حفظي سالفاً، مختلطاً بما سمعته أنفاً، من غير أن أجعله أبواباً مبوبة، ولا أصنّفه أنواعاً مرتبة" [1]، ومن هذا يتبين، عدم إتباع التنوخي طريقة الأبواب في تصنيف كتابه، وهذا خروج عما اعتاده الكتاب في هذا العصر، من اعتماد التقسيم والتبويب في معظم كتبهم. أما كتاب " الفرج بعد الشدّة، فقد قسمه إلى أبواب، وأعطى لكل باب اسماً على شكل جمل مسجوعة نحو قوله:" ما جاء في الآثار، من ذكر الفرج بعد اللأواء، وما يتوصل به إلى كشف نازل الشدّة والبلاء" [2] وأما " المستجاد" فهو لم يتبع به تسلسلاً تاريخياً، وإنما أورد رواياته كيفما أتفق.

وأسلوب التنوخي في هذا فرضته طبيعة المعلومات التي أوردها، والتي لا رابط بينها وقد أشار إلى ذلك بقوله:" والفصول إن رتبت على الأبواب، وجب أن توصل بما تقدم من أشباهها، وتردد في الكتب من أمثالها" [3].

ونبه التنوخي، على أن الفائدة ليست في التنويع، ولا المغزى في التأليف، بل لعل كثيراً مما فيها لا نظير له ولا شكل، وهو وحده جنس وأصل، اختلاطها أطيب في الآذان وأخف على القلوب والأذهان، وأوصل" [4]. من هذا النص تتضح سمة من سمات أسلوب التنوخي في أغلب مؤلفاته، ألا وهي سمة المزج أو الخلط بين أخبار مختلفة، لا علاقة بينها ولا جامع فهو ينتقل من الحديث عن خليفة، ثم يتحدث عن وزير، وبعدها يتحدث عن بعض العادات الاجتماعية، وهكذا.

واعتمد المزج بين الشعر والنثر في كتبه الثلاثة، فكانت قصصه خليطاً من الشعر والنثر، ولكنه في القسم الأخير من " كتاب الفرج بعد الشدّة، اقتصرت رواياته على بعض المقطوعات الشعرية، ولم يمزجها بأخبار أو حكايات نثرية.

---

[1]) النشوار، ج1، ص12.

[2]) الفرج، ج1، ص55.

[3]) النشوار، ج1، ص12.

[4]) النشوار، ج1، ص13.

كما يلاحظ على التنوخي، إيراده آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية على سبيل الاستشهاد لدعم روايته، وخاصة في كتاب الفرج بعد الشدّة، فقد خصص الباب الأول منه لما جاء بالقرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان[1]، وخصص الباب الثاني من الكتاب لما جاء في الآثار، من ذكر الفرج، بعد الشدّة[2]

وقد تبع هذا الخلط والمزج بين النثر والشعر، تعدد الروايات والأخبار وتنوعها، فهي لم تقتصر على إقليم بعينه، بل شملت مختلف بقاع الدول الإسلامية، وشملت حتى الدول غير الإسلامية، التي كانت لها علاقة حربية أو سلمية مع الدول الإسلامية، فهو يتحدث عن: الجزيرة العربية[3]، والعراق[4]، والشّام[5]، وعن بلاد الروم[6]، ودولة الخزر[7]، الخزر[7]، وحضارة بلاد الهند[8]، وحضارة الفرس[9].

ويلاحظ على التنوخي اتباعه أسلوب الواقعية -إلى حد ما- في الكتابة، فهو يروي الأخبار كما سمعها، أو كما هي على حقيقتها، وقد أدى به التشبث الشديد بذلك إلى إيراد عدد من الروايات التي حملت في طياتها عبارات وألفاظ تخرج عن نطاق الذوق والحياء[10]، وكان حري به، وهو الفقيه والقاضي أن يتجنب ذلك.

ومن السمات البارزة بوضوح في كتب التنوخي جميعها استخدامه أسلوب الحوار في سرد الخبر أو القصة، وقد استعمله بكثرة، فملأ به صفحات كتبه، وأراد التنوخي

---

[1]) الفرج، ج1، ص ص59-107.

[2]) المصدر نفسه، ج1، ص ص109-180.

[3]) المستجاد، ص ص12-13، ص15.

[4]) روايات كثيرة منشورة في أصل كتبه.

[5]) النشوار، ج2، ص145؛ ص261؛ الفرج، ج2، ص375 وغيرها.

[6]) النشوار، ج1، ص53.

[7]) المصدر نفسه، ج2، ص360.

[8]) النشوار، ج1، ص109؛ ج3، ص105؛ ج8، ص211؛ الفرج، ج1، ص335؛ ج3، ص399.

[9]) المصدر نفسه، ج1، ص157، ص159؛ ج2، ص315؛ ج3، ص155، ص183.

[10]) انظر: النشوار، ج1، ص87، ص97، ص171، ص256؛ ج2، ص229.

من ذلك أن تعود لغة الحوار العربية، فصيحة سليمة، فملأ بها صفحات كتبه، والحوار يجعلها تنبض بالحياة[1].

والمؤلف، في الجملة (وخاصة في كتاب النشوار) سلك مسلك الاستطراد، فينتقل بالقارئ من قصة إلى قصة، ومن حديث إلى حديث، بلا ترتيب ولا تبويب. وقد صنع هذا الصنيع غير واحد ممن تقدّموه وعاصروه وخلفوه، وهو منهج له قيمته في تشويق القارئ، ونقله من حال إلى حال، بين الجدّ والهزل، والحلو والمرّ، والقديم والطريف[2].

ولم يتعرض التنوخي لأفكار فلسفية أو منطقية، رغم أن عصره عصر الإنتاج الذهبي لمختلف العلوم، على الرغم مما ذكر من ميله للاعتزال، وذلك بقوله عن أحد الأشخاص، " وكان من أصحابنا في المذهبين، يعني الفقه مذهب أبي حنيفة، وفي الكلام مذهب أهل العدل والتوحيد" [3]، وقوله كان إسماعيل الصفار البصري، أحد شيوخ أصحابنا المعتزلة" [4].

وأغلب الظن أن التنوخي، كان مطّلعاً على كتب الحكايات والسمر، سواءً باللغة العربية أو بالفارسية، فهو قد طرح بأنه كان يعرف الفارسية، حيث قال عن عضد الدولة أنه كان يخاطب أحد جلسائه بالفارسية، وهو يظن أن التنوخي لا يعرفها. يقول التنوخي[5]:" فقال له بالفارسية: وعنده أنني لا أعرفها، هؤلاء البغداديون مفتونون، مفسدون ومتسوقون" ، فإذا كان قد اطلع على حكايات ألف ليلة وليلة، وما امتزج فيها من قصص الخيال بالواقع، والشعر بالنثر، وما تعرضه الحكايات عن المجتمع العباسي بجميع فئاته، مما أوحى له بالكتابة على نمطها، ولكن بقصص من الواقع التاريخي والاجتماعي، مما تداولته الالسنّة، ودار في المجالس[6].

---

[1]) درويش، المحسِّن، ص153.

[2]) مبارك، النثر الفني، ج1، ص323.

[3]) النشوار، ج1، ص95.

[4]) المصدر نفسه، ج2، ص207.

[5]) المصدر نفسه، ج4، ص97.

[6]) درويش، المحسن، ص157.

والتنوخي عندما قام بجمع تلك الأخبار والقصص، لم يكن هدفه منها التسلية والتندر في مجالس الأنس والسمر، بل كان هدفه أخلاقياً، ليستفيد منها القارئ، فإن التجارب خير وسيلة لتلافي الوقوع في الخطأ، فهو أراد أن يقدم لقرائه " من آداب النفس، ولطافة الذهن والحس، ما تغنيه عن مباشرة الأحوال، وتلقن مثله من أفواه الرجال، ويحنكه في العلم بالمعاش والمعاد، والمعرفة بعواقب الصلاح والفساد، وما يفضي إليه أواخر الأمور، ويساس به كافة الجمهور، ويتجنبه من المكاره حتى لا يتوغل في أمثالها، ولا يتورط بنظائرها وأشكالها ولا يحتاج معها إلى إنفاق عمره في التجارب، وانتظار ما تكشفه له السنون من العواقب" [1].

كما هدف من كتبه الاطلاع على أخلاق الشعوب وسننهم، وطرق معاشهم، وعاداتهم، محاولاً المقارنة بين زمانه وتلك الأزمان " ليعلم كيف ماتت الدنيا وانقلبت الأهواء، وانعكست الآراء، وفقدت المكارم وكثرت المحنّ والمقاومة، وهلك أهل الفضل والتفضل" [2].

كما أن قصصه وأخباره " تتضمن من شريف الفوائد، وطريف المآثر كل لون، وتجمع كل لون من الحكم الجديدة، والأمثال المفيدة، والرسائل البليغة" [3].

وأظهر القاضي التنوخي جرأة في انتقاد أوضاع مجتمعه بقوله:" وحقاً أقول، لو عاش حكيم من أهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه، ودفعنا إليه ما شك في قيام الساعة، أو أن الناس بدّلوا بهائم مهملة، أو جعلوا الآت غير مستعملة، لفقد الأحرار، وشدة الإعسار، وبطول المكاسب وتواتر النوائب، وحدوث السنن القبيحة، والعوائد المسببة الفضيحة" [4].

---

[1]) النشوار، ج1، ص12.

[2]) النشوار، ج3، ص8.

[3]) المصدر نفسه، ج2، ص7.

[4]) النشوار، ج2، ص7.

وبين في مقدمة الجزء الثالث من النشوار إلى فقدانه للأمل في الإصلاح، متضرعاً إلى الله تعالى طالباً الفرج والرحمة، " ونسأل الله العظيم فرجاً عـاجلاً وصـلاحاً للعـالم شـاملاً، أنـه سميع مجيب، رحيم ودود" [1].

ولم يكتف التنوخي بانتقاد الأوضاع السيئة التي عاشـها مجتمعـه، بـل انتقـد حكـام عصره، فهو يراهم من المتخلفين في طباعهم ومذاهبهم، وحكم عليهم بالفساد ويرى طباع أهل زمانه متغيرة، ورغبتهم في العلم معدومة، وهممهم مفقودة، " فنحن حاصلون فـيما روى من الخبر أنه لا يزداد الزمان إلا صعوبة، ولا الناس إلا شدة، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، وما أحسن ما أنشدني أبو الطيب المتنبي لنفسه:

أتى الزمـان بنـوه في شـبيبته ... فسرّهم واتيناه على الهَـرمً [2]

وقال في مكان آخر من المقدمة:" ولهذ الحال ما انطمست المحاسـن في هـذه الـدول، وردت أخبار هؤلاء الملوك، وخلت التواريخ من عجائب ما يجري في هذا الوقت، لأن ذوي الفضل لا يفنون أعمارهم بتشييد مفاخر غيرهم، وإنفاق نتـائج خـواطرهم، مـع بعـدهم من الفائدة، وخولهم من العائدة، وأكثر الملوك وذوي الأحوال، والرؤساء وأرباب الأمـوال، لا يجودون عليهم فيجيد هؤلاء لهم نسج الأشعار والخطب، الرسائل والكتب التي تبقـى فيها المآثر، ما أقام الدهر الغابر" [3].

ومن أساليب التنوخي والتي دلت على تبحره في صناعة الإنشاء، هو إيراد قصة داخل قصة، وقد تكرر استخدام هذا الأسلوب، وخاصة في كتاب الفرج، وهذا الأسـلوب، يحتـاج إلى مهارة الربط بين القصتين بحيث لا يبدو الانتقال مفتعلاً، أو لا مسـوغ لـه، فضـلاً عـن ضرورة توحيد المعنى العام والمغزى، لأن القصـة الثانيـة هـي بمثابـة جـواب عـن السـؤال المطروح في القصة الأولى، كقصة عمر بن أبي ربيعه والجعدي والفتاة الفارسية

---

[1] المصدر نفسه والصفحة.

[2] النشوار، ج1، ص9. ورد هذا البيت في قصيدة المتنبي صدق الورد، التي نظمها يمدح فيها عضد الدولة البويهي. ديوان المتنبي، ج2، ص508.

[3] النشوار، ج1، ص11.

المتخفية في ملابس الرجال[1]، وقصة زينب بنت سليمان الهاشمي مع شاب علق بإحدى جواريها، وجاء يستوهبها، فوصفته بالحمق، وراحت تقص عليه قصة أخرى، بطلتها مزنة بنت محمد الأموي جاءت تستجدي الخيزران، فأهانتها، ثم تراجعت، فأكرمتها[2].

وفي حالات كثيرة أورد التنوخي القصة بطرق متعددة، ويلاحظ في الغالب أن الرواية الثانية للقصة تكون أكثر وضوحاً، من الأولى، والسبب في ذلك يعود إلى أن القصة وصلته بأكثر من طريقة ورواية[3].

ويجب الإشارة إلى ملاحظة مهمة، وهي أن التنوخي لم يكتف فقط بجمع المادة وتدوينها، بل كان يتعهد مؤلفاته ويراجعها من وقت إلى آخر، كما أتضح من بعض القصص التي أثبتها في النشوار، ثم أوردها في الفرج، أنه كان إذا توافرت معلومات جديدة، تزيد عما رواه أولاً، أثبتها عند تكراره القصة، وقصة العلوية الزمنة (المقعدة) من الأدلة على ذلك، فأثبت القصة في النشوار أن العلوية كانت " عاتقاً" [4] -أي لم تتزوج-، ولما عاد وأثبت القصة في الفرج ذكر أنها تزوجت، وأن السيدة تجني أم الوزير أبي محمد، كانت تجري عليها، وأنها هي التي زوجتها[5]، ثم عاد من بعد ذلك، فأضاف إلى القصة ما توافر لديه من معلومات جدَّت بعد ذلك، فأثبت في الكتاب أنه شاهد تلك العلوية سنة (370هـ/981م)، في دار صديقه أبي الفتح أحمد بن المنجم، بداره بدرب سليمان شارع دار الرقيق، وعندما أنهى أسئلته لها، قال:" ولم تذكر لي غير هذا"[6]

---

[1]) الفرج، ج4، ص402.

[2]) الفرج، ج4، ص75. وانظر: الفرج، ج2، ص72، ص92، ص282.

[3]) انظر على سبيل المثال: الفرج، ج1، ص175، ص296؛ ج2، ص123؛ ج4، ص121.

[4]) النشوار، ج2، ص267.

[5]) الفرج، ج2، ص283.

[6]) المصدر نفسه، ج2، ص286.

لغتـــه

يعد التنوخي من كبار الكتاب في زمانه، وحسب القارئ أن يعرف أنه انفـرد مـن بـين المؤلفين بصياغة كل ما اشتمل عليه كتابه من مختلـف الأقاصـيص والأسـماء والفكاهـات. وتلك قدرة عظيمة أن يقصد الكاتب إلى كل ما سمعه فيدوِّنه في عبارات فصيحة محبوكـة الأطراف، لا قلق فيها ولا اضطراب. على أنه قد أعطانـا نمـاذج مـن نـثره المصـنوع، والتـي تظهر صنعة التنوخي جيدة باهرة، تشهد له بالحذق وطول الباع قوله[1]:" لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته، ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هي العليا، وأعذك من عز مفقود، وعيش مجهود، وأحياك ما كانت الحياة أجمل بك وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك، بعد عمر مديد، وسموّ بعيد، وختم بالحسـنى عملـك، وبلغَّـك في الأولى أملـك وسّدد فيها مضطربك، وأحسن في الأخرى منقلبك، إنه سميع مجيب، جواد قريب" .

وقد عقب زكي مبارك على هذه الفقرة بقوله[2]:" والقارئ أن يتأمل قوله: لا أحوجـك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته، فإن هـذه الجملـة تـدلنا عـلى فهـم الكاتـب لنفـوس الكرام، فإنه ليس أصعب ولا أعسر من أن يضطر الكريم إلى اقتضاء ثمن معـروف، لأنـه لا ينتظر ثمن المعروف إلا لئام الناس" .

إن لغة الكتابة عند التنوخي سهلة، وعباراته، بسـيطة وقويـة ومـؤثرة. فهـي تجـذب القارئ إلى أن يمضي معها إلى النهاية، وهذا الاعتماد للواقعية في الكتابة، جعله يبتعد عـن الاستعانة بالتشبيهات والاستعارات والكنايات إلا ما جاء عفو الخاطر، وكان الغـرض منـه تمثيل الواقع، فإذا وجدت فإننا، نراها لا تبعد عن الواقع كثيراً، مثل قوله: عن رجل غني:" أي بيت مال يمشي على وجه الأرض" [3].

---

[1]) النشوار، ج1، ص192؛ مبارك، النثر الفني، ج1، ص325.

[2]) المرجع نفسه، ج1، ص326.

[3]) النشوار، ج1، ص180؛ ج4، ص58.

ومن سمات التطور الذي طرأ على اللغة في عصره، أن اللغة العربية الفصحى لم تعد لغة الحوار والتخاطب الوحيدة، بل نشأت لغة حوار جديدة محرفة عن الفصحى، وهي ما أصبح يعرف " باللهجة العامية" ، وقد سجل التنوخي في كتبه بعض تلك الألفاظ التي شاع استعمالها مثل :" كيت كيت" ، و" الانعواج" " وهيه" [1]، و" الطنز" [2].

ويعتبر زكي مبارك أن إدخال التعابير العامية في اللغة-الفصيحة يزيدها ثروة، والناس لا يلجأون إلى العامية إلا حين يرونها أقرب إلى تصوير أغراضهم في بعض الأحيان، والعامية عنصر من اللغة الفصيحة دخل في حكم المتبذل بكثرة الاستعمال والكاتب المجيد يستطيع أن يلقي عليها مسحة من الطرافة والجدة بحيث يرجعها رونقها القديم[3].

ومن مظاهر التطور أيضاً آنذاك: ما طرأ على اللغة من إدخال كلمات فارسية ويونانية وتركية إلى اللغة العربية، ويعود هذا التطور إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية الذي جعل علمائها يقفون على أنواع جديدة من النبات والحيوان والأطعمة، وسائر مرافق العمران، فأدخلها اللغويون إلى معاجمهم[4]، وأصبحت تلك الألفاظ تستخدم إلى جانب الألفاظ العربية الأصيلة، فاستخدام التنوخي بعض تلك الألفاظ، كما استخدمها غيره، ومن تلك الألفاظ التي وردت في مصنّفاته:" الروشن" [5]، " الروز" [6]، " الجهبذ" [7]، " الكردناك" [8]، " الكشخان" [9]، " الدست" [10]،" الشيرج" [11]، " جوامرك" [1]، " جوانبيره" [2]، " ديكدان" [3]، " سكباج" [4] و" الفالوذج" [5].

---

[1]) المصدر نفسه، ج8، ص273.

[2]) المصدر نفسه، ج1، ص15، والطنز لهجة عامية بغدادية تعنى السخرية.

[3]) مبارك، النثر الفني، ج2، ص327.

[4]) أمين، ظهر، ج2، ص88.

[5]) النشوار، ج1، ص69، فارسية، وتعني الكوة في البيت. أدشير، معجم الألفاظ الفارسية، ص73.

[6]) النشوار، ج1، ص73، فارسية، وهي صك يكتبه الجهبذ بقبضه المال. تيمور، الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج2، ج8، ص327.

[7]) النشوار، الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء. أدشير، معجم الألفاظ الفارسية، ص46.

[8]) النشوار، ج1، ص144، كلمة تركية، وهو لحم يصنع بأن يشك اللحم المقطع، في سفود من الحديد ثم يقلب على النار. تيمور،الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي،مج3،ج1،ص9

[9]) النشوار،ج1،ص158،بمعنى الدياثة،ورجل كشخان،رجل ديوث.أدشير،معجم الألفاظ الفارسية،ص135

[10]) النشوار، ج1، ص310، فارسية، وهي نوع من الثياب، الجواليقي، المعرب، ص71.

كما أن التنوخي لم يكتف بإيراد تلك الألفاظ الواضحة الدلالة لدى القارئ، بل نجده يقوم بتفسيرها، وبيان معانيها، مثل قوله:" الدورباكة كلمة أعجمية، وهي رسم للعب على قدر الصبيان، يخلو بها أهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدي، ويلعبون بها[6]، و" الجرذون، دابة أكبر من اليربوع[7] قليلاً" [8] و" معنى النهروان بالفارسية ثواب العمل" [9] وقوله:" البيسر هو المولود على ملة الإسلام في بلاد الهند" [10] والهدري الذي يقاتل به، وهو يشبه الحراب" [11] و" الجدام معناه الرستاق" ، وغيرها[12].

وهناك أثار لاصطلاحات لفظية نبه القاضي التنوخي إلى بعضها، مثل قول أحدهم:" كن على الظلامةً[13]، يكررها دفعات، ويكسر الميم بلسان أهل الكوفة، كما لجأ إلى المصطلحات الفنية المهنية، والكنايات الشائعة لتجنب ما يتحرج من ذكره، فيعبر

---

[11]) النشوار، ج2، ص9، وهو دهن السمسم، أدشير، معجم الألفاظ الفارسية، ص89.

[1]) النشوار، ج2، ص185، الجوامرك: الفتي من الطير. تيمور، الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج3، ج8، ص242.

[2]) النشوار، ج4، ص184، الكهلة من النساء. تيمور، الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج3، ج8، ص244.

[3]) النشوار، ج2، ص126،فارسية، تعنى الآلة التي يوضع عليها القدر. تيمور، الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج3، ج3، ص87.

[4]) الفرج، ج2، ص383، أنظر معناها في الفصل الأول تحت عنوان: مادة كتبه.

[5]) المصدر نفسه، ج3، ص36، أنظر معناها في الفصل الأول تحت عنوان: مادة كتبه.

[6]) النشوار، ج2، ص123.

[7]) اليربوع: دابة كالجرذ، منكب على صدره لقصر يديه، طويل الرجلين، له ذنب كذنب الجرذ. ويقال للذكر يربوع وللأنثى يربوعة، وهي تحيض كما تحيض المرأة، وتلد كما تلد. الجاحظ، الحيوان، ج6، ص386؛ ابن سيده، المخصص، ج2، ص301.

[8]) النشوار، ج2، ص74.

[9]) المصدر نفسه، ج8، ص139.

[10]) النشوار، ج8، ص139.

[11]) المصدر نفسه، ج8، ص211؛ الفرج، ج4، ص300.

[12]) النشوار، ج8، ص231.

[13]) الفرج، ج1، ص23.

أحد المغنيين عن ضياعة وفقره بأنه صار " أفلس من طنبور مقطع الأوتـار" [1]، أو يسـأل أحدهم هل يوجد نبيذ، فيقول الآخر:" عندك شيء من ذلك الفن" [2].

النقد الأدبـي في مؤلفات التنوخي

كان التنوخي على إطلاع واسع في الأدب والشعر، والنقد، سواءً فيما انتقـاه مـن شـعر الشعراء، وأقوال البلغاء، أو في حكمه على بعض الأشعار بالجودة أو الركاكة.

لقد أبدى التنوخي إعجابه ببعض القصائد، التي أوردهـا في مؤلفاتـه، كقولـه بعـد أن أورد قطعتين شعريتين:" وفي هاتين القطعتين معنى مـن القـول بـديع، نحتـه عليـة بنـت المهدي، حيث تقول: ولها فيه لحن مشهور، على ما وجدت أبا الفـرج الأصـبهاني يـذكره في كتابه الأغاني الكبير، وقد ظرّفه" [3].

وأعطى التنوخي أحكاماً على بعض الشعراء وشعرهم مثل:" ومحل أبي العبـاس هبـة الله ابن محمد المعروف بالمنجم، في نفسـه أشـهر مـن أن يجهـل، في العلـم والأدب وقـول الشعر" [4] وقوله:" أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، له شعر جيد، حسن، واتساع تـام في الأدب" [5] و" حضرت أبا عبد الله بـن الحجـاج، الكاتـب البغـدادي، صـاحب السـفه في شعره" [6] " وأنشدني أبـو ريـاش أحمـد بـن أبي هاشـم القيسيـ ومحلـه مـن علـم اللغـة والشعر، المحل المعروف" [7].

وكان التنوخي مـدققاً في رواة الشـعر وأصـحابه، ومـن ذلـك قولـه[8]:" كنـت جالسـاً بحضرة عضد الدولة في مجلس أنسه، فغناه محمد بن كاله الطنبوري

ذد بماء المزن والعنب   طارقات الهم والكرب

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص365.
[2]) المصدر نفسه، ج3، ص220.
[3]) الفرج، ج5، ص43.
[4]) النشوار، ج1، ص15.
[5]) المصدر نفسه، ج1، ص89.
[6]) المصدر نفسه، ج2، ص229.
[7]) المصدر نفسه، ج2، ص58.
[8]) المصدر نفسه، ج4، ص83.

فاستحسن عضد الدولة الشعر، وسأل عنه، فقال له ابن كاله: هذا الشعر غنت بـه مولانـا سلمه بنت حسبنه فسرقته منها. وعلّق التنوخي على ذلك بقولـه:" أمـا الشـعر، فللخبـاز البلدي، وأظن أبا الحسن بن طرخان قال لي: أن الصنعة فيه لأبيه، والمعنى حسن، ولكنـه مسروق" .

ومن صور ذلك أيضاً قوله[1]: أنشدني الأمير أبو الفضل جعفر بن المكتفـي بـالله، قـال: أنشدني بعض أصحابنا، ولم يسمّ قائلاً، وأخبرني بعض الشعراء، أن البيت الأول لقـيس ابـن الخطيم، ووجدته في كتاب الأمثال السائرة منسوباً إلى قيس بن الخطيم" [2].

وأحياناً، نجده يورد أسـماء الشـعراء الـذين نسـب البيـت أو القصـيدة لهـم، دون أن يجزم من منهم القائل، كقوله[3]:" قـال العبـاس بـن الأحنـف، يـروي لمحمـد بـن دنقـش حاجب المعتصم" ، " ولزياد بن عمرو بن بني الحارث بن كعب، وقيـل لزيـاد ابـن عمـرو الغداني" [4].

كما استشهد بالشعر في تفسير بعض الآيـات القرآنيـة، مثـال ذلـك:[5] " ومعنـى قولـه تعالى:" ليكون لهم عدواً وحزناً" [6] أي يصير عاقبه أمره معهم إلى عداوة لهم، وهـذه لام العاقبة[7]، كما قال الشاعر:

لدوا للموت وابنو للخراب وكلكم يصير إلى ذهاب

---

1) الفرج، ج5، ص24.

2) هو أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي، شاعر الأوس في الجاهلية، أول ما اشتهر به تتبعـه قـاتلي والـده وجـده، حتـى قتلهما. أدرك الإسلام، ولكنه لم يسلم، توفي في السنة الثانية قبل الهجرة. للمزيد من أخباره انظر: الأصبهاني، الأغاني، ج3، ص ص1-26. وبعد الرجوع إلى الديوان الذي قام بجمعه الدكتور ناصر الدين الأسد، لم نجد تلك الأبيات.

3) الفرج، ج5، ص45.

4) المصدر نفسه، ج5، ص8.

5) المصدر نفسه، ج1، ص75.

6) سورة القصص، آية 8.

7) وهذا التفسير أخذ به ابن كثير بقوله:" اللام هنا لام العاقبة لا لام التعليل، لأنهـم لم يريـدوا بالتقاطـه ذلـك. التفسـير، ج3، ص392-393.

علم أن الولادة لا يقصد بها الموت، والبناء لا يقصد به الخراب، وإنما عاقبة الأمر فيهما تصير إلى ذلك" .

وتبرز ملكة النقد الأدبي عنده في تعليقه على البيت التالي:

خاف من فقر تعجله والغنى أولى بمنتظره

يقول: كأنه مأخوذ من قول الله -عز وجل- " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً" [1].

وفي ختام الحديث عن منهجية التنوخي، فقد تبين من خلال تكوينه الثقافي الذي غلب عليه الطبيعة الفقهية، ونشاطه العملي الذي لابد أن يكون قد اصطبغ بصبغة القاضي، إن الأثر الديني يظهر واضحاً في مؤلفاته خاصة كتاب الفرج، فالأساس الغيبي ثابت عند التنوخي، فالفرج من الله -سبحانه وتعالى- وهو يسبب الأسباب. حيث يبدأ كتابه بآيات اليسر الذي يقاوم العسر، ثم يثني بما ابتلى به الأنبياء من محنّ، وكيف ذهب الكيد البشري هباء حين أرادت السماء أن تنصر رسلها، ومع هذا فإن المشاركة الإنسانية في رفع البلاء عن المكروبين من القيم الدينية الثابتة، ومن الأمثلة على ذلك إيراده أحاديث نبوية تحث على الصبر عند وقوع النوائب، وانتظار الفرج:" أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل" [2]، " واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً" [3].

[1]) النشوار، ج1، ص75-76؛ سورة البقرة، آية 268.

[2]) النشوار، ج1، ص111. وهذا الحديث ضعيف لم يرد في كتب الصحاح، ولكن أورده ابن عدي بصيغة " أفضل العبادة توقع الفرج" وقال: حديث ضعيف. ابن عدي، الكامل في الضعفاء، ج2، ص 219.

[3]) النشوار، ج1، ص112. حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده. ج1، ص 307.

ومع ذلك فإن التنوخي لا ينفي الفعل البشري[1]، فهناك دور أساسي للفكـر الإنسـاني، والفعل الإنساني، وإذا بذل الإنسان جهده كله في البحث والمحاولة، فإنه لا بّد من أن يجد وسيلة، فإذا عجزت الوسائل، فإنـه لم يعـد أمامـه إلا انتظـار الفـرج مـن الله تعـالى، " أن الإنسـان لا يأتيه الفرج ولا تدركه النجاة، إلا بعد إخفاق أمله في كل ما كان يتوجه نحـوه بأمله ورغبته، وعند انغلاق مطالبه، وعجز حيله، وتناهي ضرّه ومحنّته، ليكون ذلك باعثـاً له على صرف رجائه أبداً إلى الله عزّ وجل، وزاجراً له على تجاوز حسن ظنه به" [2].

[1]) إن المعتزلة رفضوا أن تكون أفعال الإنسان مخلوقة لله سبحانه وتعالى، بل قالوا أن الإنسان هو خالق أفعاله، وذلك لأن معنى الخلق عندهم، ليس الاختراع ولا الإبداع، ولا الإيجاد من العدم، وإنما الخلـق الإنسـاني، عنـدهم هـو الفعـل والصنع على أساس من التقدير، والتخطيط السابق على التنفيذ وأن الله سبحانه وتعالى منزه أن يضاف إليـه شر أو ظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم لكان ظالماً، كما لو خلق العدل كـان عـادلاً. الشهرسـتاني، الملـل، ج1، ص57.

[2]) النشوار، ج1، ص163.

الفصل الثالث

مصادر القاضي التنوخي

أولا - الرسائل والوثائق

ثانيا - الكتب:

أ- التاريخ والأنساب

ب- الأدب

ج- الشعر

د- السمر والنوادر

ثالثا - الروايات الشفوية

مصادره المكتوبة

عرَّف القاضي التنوخي بالعديد من الموارد التي استخدمها في كتبه، سواء أكانت تلك الموارد شفوية أو خطية، فكان إذا أخذ من كتاب أشار إلى اسمه واسم مؤلفه وكانت في بعض الحالات تبدو الإشارات مبتورة أو ناقصة، كالإشارة إلى المؤلف دون ذكر اسم كتابه الذي نقل عنه، أو النقل من كتب دون التعريف بها أو بأسماء مؤلفيها، كقوله:" وجدت في بعض الكتب" [1].

وبالإضافة إلى الكتب فقد استخدم التنوخي الرسائل والوثائق حيث اعتبرت مصدراً من مصادره التي نقل عنها في كتبه، لذلك يمكن تقسيم مصادره إلى نوعين: الرسائل والوثائق، والكتب

أولا: الرسائل والوثائق:

اعتمد التنوخي على عدد من الرسائل والوثائق في كتبه، والتي يمكن تقسيمها إلى: رسائل ووثائق رسمية ورسائل إخواني

أ- الرسائل والوثائق الرسمية

يمكن اعتبار الرسائل الرسمية مصدراً هاماً اعتمده التنوخي في تصوير أوضاع عصره، فالرسائل والوثائق الصادرة عن دواوين الدولة كديوان الإنشاء، والرسائل المتبادلة بين الملوك والأمراء تحتوي على الكثير من المعلومات التي لا غنى عنها لأي مؤرخ، وهذه الرسائل لا يعرف مضمونها إلا القليل من الناس.

أما الوسيلة التي استطاع التنوخي بفضلها الوصول إلى وثائق الدولة الرسمية، فتمثلت بعلاقاته الشخصية الوثيقة مع بعض ملوك ووزراء بني بويه، فقد كان نديماً للأمير عضد الدولة[2]، وخصيصاً بالوزير أبي محمد المهلّبي[3].

---

[1]) ترد هذه العبارة أربع عشرة مرة في كتاب الفرج بعد الشدّة .

[2]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2286.

[3]) النشوار، ج1، ص86.

والملاحظ على تلك الرسائل والوثائق، أنها كانت متفقة مع الإطار العام لكتب القاضي التنوخي، فقد أبرزت بعض الأوضاع الاجتماعية، كتسلط الفئة الحاكمة والمتنفذة على غيرها من فئات المجتمع، حتى وصلت الحال إلى الاستيلاء على منازلهم ودورهم، كما عكست بعض الأوضاع الاقتصادية الفاسدة المتمثلة بالاعتداء على واردات الدولة، واستغلال الولاة صلاحياتهم بفرض ضرائب جديدة على سكان الولايات التي كانوا يتولونها.

ومن أبرز الرسائل التي أوردها التنوخي:

- رسالة من الوزير محمد بن بقية إلى أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة وهو بحلوان متقلداً لها سنة (365هـ/975م)، وكان سبب هذه الرسالة أن الأمير أبا المظفر كان قد استولى على دار أبي العلاء صاعد بن ثابت ببغداد، وأنزل أهله بها، فشكى صاعد للوزير، طالباً منه رفع الظلم عنه، وحررت تلك الرسالة بقلم أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصّابئ كاتب ديوان الإنشاء[1].

- كتاب بخط الوزير علي بن عيسى إلى أبي عبد الله أحمد بن محمد الحكيمي، وهو يتقلد له طريق خراسان، يحثه فيه على حمل مال الخراج إليه[2].

- رسالة من الخليفة المقتدر بالله إلى أحمد بن رستم ضامن شيراز يأمره بها بالرفق بالجباية في جمعه للخراج، بعد رفع أهلها شكوى إلى الخليفة في هذا الأمر، وكان ذلك سنة (303هـ[3]/915م).

- كتاب من الخليفة المقتدر بالله إلى واليه النعمان بن عبد الله على كور الأهواز يأمره فيها بإسقاط التكملة[4] التي فرضها الصفاريون على فارس[5] أثناء تغلبهم عليها، وتاريخ هذه الرسالة سنة (303هـ[6]/915م).

---

[1]) المصدر نفسه، ج3، ص169-170.

[2]) المصدر نفسه، ج8، ص 10-11.

[3]) النشوار، ج8، ص ص129-130.

[4]) وضع الصفاريون بعد استيلائهم على فارس التكملة على أهلها بعد أن هرب عدد كبير من الفلاحين الذين يدفعون الخراج لسوء المعاملة، ففرضوا خراجهم على من تبقى من الفلاحين، وسموا ذلك التكملة، حتى يكمل به مال فارس. النشوار، ج8، ص120.

[5]) استولى الصفاريون على فارس سنة (256هـ/869م) .

[6]) النشوار، ج8، ص ص120-128.

- رسالة على لسان الأمير سيف الدولة الحمداني، أمر أن تكتب وتذاع بين الناس، بشأن فداء الأسرى المسلمين من أيدي البيزنطيين، والذي تم على يديه سنة (355هـ/965م)، وكتبت بخط الشاعر أبو الفرج الببغاء، وكان سيف الدولة قد بذل خمسمائة ألف دينار في شراء الأسرى المسلمين " صبراً واحتساباً، وطلباً للثواب"[1].

- كتاب من الوزير أبي الحسن علي بن الفرات إلى سليمان بن مخلد، صاحب ديوان الخاصة، يولّيه فيها ولاية دستمسان[2] سنة (298هـ[3]/910م).

ب- الرسائل الأخوانية

وهي مجموعة الرسائل التي تم تبادلها بين الأصدقاء في مناسبات مختلفة كالتهاني والتعازي وغيرها، ومن تلك الرسائل:

- رسالة أبي محمد المهلّبي قبل أن يتولى الوزارة إلى أبي القاسم التنوخي (والد المحسن)، يتمنى فيها لقاءه[4].

- رسالتان من أبي محمد يحيى بن محمد الأزدي إلى أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة[5]، تناولت هاتان الرسالتان قبض أبي تغلب على أخيه أبي الفوارس بعد تخوفه منه، وكان ذلك سنة (306هـ[6]/918م)، وأرسل له الثانية يهنئه فيها

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص ص266-300.

[2]) دستمسان: كورة بين واسط والبصرة والأهواز. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص455.

[3]) النشوار، ج8، ص ص191-193.

[4]) الفرج، ج5، ص ص50-51.

[5]) أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان، كانت إليه الموصل وديار بكر وديار مضر. وكان متحالف مع عضد الدولة البويهي ثم نقض عهده وتحالف مع عزّ الدولة بختيار، وأعانه في معركته مع عضد الدولة، فنكسر وقتل بختيار، وتقلبت الحال بابي تغلب حتى قتل في سنة (369هـ/979م) . ابن الأثير الكامل، ج8، ص699-700.

[6]) الفرج، ج2، ص ص46-48.

بانتصاره على أخويه: الحسين وإبراهيم، الذين وقفوا إلى جانب حمدان بن ناصر الدولة ضده، بحجة قبضه على أخيهم محمد[1].

- كتاب كتبه القاضي أبو علي المحُسّن التنوخي إلى أحد الرؤساء في محنّة لحقته يطلب منه الصبر على المصيبة[2].

كما أورد القاضي التنوخي في كتبه مجموعة من الرسائل الطريفة كرسالة سيف الدولة الحمداني إلى رجل يعزيه فيها بزواج أمه، ومما جاء فيها:" من سلك سبيل الانبساط، لم يستوعر مسلكا في المخاطبة فيما يحسن الانقباض في ذكر مثله، واتصل بي ما كان من أمر الواجبة الحق عليك، المنسوبة إليك بعد نسبتك إليها... فلا يسخطنك من ذلك، ما رضيه موجب الشرع، وحسنَّه أدب الديانة فمباح الله أحق أن يتبع" [3].

كما أورد عدداً من الوثائق التي تحمل أدعية في معنى الفرج بعد الشدّة، والتي حصل عليها من بعض شيوخه وأصدقائه[4].

ثانياً: الكــتب

اعتمد القاضي التنوخي في مؤلفاته -وخاصة كتاب الفرج- عدداً من الكتب، متنوعة في مواضيعها، فمنها: الفقه، والأدب، والشعر، والتاريخ، والنوادر. ومما يميز معظم هذه الكتب أنها مفقودة، لم تصل إليها أيدي المشتغلين بالتراث حتى الآن، لذلك كانت الروايات والمقتطفات التي أوردها التنوخي، في إعطاء فكرة عامة عن تلك الكتب وماهية مادتها. والملاحظ على جميع الروايات التي نقلها من تلك الكتب تتفق مع الإطار العام لمفهوم الفرج بعد الشدّة.

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص ص261-263.

[2]) المصدر نفسه، ج1، ص192.

[3]) النشوار، ج2، ص264.

[4]) الفرج، ج1، ص ص141-142.

وكما أشرت سابقاً فإن التنوخي لم يلتزم بمنهج واحد فيما يتعلق بهذه الكتب، فتارة يورد اسم المؤلف كاملاً، ويتبعه باسم الكتاب كاملا، وتارة أخرى يختصر اسم المؤلف واسم الكتاب، خاصة عندما يورده أكثر من مرة[1]. وفي حالات ليست قليلة، نجده يشير إلى أخذه رواياته من كتب دون الإشارة إلى اسم المؤلف أو اسم الكتاب، موضحاً ذلك بقوله:" وجدت في بعض الكتب[2]" ، مما يجعل الباحث يقع في حيرة التعرف على تلك المصادر وأسماء مؤلفيها. وفي نموذج ثالث أشار التنوخي إلى اسم المؤلف دون الإشارة إلى اسم الكتاب، كقوله:" وجدت في كتاب عتيق فيه أخبار جمعها يعقوب بن بيان الكاتب" [3]، " ويشبه هذا، ما وجدته في كتاب أعطانيه أبا الحسين بن عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان" [4]، " وجدت في كتاب أبي القاسم الحسين بن محمد بن الحسن ابن إسماعيل السكوني[5]" ، وقوله:" ووجدت في دفتر عتيق، أعطانيه أبا الحسن أحمد بن يوسف التنوخي رحمه الله، وأخبرني أنه بخط عمه أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب التنوخي[6]" ، " وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي" [7]، " ووجدت كتاباً قد جُمع فيه شعر صاحب الزنج" [8].

ومع وجود التباين في طرق أخذه من الكتب، إلا أنه أشار إلى اعتماده على بعض الكتب في مقدمة كتاب الفرج بعد الشدّة منها: كتاب الفرج بعد الشدّة لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، واصفاً إياه بأنه يقع في عشرين ورقة، وأن طابعه العام هو رواية الأحاديث النبوية وأخبار الصحابة والتابعين، وما يقارب ذلك من الأدعية والأذكار.

---

[1]) أنظر: الفصل الثاني تحت عنوان: طريقة ذكره لمصادره.

[2]) الفرج، ج3، ص96، ص100، ص117، ص119، ص126، ص161، ص360، ص355 ج4، ص16، ص20، ص343، ص393، ص422؛ ج5، ص24، 43.

[3]) الفرج، ج3، ص53، ص56.

[4]) المصدر نفسه، ج4، ص352.

[5]) المصدر نفسه، ج5، ص44.

[6]) المصدر نفسه، ج4، ص135.

[7]) المصدر نفسه، ج1، ص99، ص399؛ ج2، ص26، ص34، ص270، ص360؛ ج3، ص82، ص334.

[8]) المصدر نفسه، ج5، ص92.

لكن التنوخي لم يشر إلى الكتاب كمصدر لبعض رواياته، رغم أنه أورد اسم أبي الدنيا أربع وخمسين مرة[1] وذكره ضمن سلسلة رواته لبعض الأخبار. ولا ندري لماذا ترك القاضي التنوخي ذكر كتاب أبي الدنيا في تضاعيف كتابه رغم الإشارة إليه في مقدمته.

أما الكتب التي اعتمدها التنوخي ،فهي:

1. كتاب نسب قريش، لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري[2] (ت236هـ/850م

أشار القاضي التنوخي إلى مصعب الزبيري وكتابه نسب قريش بقوله:" حدثنا أحمد بن عبد الله بن الورّاق في كتاب نسب قريش" [3]، وتدور الروايتان اللتان أخذهما عنه حول الكرم والرجال الموصوفين فيه أمثال: الحكم بن عبد المطلب بن حنظلة الذي كان يتولى المشاعر في البيت الحرام[4]، ودعم هذا الخبر بقوله:" وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه الفرج بعد الشدّة بغير إسناد على قريب من هذه العبارة" [5]. ومحمد بن المنكدر، الذي حجّ، فأعطى " حتى بقي في إزار واحد" [6].

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص9، ص10، ص15، ص52، ص53، ص79، ص86، ص87، ص88، ص90، ص109، ص15، ص123، ص129، ص131، ص132، ص136، ص137، ص138، ص145، ص146، ص147، ص148، ص175، ص195، ص197، ص254، ص255، ص256، ص258، ص259، ص260، ص261، ص263، ص265، ص266، ص268، ص273، ص274، ص275، ص276، ص288، ص290، 305، ص318؛ ج2، ص164، ص233، ص329؛ ج4، ص56، ص71، ص119؛ ج5، ص27، ص29، ص46.

[2]) أنظر ترجمته: البخاري، التاريخ الكبير، ج3، ق1، ص211ابن بكار، جمهرة، ص203، ابن سعد، الطبقات، ج5، ص439؛ المرزباني، نور القبس، ص318، الخطيب، تاريخ، ج13، ص114، ابن الأثير، اللباب، ج1، ص496.

[3]) الفرج، ج3، ص211.

[4]) المصدر نفسه، ج3، ص211، وردت هذه الرواية في كتاب نسب قريش، ص339 -340.

[5]) الفرج، ج3، ص213.

[6]) المصدر نفسه، ج3، ص215، لم ترد في كتاب نسب قريش.

2. كتابي الوزراء، والعَمْرين، لأبي عبد الله محمد بن داوود بن الجراح [1] (ت 296هـ/908م)

أخذ التنوخي عن ابن الجراح رواية واحدة من كتاب الوزراء وهي نتحدث عن خروج سليمان بن وهب من حبس الواثق وأورد فيها أبياتاً من الشعر أرسلها سليمان بن وهب إلى أخيه الحسن منها:

هــل رســولٌ وكيف لــي برســولٍ إن لـيـلي لـيـل الـسـقيم الـعـليل

هــل رســولٌ إلى أخــي وشــقيقي لـيـت أنّي مـــكان ذاك الرسول

يـــا أخـــي لو تـرى مكاني في الحـ ـبــس وحــالي وزفرتي وعويلي

وأشار إلى إسناد هذه القصة في كتاب الوزراء بقوله:" حـدثني أبـو القاسـم عبيـد الله بن سليمان" [2]. ومن كتاب العَمْرين، الذي هو رسالة كتب فيها ابن الحرج إلى أبي أحمـد يحيى بن علي المنجم، فيمن سمي من الشعراء عمر في الجاهلية والإسلام. نقل عنه رواية في نسب الشاعر عمرو بن دويره البجلي[3].

3. المبيضة في أخبار مقاتل آل أبي طالب، لأبي العباس أحمد بـن عبيـد الله بـن محمـد بن عمار الثقفي الكاتب المعروف بحمار العزير[4] (ت 314هـ أو 329هـ/926م أو 946م) (946م)

---

[1]) أنظر ترجمته: النديم، الفهرست، ص142، مسكويه، تجارب، ج1، ص2، عريب، صـلة، ص، 31 الخطيـب، تـاريخ، ج5، ص255؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص89؛ الصفدي، الوافي، ج3، ص62.

[2]) الفرج، ج2، ص264؛ أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد، استوزره المعتز والمهتدي والمعتضـد ثـم نقـم عليـه الواثـق فحبسه سنة (265هـ/879م) هو وابنه عبيد الله، ثم صولحا، وعاد مرة أخرى ونقم عليه وبقي في السجن حتى وفاته سنة (272هـ/885م) . ابن الطقطقا، الفخري، ص242 وما بعدها.

[3]) الفرج، ج4، ص308.

[4]) كان ابن عمار كثير السخط، فقال له ابن الرومي: إني قد سميتك العزير، فقال ابن عـمار: وكيـف وقعـت لي عـلى هـذا الاسم. قال: لأن العزير خاصم ربه بأن سفك من دماء بني إسرائيل على يدي نبوخذ نصر سبعين ألف دم، فأوحى الله إليه، لئن لم تترك مجادلتي في قضائي، لأمحونك من ديوان النبوة. ياقوت، معجم الأدبـاء، ج1، ص364. أنظـر ترجمتـه: النديم،

أشار إليه القاضي التنوخي بقوله:" حدثنا أبو محمد عبد الرحمن الوراق بكتاب المبيضة، لأبي العابس أحمد بن عبد الله بن عمار" [1]، " وحدثنا أبو محمد الأثرم في كتاب المبيضة" [2] ويتضح من عنوان الكتاب والروايات التي أخذها منه التنوخي أنه مخصص للحديث عن تاريخ العلويين وثوراتهم، والمحنّ التي تعرضوا لها على أيدي خلفاء بني أميه وبني العباس. أخذ التنوخي من كتاب المبيضة أربع روايات حول موقف الخلفاء العباسيين من العلويين: فالمعتصم ألقى القبض على محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، بعد خروجه عليه بالجورجان وسجنه في الحبس الذي بناه في بستان موسى، وكان القيّم به مسرور مولى الرشيد[3]. أما الرشيد، فإنه لما وجد الناس قد مالت إلى أحمد ابن عيسى بن زيد العلوي أمر بحمله إلى بغداد، وحبسه ولكنه أحسن إليه في سجنه[4]، وتحدث عن ثورة أبي السرايا على الدولة العباسية وغلبته على السواد والأهواز واليمن والحرمين[5]، إضافة إلى رعاية الرشيد للبرامكة[6].

4. مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم، لأبي الحسن علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوّق.

قال التنوخي[7]:" عاش إلى ما بعد ستة عشرين وثلاثمائة، وأخرج إلينا كتاباً قد عمله في أخبار الوزراء كتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم" .

الفهرست، ص166؛ الخطيب، تاريخ، ج4، ص 252، ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص367، الصفدي، الوافي، ج7، ص172.

[1]) الفرج، ج2، ص175.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص180.

[3]) الفرج، ج2، ص175. وكان ذلك سنة (219هـ/834م) وأشار الطبري إلى أن خروجه عليه كان بالطالقان وليس بجورجان. الطبري، تاريخ، ج9، ص7.

[4]) الفرج، ج2، ص180. وأشار الطبري إلى أن ذلك كان سنة (186هـ/802م) ؛ تاريخ، ج8، ص275.

[5]) الفرج، ج4، ص113.

[6]) المصدر نفسه، ج4، ص116.

[7]) المصدر نفسه، ج2، ص172.

وأضاف[1]:" وأخرج إلينا كتاباً قد عمله في أخبار الوزراء، منذ وفاة عبيد الله بن خاقان[2] إلى أخر أيام القاهر بالله[3] أو بعدها" ، أما النديم فأشار إلى أن ابن المطوق " وصل به كتاب محمد بن داوود بن الجراح، وعمله إلى أيام أبي القاسم[4] الكلواذي[5]".

والكتاب كما يظهر من عنوانه، خصصه صاحبه للحديث عن الوزراء وأخبارهم ودورهم في الحياة السياسية والاجتماعية.

وأشار التنوخي إلى الكتاب بطرق مختلفة كقوله[6]:" ذكر مصنّفو الكتب، وأصحاب التواريخ، وأبو الحسن علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق، على ما أخبرني به أحمد بن يوسف التنوخي في كتابه مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم" ، وقوله:" وأعطاني أبو الحسن أحمد بن يوسف هذا الكتاب مناولة" [7].

أما المادة التي أخذها التنوخي من كتاب المناقب فهي ثلاث روايات حول الوزير عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد، وجلوسه للمظالم[8]، وصورة من صور التنافس على السلطة، والإيقاع بالخصوم كما فعل القاسم بن عبيد الله، الذي اعتقل أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام، صهر الوزير حامد بن العباس، لأشياء كانت في نفسه عليه[9]. وقصة وقصة خلع الخليفة المقتدر للمرة الثانية، ثم عودته إلى الحكم مرة أخرى، وفي هذه القصة حشد التنوخي أكثر من مصدر لروايته قوله:" ذكر أصحاب التواريخ ومصنّفو الكتب وأبو الحسن علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق، على ما أخبرني

---

[1]) المصدر نفسه، ج2، ص172.

[2]) استوزره المتوكل، ثم المعتمد وكانت وفاته سنة 263هـ/876م. ابن الطقطقا، الفخري، 251

[3]) كانت وفاة الخليفة القاهر سنة 322هـ/933م. ابن الطقطقا ، الفخري، ص276.

[4]) أبو القاسم عبيد الله بن محمد استوزره الخليفة المقتدر بعد ابن مقلة سنة 318هـ/930م ومدة وزارته كانت شهرين، ابن الطقطقا، الفخري، ص273.

[5]) النديم، الفهرست، ص143.

[6]) الفرج، ج3، ص193. الكتاب مفقود.

[7]) الفرج، ج2، ص172.

[8]) المصدر نفسه، ج2، ص92.

[9]) المصدر نفسه، ج2، ص172.

به أحمد بن يوسف بن يعقوب التنوخي في كتابه مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم، وما شاهده أحمد بن يوسف من ذلك، وجماعة حدثوني به، ممن شاهد الحال... بالسبب في خلع المقتدر عن الخلافة، الخلع الثاني، بعبارات مختلفة، معنى جميعها أن الجيش كله الفرسان والرجالة شغبوا يطلبون الزيادات وملّوا أيام المقتدر وبغوا عليه بأشياء" .[1]

وأشار إلى أن المدبر للأمر كله كان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، ونازوك، بمساعدة مؤنس الخادم.[2]

5. تاريخ الوزراء والكتاب، لأبي عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله[3] المعروف بالجهشياري[4] (ت331هـ/942م).

أشار التنوخي إلى كتاب الوزراء بطرق عدة نحو قوله:" قال محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء[5]" ، " وذكر هذا الخبر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء[6]" ، " وذكر هذا الخبر محمد بن عبدوس في كتابه[7]" .

وكان هذا الكتاب من الكتب التي أكثر التنوخي من النقل عنها، فقد نقل عنه في ثلاثة وثلاثين موضع[8]، والملاحظ على الروايات أن غالبيتها، تتحدث عن أحداث

---

[1]) المصدر نفسه، ج3، ص193.

[2]) المصدر نفسه، ج3، ص 195.

[3]) انظر ترجمته : النديم الفهرست، ص141، النشوار، ج8، ص87 ، مسكويه ، تجارب، ج1، ص269، ياقوت، الأدباء، ج6، ص2568، ابن الأثير، الكامل، ج8، ص214 ، ابن خلكان، وفيات، ج7، ص25 الصفدي، الوافي، ج3، ص205؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص332.

[4]) الجهشياري: نسبة إلى جهشيار، فإن أباه كان يخدم أبا الحسن علي بن جهشيار حاجب الموفق، وكان خصيصاً به، فنسب إلية. ياقوت، معجم الأدباء، ج6، ص2569.

[5]) الفرج، ج1، ص237.

[6]) المصدر نفسه، ج1، ص249.

[7]) المصدر نفسه، ج2، ص215.

[8]) المصدر نفسه، ج1، ص102، ص237، ص243، ص249، ص321، ص367، ص369، ؛ ج2، ص124، ص125، ص127، ص215، ص230، ص259، ص264، ص346، ص351، ص355، ص357؛ ج3، ص243، ص326، ص329، ص356، ص358؛ ج4، ص8، ص10، ص13، ص17، ص43، ص125، ص270، ص418.

وقعت في عهد الخليفة المأمون، من ذلك: الفتنة بين الأمين والمأمون، وخروج إبراهيم بن المهدي على المأمون، وأخبار عن حيطة الخليفة المأمون، ومتابعته لشؤون الولايات. أما بقية الروايات فهي تتناول أخبار عدد من الخلفاء بعد المأمون أمثال: المعتصم ومعاقبته لبعض الولاة، وقصة الخلاف بين المستعين والمعتز، وأخبار ولاة بعض الأقاليم.

وتنبع أهمية الروايات التي نقلها التنوخي من كتاب الوزراء في أنه حفظ للباحثين بعض روايات كتاب الوزراء، خاصة أن المنشور من الكتاب لا يتجاوز أحداث سنة (202هـ/817م)، وهي سنة وفاة الفضل بن سهل وزير المأمون، وأن جميع الأحداث بعد ذلك ليس لها ذكر في المنشور من الكتاب. وأن ورود بعض روايات الوزراء في كتاب الفرج يساهم في إعادة بناء الكتاب من جديد. وهذا ما قام به ميخائيل عواد عندما جمع النصوص الضائعة من الروايات ونشرها تحت عنوان:" نصوص ضائعة من كتاب الوزراء"
.

وبلغ عدد الروايات التي وردت في الفرج وليس لها ذكر في المنشور من كتاب الوزراء اثنتين وعشرين رواية[1].

6. كتابي الأوراق والوزراء، لأبي بكر محمد بن يحيى الصّولي[2] (ت335هـ/946م).

أ- كتاب الأوراق[3]

هو مجموعة أخبار نفيسة في الآداب والتاريخ، سُمِّي هذا الكتاب بكتاب الأوراق في أخبار آل العباس وأشعارهم، لأنه يعرض فيه أخبار كل خليفة بالتفصيل في أوراق

---

[1]) وتلك الروايات هي: الفرج، ج1، ص102، ص237، ص243، ص249؛ ج2، ص124، ص125، ص127، ص215، ص230، ص259، ص264، ص346، ص355؛ ج3، ص81، ص232، ص256؛ ج4، ص8، ص13، ص17، ص43، ص125، ص418، وما تبقى من الروايات موجود في المنشور من كتاب الوزراء في ص166، ص167، ص169، ص182، ص183، ص184، ص191، ص219، ص273، ص302، ص314.

[2]) انظر ترجمته في الفصل الأول تحت عنوان: شيوخه ومؤدبوه.

[3]) نشر هيورث. د.ن ثلاث قطع من كتاب الأوراق عن دار المسيرة، بيروت، 1979م؛ ونشر هلال ناجي قطعة أخرى من كتاب الأوراق، بغداد، 1990.

كثيرة، خلافاً لمحمد بن داوود الجراح (ت 296هـ/908م)، الذي ألف كتاب سماه الورقة، وجعل لكل خليفة ورقة واحدة[1].

أشار إلية التنوخي بقوله[2]:" وذكر أبو بكر الصّولي هذا الخبر، في كتابه المسمى بالأوراق الداخل فيما أجاز لي روايته، بعدما سمعته منه" .

نقل عنه التنوخي رواية واحدة[3]، دارت حول قتل الخليفة هارون الرشيد لأسيرين، بتقطيعهما عضواً عضواً، بعد إنكارهم للكتب السرية التي بعث بها الأمين إلى الفضل بن الربيع، يأمره فيها بالعودة إلى بغداد إذا توفي الخليفة الرشيد، والاحتياط على ما في خزائنه، وحملها إليه.

ب- كتاب الوزراء

أشار إليه الصّابئ بقوله[4]:" وصنع أبو بكر الصّولي في مثل ذلك -يقصد أخبار الوزراء- كتاباً ما كان إلى أخر أيام القاسم بن عبيد الله، لكنه ملأه بالحشو، وكسفه بشعره البارد" .

وغلب على الروايات العشرة [5] التي نقلها التنوخي من كتاب الوزراء عفو الخليفة المأمون عن الذين أساؤا إليه، أمثال الفضل بن الربيع وكان سبب غضبه عليه أنه خالف وصية الرشيد التي أوصاه بها إذا مات، في حمل خزائنه وأمواله إلى ابنه المأمون، فقام الفضل بحملها إلى الأمين ببغداد. ومن الشعراء الذي عفى عنهم الشاعر دعبل الخزاعي. بعد أن كان قد هجاه، كما أشار إلى حال المنكوبين من الوزراء والكتاب وتعذيبهم لأجل الإقرار بأموالهم، كما نقل عنه كلمات في الصبر، وأبيات في طلب الفرج.

---

[1]) النديم، الفهرست، ص142.

[2]) الفرج، ج3، ص362.

[3]) المصدر نفسه والصفحة وهذه الرواية غير موجودة فيما نشر من كتاب الأوراق.

[4]) الصّابئ، تحفه، ص2.

[5]) الفرج، ج1، ص168، ص308، ص311، ص382، ص384، ص386؛ ج2، ص16؛ ج3، ص246؛ ج4، ص110؛ ج5، ص15.

7. كتاب الأغاني المعروف بشجا، لإسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي[1]

قال النديم:[2] " قرأت بخط أبي الحسن علي بن محمد بن عبيد الأسدي، حدثني فضل بن محمد اليزيدي قال: كنت عند إسحاق بن إبراهيم، فجاء رجل فقال يا أبا محمد، أعطني كتاب الأغاني، فقال أيما كتاب؟ الذي صنّفته، أو الكتاب الذي صنّف لي - يعني بالذي صنّفه كتاب أخبار المغنين واحداً واحداً، والكتاب الذي صنّف له كتاب الأغاني الكبير الذي بين أيدي الناس" .

أما ياقوت فقال:" قرأت في كتاب ألف في أخبار أبي زيد البلخي، أنّ أبا زيد وقد ذُكر كتاب الأغاني لإسحاق فقال: ما رأيت أعجب من الموصلي، جمع علم العرب والعجم في كتاب، ثم أفسده بالاسم" .

وقد سماه باسم جارية كانت له، أهداها للخليفة الواثق بالله[3]. ولكن ابنه حماد حاول نفي نسبة الكتاب إلى والده بقوله:" ما ألف أبي هذا الكتاب قط، يعني كتاب الأغاني الكبير، ولا رآه، والدليل على ذلك أن أكثر أشعاره المنسوبة إنما جمعت لما ذكر معها من الأخبار، وما غنى بها إلى وقتنا هذا وأن أكثر نسبة المغنين خطأ، والذي ألفه والدي من دواوين غنائهم يدل على بطلان هذا الكتاب، وإنما وضعه ورّاق كان لأبي، بعد وفاته سوى الرخصة التي هي أول الكتب، فكان أبي قد ألّفها إلا أن أخباره كلها من روايتنا" [4]. ومع ذلك فالكتاب ثابت النسبة لإسحاق على ما ذكرته كتب التراجم.

أخذ التنوخي عن كتاب الأغاني في موضعين، وهي عبارة عن أبيات شعرية في الفرج بعد الشدّة ، والصبر على المصائب[5].

---

[1]) أنظر ترجمته: النديم، الفهرست، ص157، السمعاني، الأنساب، ج5، ص407؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص595، ابن خلكان، وفيات، ج1، ص202، ص204، القفطي، إنباه، ج1، ص216.

[2]) النديم، الفهرست، ص158.

[3]) ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص615، والكتاب مفقود.

[4]) الأصبهاني، الأغاني، ج1، ص5؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص ص615-616.

[5]) الفرج، ج5، ص35، ص66.

8. كتاب الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني[1] (ت356هـ/966م)

أشار التنوخي إلى أخذه من كتاب الأغاني بقوله[2]:" وقد ذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الكبير، كتاب الأغاني، الذي أجازه لي في جملة ما أجاز" .

ونقل عنه خمس روايات في مجملها تقع تحت عنوان " من ألجأه الخوف إلى هرب واستتار، فأبدل بأمن" ، منها: غضب الخليفة هارون الرشيد على أحد المقربين وهو الحسين بن الضحاك، وحجبه عنه، فكتب الحسين أبياتاً يعتذر فيها للخليفة الرشيد، فلما سمعها الخليفة، رضي عنه، وأمر بإدخاله إلى حضرته[3]. وقصة الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمّن أحد الخارجين عليه وهو عبيد الله بن قيس الرقيات بعد غضبه عليه[4]. إضافة إلى أخبار قيس ولبنى وحبهما[5]، وأبيات شعرية حول قيمة الحب في الحياة[6].

9. كتاب الأبيات السائرة، لأبي المنهال عيينة بن عبد الرحمن المهلّبي.

ذكره ياقوت نقلاً عن الحاكم أبي عبد الله في تاريخ نيسابور فقال[7]:" عيينة بن بن عبد الرحمن أبو المنهال اللغوي المهلّبي، صاحب العربية، تلميذ الخليل، أحد مؤدبي الأمير أبي العباس عبد الله بن ظاهر بن الحسين، ورد معه نيسابور، وتوفي فيها" . ولم نجد في كتب التراجم غير هذه المعلومات عن حياته . أخذ التنوخي عن ابن المنهال من كتاب الأبيات السائرة في ثلاثة مواضع وهي عبارة عن مقطوعات شعرية في معنى الفرج بعد الشدّة[8] .

---

1) انظر ترجمته في الفصل الأول تحت عنوان: شيوخه ومؤدبوه.

2) الفرج، ج1، ص331.

3) المصدر نفسه والصفحة. وردت في الأغاني، ج7، ص167، ولكن اسم الخليفة في القصة هو المعتصم بالله.

4) الفرج، ج4، ص ص281-286، وردت في الأغاني، ج5، ص76-ص82.

5) المصدر نفسه، ج4، ص ص383-392.

6) المصدر نفسه، ج5، ص43، ص98، وردت في الأغاني، ج10، ص176.

7) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص2151؛ القفطي، إنباه، ج2، ص239.

8) الفرج، ج5، ص24، ص90، ص98.

نظراً لطبيعة الروايات التي اعتمدها التنوخي، كان لا بد له من الاستشهاد بالشعر، ومن هنا فقد كانت بعض الدواوين من مصادره، وأبرزها:

10. ديوان الحماسة، لأبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت 231هـ/845م)

نقل التنوخي عنه في ثلاثة مواضع، فيما أختاره من ملح الأشعار، تدخل في معاني الأقدام والشجاعة[1]، وأبيات حول التواضع[2]، وأخرى حول العفو عند المقدرة[3].

ورغم أن التنوخي شرط على نفسه في مقدمة كتابه النشوار أن لا ينقل شيء من رواياته من أصلٍ مكتوب إلا أنه استثنى الشعر بقوله:" وعلى أني وإن كنت أتجنب بجهدي أن أثبت فيها شيئاً، قد كتب قبلي إلا الشعر، فإنه غير داخلٍ في هذا الأمر" [4]، لذلك فقد أورد قصيدة لأبي الفرج الببغا يمدح فيها سيف الدولة الحمداني بعد حربٍ له مع بني كلاب، والتي مطلعها:

إذا استلك الجانون أغمدك الحلم وإن كفّك الإبقاء أنهضك العزم

وأضاف:" وهي حقيقة بأن تورد كلها، ولكني اخترت من شعره، ما يصلح للمكاتبة في الحوادث أو الأمثال، أو معنى لم يسبق إليه، فتركت أكثر محاسن شعره... موكلاً إلى من ينظر في ديوانه" [5].

11. كتاب الفرج بعد الشدّة، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي سيف المدائني[6] (ت225هـ أو 226هـ/839-840م)

قال التنوخي أنه وقف في بعض محنّه على كتاب الفرج بعد الشدّة[7]، وأنه وجده لم يزد على خمس أو ست أوراق، " تشتمل على أخبار تدخل في معنى الفرج بعد الشدّة،

---

[1]) الفرج، ج1، ص165، وردت في ديوان الحماسة، ص24.

[2]) الفرج، ج5، ص9، وردت في ديوان الحماسة، ص57.

[3]) الفرج، ج3، ص345، وردت في ديوان الحماسة، ص36.

[4]) النشوار، ج1، ص13.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص 103.

[6]) أنظر ترجمته:النديم, الفهرست, ص133, الخطيب، تاريخ، ج8، ص54؛ السمعاني، الأنساب، ج5، ص232؛ ابن الأثير، اللباب، ج2، ص113, ياقوت, معجم الأدباء, ج4, ص1852, الصفدي, الوافي, ج22, ص41, الدوري, بحث, ص39.

وأنه وجدها حسنه، ولكنها لقلتها أنموذج صبره، فلم يأت بها ولا سلك فيها سبل الكتب المصنّفة" [1].

نقل التنوخي عنه في كتاب الفرج أربع عشرة رواية[2]، ركزت تلك الروايات على العصر الأموي، وشملت أخبار بعض الخلفاء أمثال: معاوية بن أبي سفيان، والوليد بن عبد الملك، وأخبار ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي واخية محمد بن يوسف، إضافة إلى أدعية في طلب الفرج وقصص لبعض المنامات.

12. كتاب فضائل الورد على النرجس، لأبي الفضل أحمد بن أبي طيفور الكاتب

استخدمه القاضي التنوخي ليؤكد ما أخذه من رسالة ابن لنكك والتي تحمل نفس العنوان " فضائل الورد عل النرجس" ، حيث قال[3]:" ووجدت كتاباً لأحمد بن أبي طاهر، سماه كتاب فضائل الورد على النرجس، أكبر قدراً، وأعز فائدة من كتاب ابن لنكك، فوجدته قد ذكر الخبر" .

يستطيع الباحث أن يخلص إلى أن هذا الكتاب موضوع في أنواع الورد، وأوصافه، وفضائله التي فاق بها النرجس، والرواية الوحيدة التي أخذها منه التنوخي كانت حول من سمى من العرب ابنته وردة[4].

13. كتاب فيمن رثى مالا يرثى مثله، لأبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن يحيى اليزيدي[5](ت 310هـ/922م).

يظهر أن كتاب فيمن رثى مالا يرثى مثله[6] هو من نوع كتب الطرائف، فهو ليس في مراثي البشر، بل في " مراثي البهائم والنبات، والأعضاء وما شابه" [1].

---

[7]) ذكره النديم ضمن كبته، والكتاب مفقود.

[1]) الفرج، ج1، ص53.

[2]) المصدر نفسه، ج1، ص171، ص286، ص304، ص395، ص396، ص397، ص398؛ ج2، ص328، ص330؛ ج3، ص206؛ ج4، ص73، ص121.

[3]) الفرج، ج4، ص413.

[4]) الفرج، ج4، ص413.

[5]) سمي باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور خال المهلّبي.أنظر ترجمته: النديم، الفهرست، ص56, الخطيب، تاريخ، ج3، ص113؛ السمعاني، الأنساب، ج5، ص693 ابن خلكان, وفيات، ج4، ص339, الذهبي، سير، ج14، ص361.

أخذ عنه التنوخي قصيدة نسبها اليزيدي إلى أبي الحسين بن أبي البغل الكاتب، رثى بها سنوار له لما حبس، وتزيد القصيدة على مائة وخمسين بيتاً[2]، إضافة إلى مقطوعة شعرية في باب الفرج[3].

14. كتاب الفرج بعد الشدّة، للقاضي أبي الحسين عمر بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 328هـ/939م).

يقول التنوخي[4]:" وقرأت أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف القاضي -رحمهم الله- في مقدار خمسين ورقه قد سماه كتاب الفرج بعد الشدّة، أودعه أكثر ما رواه المدائني، وجمعه، وأضاف إليه أخباراً أخر، أكثرها حسن" .

وأضاف صاحب كشف الظنون:" ولأبي الحسين عمر بن محمد بن يوسف الفقيه المالكي القاضي المتوفي سنة (328هـ/939م) كتاب عنوانه الفرج بعد الشدّة، وهو أول من صنّف فيه" [5].

نقل عنه التنوخي اثنتين وأربعين رواية[6]، شملت أخباراً من العصر: الجاهلي، والأموي، والعباسي. فمن العصر الجاهلي حروب القبائل العربية فيما بينها من أجل

---

[6]) لم يرد هذا الكتاب ضمن كتب اليزيدي التي أوردها النديم، الفهرست، ص56. كما لم يذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون، ولا البغدادي في هدية العارفين. وجميع كتبه مفقودة.

[1]) الفرج، ج5، ص65.

[2]) المصدر نفسه والصفحة.

[3]) المصدر نفسه، ج5، ص66.

[4]) الفرج، ج1، ص53.

[5]) حاجي، خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1253.

[6]) الفرج، ج1، ص171، ص172، ص177، ص264، ص296، ص299، ص304، ص307، ص404؛ ج2، ص206، ص331، ص332؛ ج3، ص214، ص216، ص217، ص218؛ ص219، ص222، ص224، ص227، ص228، ص233، ص234، ص238، ص241، ص259، ص271، ص273، ص281، ص283، ص285، ص293، ص297؛ ج4، ص84، ص126؛ ج5، ص94، ص95، ص96، ص97، ص100.

السلب كما بين غطفان وبني زبيد، ومن العصر الأموي: أخبار بعض الخلفاء أمثال: يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك، ومن العصر العباسي أخبار عن الخلفاء: الرشيد والمأمون، وأخبار بعض كرماء العرب، وأحداث عن حياة بعض العلماء والرواة أمثال: وهب بن منبه، والواقدي، وأخبار الوزير يعقوب بن داوود، والوزير محمد بن عبد الملك الزيات.

15. كتاب السمار والندامى، لأبي علي محمد بن الحسن بن جمهور العمي[1]. سماه صاحب هدية العارفين " بالندماء والسمار " [2]. وكما يظهر فهو كتاب في السمر والغناء ومجالس الطرب.

أخذ التنوخي عنه رواية واحدة حول إحدى الجواري التي اشتراها الرشيد بمائة ألف درهم[3]

16. رسالة في فضل الورد على النرجس، لأبي الحسين محمد بن محمد بن جعفر البصري، والمعروف بابن لنكك[4].

أبو الحسين شاعر مجيد، أثنى عليه الثعالبي في اليتيمة وأورد طائفة من أشعاره، وقال عنه:" إنه فرد البصرة، وصدر أدبائها، وبدر ظرفائها، وأكثر شعره ملح وطرف، وجلها في شكوى الزمان وأهله. وكان ابن لنكك في جملة الشعراء الذين هجوا الشاعر المتنبي عندما قدم بغداد[5].

نقل عنه التنوخي رواية واحدة[6]، فيمن سمى ابنته من سائر العرب وردة.

17. كتاب الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م).

---

1) أنظر ترجمته في الفصل الأول تحت عنوان: شيوخوه ومؤدبوه.

2) البغدادي، هدية العارفين، ج6، ص10. الكتاب المفقود.

3) الفرج، ج4، ص337.

4) جاء في وفيات الأعيان أن لنكك، لفظ أعجمي، معناه: أعيرج، تصغير أعرج. ج5، ص382.

5) المصدر نفسه، ج2، ص412.

6) الفرج، ج4، ص ص411-413.

يتضح من وصف ياقوت للكتاب، بأنه كتاب في تربيةً وتهذيب النفوس ، وما يجب أن تكون عليه من الفضل والورع والإخلاص والخضوع، وهو " مشتمل على علوم الدين والفضل والورع والإخلاص والشكر، والكلام في الرياء والكبر، والتخاضع والخشوع والصبر، والأمر بالمعروف والنهي " عن المنكر" [1]. وأضاف ياقوت " وبدأ فيه بالكلام في الوسوسة وأعمال القلوب، ثم ذكر شيئاً كثيراً من الدعاء وفضل القرآن، وأوقات الإجابة ودلائلها، وما روي من السنن، وأقوال الصحابة والتابعين في ذلك[2].

كان أبو جعفر الطبري قد بدأ بتأليف الكتاب مع مطلع سنة (310هـ/922م) ولكنه مات قبل إتمام إملائه على طلابه، حيث كان قد أتمّ منه أربعة أجزاء[3].

وكان أبو جعفر الطبري يقول:" إذا خرج هذا الكتاب -يقصد الآداب النفيسة- كان فيه جمال، لأنه أراد أن يخرج بعد الكلام في الحقوق اللازمة للإنسان، إلى ما يفيدنا منه من أهوال القيامة وشروطها، وأحوال الآخرة، وما ورد فيها، وذكر الجنة والنار" [4].

نقل التنوخي من كتاب " الآداب النفيسة" روايتين حول ما جاء في الأثر من ذكر الفرج بعد الشدّة وهما: وصية رجل صالح لأبنائه بأن لا يناموا إلا على طهارة فإنه إذا أصابهم هم فرجه الله عنهم[5]، ودعاء إذا دعى العبد به، أذهب الله عنه كربه[6].

ثالثاً. الروايات الشفوية

اعتمد القاضي التنوخي بشكل كبير على الروايات الشفوية في كتبه، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتاب النشوار بقوله[7]:" هذه ألفاظ تلقطتها من أفواه الرجال، وما

---

1) ياقوت، معجم الأدباء، ج6، ص2461.
2) المصدر نفسه، ج6، ص2460.
3) المصدر نفسه والصفحة.
4) ياقوت، معجم الأدباء، ج6، ص2460.
5) الفرج، ج1، ص97.
6) المصدر نفسه، ج1، ص130.
7) النشوار، ج1، ص1.

دار بينهم في المجالس، وأكثرهم مما لا يكاد يتجاوز به الحفظ في الضمائر إلى التخليد في الدفاتر، وأظنها ما سبقت إلى كُتْبِ مثله، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه وشكله، والعادة جارية في مثله، أن يحفظ إذا أسمع ليذاكر به إذا جرى ما يشبهه ويقتضيه، وعرض ما يوجبه ويستدعيه" .

وأمام هذا الواقع فقد نقل التنوخي عن ما يزيد على مائة وخمسين راوياً. وفي نقله هذا لا يكتفي بذكر اسم الراوي فقط، بل يذكر كنيته ولقبه ومهنته وبلده ومذهبه، إضافة إلى بعض المعلومات الهامة عن حياة بعضهم.

والمأخذ الوحيد على التنوخي في هذا الشأن، أنه كان يذكر اسم الراوي مختصراً في بعض الحالات أو ذكر كنيته أو اللقب دون الإشارة إلى اسمه كاملاً، مما يجعل من الصعوبة التعرف إلى شخصية هؤلاء الرواة، والترجمة لهم، ومن الأمثلة على ذلك قوله:" حدثني ابن دية الأنماطي[1]"، " حدثني أبو طلحة الحذاء[2]، " حدثني ذو النون بن موسى البصري[3]" ، " حدثني محمد بن عيسى[4]، حدثني أبو بكر الثقفي[5]، " أخبرنا أبو العلاء الدلال" [6].

لم يقتصر التنوخي في روايته على فئة اجتماعية معينة، بل امتدت لتنال جميع فئات المجتمع فمنهم: الأمراء، والوزراء، والحجاب، وعمال الولايات، والقضاة، والكُتّاب، والفقهاء، والمحدّثين، والأدباء، والنّحاة والشعراء، و أصحاب المهنّ: كالدلال، والحذاء والصوفي، ولا يخفى على أحد أن هؤلاء كانوا يحصلون على النوادر والأحداث بصورة سهلة عن طريق الرواة الذين يترددون عليهم يومياً. كما اعتمد التنوخي -وإن كان في حالات قليلة-على النساء كمصدر من مصادره الشفوية.

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص311.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص211.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص329.

[4]) المصدر نفسه، ج8، ص72.

[5]) الفرج، ج1، ص276.

[6]) المصدر نفسه، ج3، ص333.

ومن الملاحظ أن القاضي التنوخي أكثر في الأخذ عن العلماء بمختلف العلوم عن غيرهم، ولعل ذلك يعود إلى التصاقه بهذه الفئة من جهة، وبحكم عمله من جهة أخرى.

أن التنوع في المصادر التي استخدمها القاضي التنوخي لم يكن مصادفة بل كان هو ما يهدف إليه، خاصة أن جميع مؤلفاته تؤرخ لحالة المجتمع في عصره. وتنوع هذه المصادر عكس طبيعة الحياة الاجتماعية لجميع فئات المجتمع من حيث حياة البذخ والرفاهية التي كانت تعيشها الطبقة الحاكمة وأصحاب الثراء من جهة، وحياة البؤس والحرمان التي كانت تعيشها الطبقة الدنيا من المجتمع من جهة أخرى.

وكان لكثرة عدد الرواة الذين استقى التنوخي منهم رواياته،رأى الباحث أن يتناول هؤلاء الرواة وطبيعة رواياتهم بمسارين: الأول تناول الرواة الذين أكثر التنوخي في الرواية عنهم، وقد حدد الباحث أربع روايات رواها التنوخي عن الراوي لأدراج الراوي في هذا المسار. وخُصص المسار الثاني لمن أقّل التنوخي في الرواية عنه، وأدرج هؤلاء بجدولٍ .

1. أبو القاسم إبراهيم بن أحمد بن محمد الجهني القاضي(ت بعد356هـ[1]/966م) من أهل البصرة، تولى فيها القضاء، ثم تولى الحسبة، وصحب الوزير أبا محمد المهلّبي[2]. أتهمه ياقوت بالكذب بقوله[3]:" يشتمل على آداب تميز بها، إلا أنه كان فاحش الكذب" .

أخذ عنه التنوخي سبع روايات في النشوار[4]. تناولت تلك الروايات نماذج من إسراف الخلفاء المتوكل والمقتدر، وبعض عمال الدولة، والتنافس بين رجال الدولة وبحثهم عن عيوب بعضهم، والحسبة وأعمال المحتسب، وبعض الصور الاجتماعية كالصداقة والعشق.

2. أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي[5](ت360هـ[6]/970م)

---

[1]) ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص 1718.

[2]) النشوار، ج2، ص108؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص1718؛ الصفدي، الوافي، ج21، ص24.

[3]) ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص1718.

[4]) النشوار، ج1، ص263، ص295؛ ص301، ص338؛ ج2، ص36، ص105، ص108.

[5]) رامهرمز: أحد كور الأهواز من بلاد خوزستان. السمعاني، الأنساب، ج3، ص30.

من أهل الحديث، تولى القضاء في أكثر من مكان، ثم عاد واستقر في بلاده رامهرمز إلى أن توفي.[1]

ترك مجموعة من التآليف، سلك بها طريقة الجاحظ في الكتابة منها: ربيع المتيم في أخبار العشاق، وكتاب الفلك في مختار الأشعار، والنوادر والشوارد، وكتاب أدب الناطق وكتاب الرثاء والتعازي[2].

أخذ عنه التنوخي ست روايات في الفرج[3]. رواية تضمنت حديثاً عن النبي -صلى الله علية وسلم- حول الاستغفار، وروايتين من العصر العباسي تحدثت عن علاقة المنصور بالعلويين، وقصة عن كرم البرامكة، إضافة إلى مقطوعات شعرية في معنى الفرج، والصبر على المحنّ.

3. أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الأيذجي[4] (ت بعد 360هـ[5]/970م)

كان يخلف أبا القاسم علي التنوخي -والد التنوخي- على القضاء بأيذخ ورامهرمز، ثم تقرب من الوزير أبي محمد المهلّبي في وزارته، فعلا شأنه عنده[6].

وكان في حداثته قد ورد البصرة، فكتب وتأدب على علمائها[7].

أخذ عنه التنوخي أربع روايات في النشوار[8]، دارت حول موت أبي هاشم الجبائي رئيس المعتزلة ببغداد، وأبيات شعرية من نظم الوزير المهلّبي، وأبيات أخرى من نظم أبي عبد الله بن محمد المفجعي الشاعر.

4. أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث الجوهري

---

[6]) ابن العماد، شذرات، ج4، ص311 .

[1]) المصدر نفسه والصفحة.

[2]) النديم، الفهرست، ص172.

[3]) الفرج، ج1، ص24، ص180؛ ج4، ص339؛ ج5، ص13، ص88.

[4]) إيذج: كورة من كور الأهواز السبعة. السمعاني، الأنساب، ج1، ص236.

[5]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص 2175.

[6]) المصدر نفسه، ج5، ص2175.

[7]) ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص 2175.

[8]) النشوار، ج1، ص209؛ ج3، ص287، ص289؛ ج5، ص206.

تولى قضاء سوق الأهواز نيابة عن أبي القاسم التنوخي - والد المُحسِّن- وكان من ندماء الوزير سليمان بن مخلد[1] وزير المقتدر[2].

ونتيجة لقرب التنوخي منه بحكم عمله كخليفة لوالده على القضاء بسوق الأهواز فقد أكثر في الأخذ عنه حيث روى عن أبي الحسين الجواهري في كتاب النشوار ستاً وثلاثين رواية[3]، تركزت حول المصادرات التي كانت تستوفى من المنكوبين، وطرق التعذيب من أجل إقرار المصادر بأمواله المخفية، وشملت تلك المصادرات الوزراء، القضاة والكتاب، والتجار، وروايات حول الوزراء ومراسم تعيينهم، ومواكبهم لدار الخلافة، وأهمية القضاء في حفظ كيان الأمة، وتعيين القضاة ومراسيم التقليد. إضافة إلى بعض الصور من الفساد الاجتماعي، وبعض الأحداث السياسية التي حلت بالخلافة العباسية كثورة ابن المعتز، ودخول أبي طاهر القرمطي مكة ونهبها وخلع الحجر الأسود من الكعبة.

6. أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي. (ت بعد 358هـ[4]/ 968م).

ولد ببغداد سنة (301هـ/913م)، قرأ القرآن على أبي مجاهد، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وتلقى علوم اللغة على جده القاضي أبي جعفر بن البهلول، وتقلد في القضاء بالانبار وهيت سنة (320هـ/932م)، كان حافظاً للقرآن الكريم، تفقه على المذهب الحنفي، تقلد القضاء في الأنبار وهيت من قبل والده سنة (360هـ[5]/971م).

---

[1]) استوزره المقتدر بعد عزله لابن مقلة، وبقي وزيراً إلى أن قتل المقتدر، فأخذه الراضي، ثم عزله، ولما ولي المقتفي أقره على الوزارة ثم عزله. ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص338.

[2]) النشوار، ج1، ص249.

[3]) المصدر نفسه، ج1، ص24، ص25، ص57، ص63، ص64، ص75، ص78، ص122، ص124، ص162، ص231، ص239، ص240، ص249، ص352؛ ج2، ص55، ص77، ص101، ص117، ص122، ص124، ص130، ص190، ص195، ص197، ص225، ص226، ص314، ص318، ص320، ص322، ص324؛ ج4، ص166؛ ج5، ص80، ج8، ص200.

[4]) وأشار ابن الجوزي إلى أن وفاته كانت سنة 354هـ/964م. ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص30.

[5]) الخطيب، تاريخ، ج12، ص83؛ القرشي، الجواهر، ج2، ص611.

وصفه الذهبي بتحفظ بأنه[1]:" من بحور الأدب والعلم، ولكنه يرى الاعتزال" .

روى عنه خمس روايات في النشوار والفرج[2]، تركزت على الاهتمام بالشؤون الاقتصادية كالزراعة والري، وأثر ذلك في عمران الدولة، ومحاولة السيدة شغب العودة عن وقفها لإحدى الضياع، إضافة إلى عزل الوزير الحسين بن القاسم، وحول عمال الدولة وموظفي الدواوين من الكتاب ومقطوعة شعرية.

7. أبو القاسم علي بن محمد ابن أبي الفهم التنوخي[3] (والده) (ت 342هـ /953م)

أكثر المُحسِّن التنوخي في النقل عن والده، فقد أخذ عنه أربع وستين[4] رواية، ثمان وأربعين في النشوار، وست عشرة رواية في الفرج.

تناولت رواياته مختلف جوانب الحياة فمنها: أخبار الخلفاء: الرشيد والمعتضد واحترامهما للقضاء وأحكام القضاة، والمقتدر وإسرافه، وأخبار بعض الوزراء أمثال: أبي الحسن علي بن الفرات، وعبيد الله بن سليمان، والقضاة، وبعض المحدّثين وقدرتهم على الحفظ، إلى جانب أحداث سياسية، كملاحقة الخليفة المعتضد لوصيف الخادم إلى طرسوس، وحربه للقرامطة، وأخبار بعض العلويين، ورعايتهم من قِبل أل طاهر بن الحسين، وصور من الصراع المذهبي بين الشّيعة والحنابلة، حتى أن الشّيعة كانت لا تستطيع النوح على الحسين بن علي خوفاً منهم، وأخبار بعض الصوفية والزهاد، ووسائل

---

[1]) الذهبي، ميزان، ج5، ص185.

[2]) النشوار، ج1، ص65، ص242، ص255، ص260؛ الفرج، ج2، ص303 ج5، ص59.

[3]) انظر ترجمته في الفصل الأول تحت عنوان: مولده ونشأته.

[4]) النشوار، ج1، ص66، ص82، ص151، ص152، ص245، ص251، ص252، ص254، ص319، ص334؛ ج2، ص9، ص12، ص27، ص28، ص100، ص135، ص137، ص140، ص142، ص216، ص224، ص230، ص233، ص234، ص248، ص270، ص301، ص334، ص349؛ ج3، ص75، ص110، ص125، ص130، ص145، 211، 212، ص217، ص220، ص226، ص255؛ ج7، ص71، ص79، ص84، ص85، ص96، ص97، ص178؛ الفرج، ج1، ص109، ص113، ص117، ص120، ص150، ص175، ص182؛ ج2، ص66، ص230، ص236، ص387؛ ج3، ص230؛ ج4، ص235؛ ج5، ص21، ص38، ص92، ص94.

تسلية كالسباقات والصيد، وتشجيع معزّ الدولة لهذه الرياضات، والمنامات، والعيارين، واللصوص وطرق حصولهم على المال وأخبارا لمخنثين، ومقطوعات شعرية في الفرج.

8. أبو طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسان التنوخي (ت 348 هـ[1]/ 959م).

أنباري الأصل، كان والده على قضاء مدينة المنصور، وكان يخلف والده على القضاء إذا مرض، وهو رجل حسن المذهب، شديد التصرف[2].

أخذ عنه التنوخي أربع روايات في النشوار والفرج[3]، رواية من العصر الأموي ولقاء الحسين بن علي بن أبي طالب بمعاوية بن أبي سفيان، والروايات المتبقية متفرقات من العصر العباسي، منها طريقة تحقيق صاحب الشرطة مع المتهمين، ووصية رجل لأبنته إذا أصابها مكروه.

9. أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة[4] (367 هـ [5]/977).

وصفه الخطيب بقوله[6]:" كان كثير النوادر، حسن الخاطر، عجيب الكلام، يسرع في الجواب المسجوع المطبوع من غير تعمل له، ولا تعمق فيه، لم يسند الحديث" .

روى عنه التنوخي في النشوار[7] ست روايات، شملت العلاقات العباسية مع دولة الروم، ويبرز من خلال تلك العلاقات تأثير الجاثليق المقيم في القدس على إمبراطور الروم. وروايتين حول الوزير علي بن عيسى ونفيه إلى مكة، إضافة إلى روايات حول القضاة وتأنيهم في إصدار الأحكام.

10. أبو محمد يحيى بن محمد الأزدي

---

[1]) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص392.
[2]) المصدر نفسه والصفحة.
[3]) النشوار، ج3، ص214؛ الفرج، ج1، ص251، ص253؛ ج2، ص223.
[4]) قريعة: لقب جده. ابن خلكان، وفيات، ج4، ص384.
[5]) المصدر نفسه، ج4، ص385.
[6]) الخطيب، تاريخ، ج2، ص317؛ الذهبي، سير، ج16، نص326.
[7]) النشوار، ج1، ص117، ص120؛ ج3، ص10، ص11، ص13؛ ج4، ص222.

قاضٍ، وفقيه وشاعر، نقل عنه التنوخي كثيراً من الأخبار. وكان هو وأبوه على صلة متينة بالأمراء الحمدانيين في الموصل[1].

نقل عنه التنوخي ست عشرة رواية[2]، إحدى عشرة في النشوار، وخمس في الفرج، شملت رواياته أخبار بعض الخلفاء كالمعتضد وحيطته، ووسائل التسلية التي مارسها الخلفاء كاللعب بالنرد، وأخبار كرم البرامكة، وأخبار بعض المغنيات كعريب، وقصة العلوية الزمنة (المقعدة)، ومصادرة الوزير ابن مقلة، إضافة إلى بعض المعتقدات الشعبية، وبعض الغرائب والعجائب.

11. أبو بكر أحمد بن عبد الله بن خلف الوراق (ت 379هـ[3]/989م).

محدّث وفقيه، ولد سنة (299هـ/911م)[4]. روى عنه التنوخي خمس روايات[5] واحدة في النشوار، وأربع في الفرج. تراوحت أخباره بين أحداث سياسية كثورة محمد – النفس الزكية- ضد العباسيين، وأحاديث حول الاستغفار، وأبيات شعرية في معنى الفرج.

12. أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن معروف (ت بعد 381هـ /991م).

هو أخو قاضي القضاة عبيد الله بن معروف[6]، وكان قاضياً، نادم الأمير سيف الدولة الحمداني[7]. روى التنوخي عنه خمس روايات[8]، انصبت على وصف الأمير سيف الدولة الحمداني، وسماحته وشجاعته وكرمه إضافة إلى رواية حول ذكاء وفطنة الخليفة المأمون.

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص72.

[2] المصدر نفسه، ج1ص17، ص72، ص264، ص266، ص268، ص270، ص276، ص277؛ ج3، ص154، ص273، ص276؛ الفرج، ج2، ص108، ص282، ص289؛ ج3 ص79؛ ج4، ص166.

[3] الخطيب، تاريخ، ج4، ص ص234-235.

[4] المصدر نفسه والصفحة

[5] النشوار، ج3، ص256؛ الفرج، ج1، ص123، ص295؛ ج2، ص20؛ ج4، ص192.

[6] النشوار، ج3، ص173.

[7] المصدر نفسه، ج3، ص178.

[8] المصدر نفسه، ج3، ص173؛ ص178، ج3، ص38، ص43؛ ج4، ص63.

13. أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق[1] التنوخي (ت 377هـ[2]/987م).

أنباري الأصل[3]، من بيت كلهم فضل، فقد كان والده كثير البر والإحسان وخاصة على على طلبة العلم[4]، ولد سنة (297هـ[5]/909م)، كـان حافظاً للقرآن الكريم، إضافة إلى اهتمامـه بـالحديث والأدب والنحو[6]، مشهوراً بـالاعتزال[7].

أكثر القاضي التنوخي في الأخذ عن أحمد بـن يوسـف الأزرق، ولعـل ذلـك يعـود إلى علاقة القربى بين الشخصـين فكـان مجمـوع الروايـات التـي نقلهـا عنـه خمـس وخمسـين رواية[8]، ثمان وأربعين في النشوار، وسبع في الفرج.

تناولت رواياته جوانب مختلفة من حياة مجتمـع الخلفـاء أمثـال: المقتـدر ومواكبـه، والمعتضد وتعذيبه لمن حاول الخروج عليه كقرطاس الرومي. وأخبار بعض الوزراء أمثال : أبي محمد المهلّبي وكرمه، والوزير علي بن عيسى وتزمتـه، والـوزير عبيـد الله بـن سـليمان وجلوسه للمظالم.

---

1) سمي بالأزرق كما قال التنوخي لأنه كان أزرق العينين النشوار، ج7، ص15.

2) الخطيب، تاريخ، ج5، ص224.

3) المصدر نفسه والصفحة.

4) النشوار، ج7، ص15.

5) الخطيب، تاريخ، ج5، ص221؛ القرشي، الجواهر، ج1، ص353.

6) الخطيب، تاريخ، ج5، ص222.

7) النشـــوار، ج1، ص42، ص47، ص114، ص144، ص153، ص159، ص161، ص172، ص186، ص187، ص188، ص258، ص274، ص283، ص284، ص322، ص342، ص350؛ ج2، ص58، ص90، ص97، ص114، ص115، ص116، ص120، ص126، ص129، ص205، ص207، ص273، ص275، ص281، ص282، ص283، ص286، ص287، ص292، ص293، ص294، ص295، ص332؛ ج3، ص200، ص202؛ ج4، ص66، ص175، ص214؛ ج8، ص236؛ الفـــرج، ج1، ص224؛ ج2، ص32، ص172، ص254، ص279؛ ج4، ص107، ص196.

8) المصدر نفسه، ج5، ص222.

وفي رواياته إشارة لبعض الأحداث السياسية كمحاولة بعض الأشخاص الخروج على سلطة الخلافة العباسية أمثال: مردويخ الجيلي، والقاسم بن الحسن الداعي العلوي، واستفحال أمر آل بويه، وأحوالهم قبل انتشار أمرهم.

كما نجد في رواياته أخبار الصوفية كالحلاج ومبادئه، وحيله على العامة بإخراج بعض الأطعمة والأشربة في غير أوانها، وأخبار بعض الزهاد.

أما الأخبار الاقتصادية فقد تمثلت في أعمال المحتسب، والاحتكار ودوره في ارتفاع الأسعار، ومهاجمة قوافل التجار من قبل البدو في صحراء السماوة، وغياب الأمن وانتشار النهب والسلب.كما روى عنه التنوخي أخباراً عن الفساد الاجتماعي كانتشار البغاء في بغداد حتى أن شخصاً يدعى ابن الخراصة، ضمن البغاء ببغداد بألفي درهم في الشهر، وبعض المعتقدات الشعبية كالرقى، والمنامات والإيمان بها.

14. أبو الطيب علي بن الحسن بن علي بن مطرف (ت 376هـ(1)/986).

قال الخطيب في وصفه(2):" وكان يتهم في روايته، وكان خيراً، فاضلاً حسن المذهب، وكان متساهلاً في الحديث" ، أما الذهبي فقد وصفه بقوله(3):" كان متساهلاً في الحديث" ، ولكنه أكد على علمه بقوله:" كان من كبار علماء بغداد".

روى عنه التنوخي في كتاب الفرج أربعين رواية[4] في معظمها أحاديث وأدعيه في طلب الفرج، كأدعية الأنبياء والرسل الذين تعرضوا للمحنّ أمثال: يعقوب ويوسف وإبراهيم. إضافة إلى صور من الظلم الذي مارسه بعض الولاة ضد الرعية.

15. أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم

---

[1]) الخطيب، تاريخ، ج11، ص387.

[2]) المصدر نفسه، ج11، ص387؛ ابن العماد، شذرات، ج1، ص405.

[3]) الذهبي، ميزان، ج5، ص149، وأخذ بهذا الرأي من قبل ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص130

[4]) الفرج، ج1، ص86، ص88، ص90، ص110، ص115؛ ص129، 131، ص132، ص136، ص145، ص147، ص148، ص175، ص197، ص254، ص258، ص260، ص261، ص263، ص265، ص266، ص268، ص273، ص274، ص276، ص288ص290، ص311؛ ج2، ص164، ص329؛ ج4، ص56، ص119؛ ج5، ص27، ص29، ص46، ص47، ص48، ص67، ص97، ص98.

من أهل بغداد، أديب[1]، حدث عن أبيه، وصفه التنوخي بالنشوار، بالفضل[2]، قال الخطيب[3]:" كان ثقة" .

روى عنه التنوخي أربع روايات في النشوار[4] في مجملها أخبار الغناء والمغنين، ومجالسهم، في حضرة ا لوزير أبي محمد المهلّبي، إضافة إلى رواية حول مائدة الوزير حامد بن العباس.

16. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت370هـ[5]/980م).

آمدي[6] الأصل، بصري المنشأ، إمام في الأدب، وله شعر حسن، واتساع تام في علم الشعر ومعانيه[7]، تولى الكتابة بالبصرة لبني عبد الواحد الهاشميين قضاة البصرة[8]، ثم قدم بغداد، وتولى الكتابة لأبي جعفر بن هارون خليفة أحمد بن هلال صاحب عُمان بحضرة المقتدر[9].

نقل عنه التنوخي أربع روايات[10]، تناولت مجالس السمر والشراب التي كان يقيمها الوزراء، ومنام عبد الملك بن مروان حول مستقبل الحكم الأموي من بعده ومقارنته بحلم أبي أحمد طلحة بن الحسن المثنى الذي خرج لمحاربة أبي عبد الله البريدي المتغلب على البصرة

17. أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني[11] (ت 356هـ /966م).

---

[1]) السمعاني، الأنساب، ج5، ص390.

[2]) الخطيب، تاريخ، ج4، ص318.

[3]) المصدر نفسه، ج4، ص319.

[4]) النشوار، ج3، ص284، ص285، ج7، ص115، ص126.

[5]) القفطي، إنباه، ج1، ص288.

[6]) أمد: وصفها ابن حوقل عند حديثه عن بلاد الجزيرة الفراتية بقوله:" ومدينة آمد على جبل غربي دجلة، فيها مزارع داخل سورها ومياه وطواحين على عيون تنبع منها. صورة الأرض، ص201.

[7]) ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص848؛ القفطي، إنباه، ج1، ص285.

[8]) النشوار، ج4، ص148؛ القفطي، إنباه، ج1، ص285.

[9]) القفطي، أنباه، ج1، ص285؛ اليماني، إشارة التعيين، ص87.

[10]) النشوار، ج1، ص89؛ ج3، ص223، ص225؛ الفرج، ج2، ص318.

[11]) انظر ترجمته في الفصل الأول تحت عنوان: شيوخه ومؤدبوه.

أكثر التنوخي بالأخذ عن أستاذه أبي الفرج الأصبهاني فبلغ عدد الروايات التي أخـذها عنه أربعاً وستين رواية[1]، ثلاث عشرة في النشوار، وإحدى وخمسين في الفرج.

غطت رواياته فترات مختلفة من التاريخ، كأخبار الحج في الجاهلية، وقصه الخليفة علي بن أبي طالب الذي أباح دم حارثه بن بدر لسعيه في نشر الفساد. لكن غالبية رواياته كانت حول العصر العباسي، خاصة أخبار الخلفاء مثل: الخليفة المنصور وحشره للعلويين بعد ثورة إبراهيم بن عبد الله، والخليفة المأمون وعفوه، والرشيد ورعايته للبرامكة، والأمين وغضبه على إبراهيم المهدي. إضافة إلى بعض الجوانب الثقافية، كالشعراء ودخولهم على الخلفاء، ورعاية الخلفاء العباسين لهم. كما روى عنه روايات عن الحضارات الأخرى كالحضارة اليونانية ومحاصرة الإسكندر المقدوني للصين. وصوراً من الحياة الاجتماعية كالمبالغة في الكرم عند العرب، وأخبار بعض المغنيين أمثال: إسحاق الموصلي، ونَبَتْ. وانتشار الجواري في المجتمع، حتى أن عدد جواري الرشيد بلغ ألفي جارية، ومجالس الغناء، وحرص الخلفاء على حضور تلك المجالس.

18. أبو علي محمد بن الحسن المظفر الحاتمي (ت 388هـ[2]/998م).

قال ابن خلكان[3]:" أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب ا للغوي البغدادي المعروف، بالحاتمي، أحد الأعلام المشاهير، له الرسالة الحاتمية[4]، التي شرح فيها ما

---

[1] النشوار، ج1، ص18؛ ج2، ص132، ص133؛ ج4، ص117، ص195، ص229؛ ج5، ص151، ص271؛ ج7، ص74، ص128، ص130، ص134، ص193؛ الفرج، ج1، ص313، ص327، ص328، ص350، ص356، ص362، ص371، ص377، ص380 ص402؛ ج2، ص116، =ص122، ص154، ص168، ص207، ص334؛ ص340، ص344، ص365؛ ج3، ص15، ص87، ص89، ص133، ص135، ص147، ص339، ص342، ص344، ص345، ص351، ج4، ص46، ص49، ص50، ص54، ص278، ص331، ص354، ص372، ص378، ص387، ص394، ص399، ص402 ج5، ص36، ص37، ص38.

[2] الخطيب، تاريخ، ج2، ص214؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص205.

[3] ابن خلكان، وفيات، ج4، ص362؛ فروخ، تاريخ الأدب، ص574.

[4] وكان سبب تأليف هذه الرسالة كما يقول الحاتمي، هو أن المتنبي لما جاء إلى بغداد من مصر أظهر الكبر والتيه، فكان لا يلاقي أحداً إلا اعرض عنه. ابن خلكان، وفيات، ج4، ص362؛ السيوطي، بغية، ج1، ص88.

جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من إظهار سرقاته، وبيان عيوب شعره" . كان أبو علي الحاتمي من جملة من سلطهم الوزير أبو محمد المهلّبي على هجاء المتنبي، لأنه لم يمدحه[1].

روى عنه التنوخي اثنتي عشرة رواية في الفرج[2]، شملت أخبار الرشيد ومعاملته للعلويين، والمهدي وسجنه لوزيره يعقوب بن داوود، ومجموعة أدعية، وأبيات شعرية.

19. أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن المنجم

وصفه التنوخي بقوله [3]:" ومحل أبي العباس في نفسه أشهر من أن يجهل في العلم والأدب، وقول الشعر، والمعرفة بالجدل، والفقه وغير ذلك مما يقوم به" . نادم الوزير أبا محمد المهلّبي، واختص به، وأنفق عليه كثيراً، كما شملته عناية الوزراء من بعده[4].

أخذ عنه ست روايات[5]، تركزت على صفات الكرم التي تحلى بها بعض الأشخاص كالبرامكة، والوزير حامد بن العباس، وأخبار المصادرات، والمؤامرات بين رجال الدولة.

20 . أبو أحمد الحسين بن محمد بن سليمان المعروف بالدلجي (ت390هـ[6]/999م).

(ت390هـ[6]/999م).

من أهل البصرة، مدح عضد الدولة، وكان لدية معرفة بالمنطق، ترك ديوان شعر نحو ألفي بيت[7].

نقل عنه التنوخي أربعة[8] روايات شملت بعض أخبار الخليفة المعتضد، وأخبار بعض بعض المنامات، وأبيات شعرية في العتاب.

---

[1]) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص363. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج2، ص176؛ مبارك، النثر الفني، ج2، ص111.

[2]) الفرج، ج1، ص270، ص272، ج2، ص156، ص233؛ ج3، ص93، ص135، ص139؛ ج4، ص92، ص168؛ ج5، ص13؛ ص14، ص77.

[3]) النشوار، ج1، ص15.

[4]) النشوار، ج1، ص15.

[5]) المصدر نفسه، ج1، ص15، ص37، ص41، ص132؛ ج2، ص336؛ الفرج، ج5، ص75

[6]) ياقوت، معجم الأدباء، ج4، ص2037.

[7]) المصدر نفسه، ج4، ص2037.

[8]) النشوار، ج3، ص205، ص244، ص259، ص260.

21. أبو طالب سعيد بن محمد بن علي المعروف بالوحيد الشاعر (ت385هـ[1]/995م).

من أهل البصرة، مدح بني حمدان في الشّام، ورد على المتنبي. ترك من الكتب: العدناني والقحطاني ومعاني شعر المتنبي وديوان شعر نحو مائة ورقة[2].

أخذ عنه التنوخي عشر روايات[3]، أربعاً في النشوار، وستاً في الفرج، دارت حول مجالس الشرب، وقوافل التجار وتعرضها لقطاع الطرق، إضافة إلى خمس مقطوعات شعرية في معنى الفرج.

22. أبو جعفر طلحه بن عبد الله الطائي المعروف بابن قناش الجوهري

من ندماء سيف الدولة الحمداني، شاعر جيد الشعر[4].

نقل عنه التنوخي سبع روايات[5] حول الأمير سيف الدولة الحمداني، وكرمه شجاعته، ورواد مجالسه.

23. أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي الببغا[6] الشاعر[7] (ت 98هـ[8]/1007م).

98هـ[8]/1007م).

وصفه الخطيب بقوله:" كان شاعراً مجوداً، وكاتباً مترسلاً، مليح الألفاظ، جيد المعاني، حسن القول في المديح والغزل والتشبيه[9]. قدم على سيف الدولة الحمداني

---

1) ياقوت معجم الأدباء، ج3، ص1356.

2) المصدر نفسه والصفحة..

3) النشوار، ج4 ص177؛ ص180، ص181، ص264؛ الفرج، ج5، ص36، ص45، ص76 ص78، ص80، ص81.

4) النشوار، ج1، ص ص95-96.

5) المصدر نفسه، ج1، ص92، ص95، ص96، ص143؛ ج2، ص55؛ ص5، ص77؛ الفرج، ج4، ص222

6) سميّ بالببغا للتغه كانت في لسانه. ابن خلكان، وفيات، ج3، ص202.

7) قام هلال ناجي بجمع ما تبقى من شعره، ونشره في مجلة المجمع العلمي العربي م34، ج3، ص1983

8) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص242؛ ابن خلكان، وفيات، ج3، ص202.

9) الخطيب، تاريخ، ج11، ص11؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، نج2، ص98.

ومدحه، وأصبح من ندمائه ولما توفي سيف الدولة، تنقل في البلاد إلى أن توفي[1].

أخذ عنه التنوخي في ثلاثة وعشرين موضعاً[2]، وهي عبارة عن مقطوعات وقصائد شعرية، شملت: المدح، والهجاء، والتهاني والتعازي...الخ.

24. أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الصروي المعروف بابن الدلو[3]. (ت 443هـ[4]/ 1051م).

شاعر، أديب، كان منقطعاً لأبي العباس سهل بن بشر عامل الأهواز[5]، وكانت بينه وبين المحسِّن التنوخي منادمة، وله في المحسِّن مدائح وأشعار[6]. وصفه الخطيب بقوله[7]:" كان صدوقاً" .

روى عنه التنوخي إحدى وعشرين رواية[8]، تدور تلك الروايات حول واقع حياة الفئة الفئة الدنيا من المجتمع، كالشّطار والعيارين، ومبادئهم، واللصوص، وتعشق الجواري، واللعب والتسلية وبعض المعتقدات الشعبية كالتطير من الغراب، وبعض عادات القرامطة كالمحنّة، إضافة إلى جوانب اقتصادية كالصيرفة.

25. أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار الداري.

---

[1]) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص242؛ ابن خلكان، وفيات، ج3، ص202.

[2]) النشوار، ج1، ص91، ص103، ص115، ص116، ص276، ص279، ص280، ص281، ص353؛ ج2، ص264، ص296، ص305، ص306، ص311؛ ج3، ص159، ص160؛ الفرج، ج1، ص152؛ ج2، ص221، ص312؛ ج5، ص39، ص53، ص76، ص77.

[3]) الفرج، ج 3، ص302.

[4]) المصدر نفسه والصفحة.

[5]) الفرج، ج3، ص302.

[6]) النشوار، ج2، ص302.

[7]) المصدر نفسه والصفحة.

[8]) المصدر نفسه، ج2، ص198، ص303، ص365؛ ج5، ص274؛ ج7، ص111، ص185ص293؛ ج8، ص178، ص183؛ الفرج، ج2، ص373، ص382؛ ج3، ص61، ص67 ص69؛ ج4، ص162، ص248، ص25، ص256، ص216؛ ج5، ص23، ص41

نعته التنوخي بالصيدلاني[1]، وبأبي الحسن الطبيب[2]، وكان يجمع بين العلم بالطب والظرف والأدب، وكان صاحب مال وجاه، فلما أفقر في أواخر أيامه، أغرق نفسه بالنهر[3].
بالنهر[3].

روى عنه التنوخي في النشوار أربع روايات[4]، تناولت معتقدات الخوارج، وتعلم الطب في البيمارستان بالبصرة، إضافة إلى مقطوعتين شعريتين.

26. أبو محمد الحسن بن محمد المهلّبي (ت 352هـ/963م).

ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة[5]، كانت حاله قبل اتصاله بالسلطان حالة فقر وضعف، حتى أنه " اشتهى اللحم، فلم يقدر على ثمنه" [6]. أخذ المهلّبي بالتدرج في مناصب الدولة إلى أن تولى الوزارة لمعزّ الدولة البويهي، بعد موت أبي جعفر الصيمري[7]، وكان مع علو قدره غاية في الأدب، والمحبة لأهله، فقد كانت مجالسه منتدى للأدباء والشعراء[8].

أجمل مسكويه الأسباب التي جعلت معزّ الدولة يختاره للوزارة بقوله[9]:" سبب ذلك أنه وجده جامعاً لأدوات الرياسة، وإن كان منهم من هو أرجح كتابه، وأيضاً فقد أنس به على طول الزمان وأنه خلف الصيمري على الوزارة، فعرف غوامض الأمور، وأسرار المملكة.

---

[1] المصدر نفسه، ج8، ص68.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص213.

[3] الأزدي، حكاية أبي القاسم، ص83.

[4] النشوار، ج8، ص68، ص69، ص232، ص233.

[5] ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص977.

[6] الثعالبي، اليتيمة، ج2، ص226.

[7] ياقوت، معجم، الأدباء، ج2، ص977؛ ابن خلكان، وفيات، ج2، ص124.

[8] ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص977.

[9] مسكويه، تجارب، ج2، ص124.

نقل عنه التنوخي أربع روايات[1]، تناولت حياة معزّ الدولة في أول أيامه، والخراج، والكرم، وأبيات شعرية.

27. أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي

تولى الكتابة لأبي بكر ابن رائق، ثم كتب للأمير سيف الدولة الحمداني، وبعدها تولى الكتابة للخليفة المطيع لله، ولما جاء ناصر الدولة إلى بغداد للدفاع عن الخليفة المطيع عندما حاصره معزّ الدولة، انحاز أبو محمد الصلحي إلى ناصر الدولة، وحارب معه، وبعد فشلهما في حماية الخليفة هرب معه إلى الموصل[2].

أخذ عنه التنوخي سبع روايات في النشوار[3]، تناولت بعض الأخبار السياسية كقصة اجتماع الوزير أبي محمد العباس بن الحسن بالكتاب لاختيار من يخلف المكتفي في الخلافة، وبعض أخلاق المقتدر وتلونه، وجوانب اجتماعية كالأطعمة، والإسراف فيها على موائد الأمراء والقادة.

28. علي بن هشام بن أبي قيراط الكاتب

تولى الكتابة للوزير أبي الحسن علي بن الفرات في وزارته الثالثة[4]. أخذ عنه التنوخي في خمسة وسبعين موضعاً[5] في كتابيه النشوار والفرج، وخاصة في الجزء الثامن من النشوار، حتى ليحسب القارئ ذلك الجزء لعلي بن هشام الكاتب برواية القاضي التنوخي. تناولت رواياته أخبار الخلفاء: المأمون وكرم أخلاقه، والمعتضد

---

[1]) النشوار، ج3، ص205؛ ص25، ص286؛ الفرج، ج1، ص178.

[2]) الفرج، ج2، ص242.

[3]) النشوار، ج1، ص204، ص206؛ ج5، ص64، ص69، ص72، ص73، ص75.

[4]) ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص191.

[5]) النشوار، ج4، ص19، ص54، ص61، ص62، ج5، ص50، ص57، ص62؛ ج8، ص10، ص12، ص17، ص20، ص23، ص27، ص29، ص30، ص32، ص35، ص38 ص43، ص45، ص49، ص78، ص83، ص85، ص59، ص90، ص92، ص93، ص95، ص96، ص98، ص101، ص103، ص104، ص108، ص109، ص110، ص112، ص116، ص120، ص131، ص134، ص139، ص143، ص145، ص147، ص149، ص151، ص153، ص156، ص164، ص181، ص191، ص194، ص196 ص197، ص202، ص204، ص205، ص208، ص209، ص211، ص217، ص218 ص222، ص226، ص229؛ الفرج، ج1، ص186، ص206، ص322؛ ج2، ص11، ص43، ص52، ص63، ص76، ص114، ص141، ص213، ص216؛ ج3، ص19، ص23، ص347؛ ج4، ص293.

ومعاملته للعمال المنكوبين، والرشيد وكرمه على البرامكة، إضافة إلى أخبار الوزراء أمثال: أبي الحسن بن الفرات وتعرضه للتعذيب من أجل المصادرة، وحامد بن العباس وسفه لسانه، وأبي الفضل عبيد الله بن عبد لله بن الحارث وتواضعه، وعبيد الله بن خاقان وسياسته.

أما الجانب الإداري، فقد قدمت رواياته معلومات عن بعض الولايات، كولاية بادوريا وكلوا ذا وقطر بل، ومعلومات عن بعض الولاة ورواتبهم، فكان راتب والي فارس ثلاثة الأف درهم في الشهر، أما الدواوين فمنها: ديوان الرسائل، وديوان المعاون، وديوان الضياع الخاصة، ومراسيم أصحاب الدواوين وطريقة ممارستهم لأعمالهم. وعدد جيش الخلافة زمن الخليفة المقتدر حوالي تسعة آلاف جندي.

وأمدتنا رواياته بمعلومات اقتصادية مهمة تمثلت في: تعرض التجار وكبار الأثرياء للمصادرة وأثر ذلك على الأسواق وتراجع التطور الاقتصادي، وأوقات تحصيل الخراج وأوقات حرز المحصول. أما وسائل تحصيل الخراج والجور والظلم من قبل العمال في ذلك فكانت عاملاً مهماً في إهمال الأرض وهرب الفلاحين كما حدث في فارس.

أما الجانب الثقافي، فقد حوت رواياته على أخبار بعض العلماء والأدباء والمنجمين، والمناظرات الأدبية والعلمية، التي كانت تدور في مجالس العلماء وبيوتهم.

وتناولت رواياته بعض الجوانب الاجتماعية للمجتمع، كالصيد ووسائل التسلية، ومعتقدات شعبية، واللصوص وطرق حصولهم على الأموال. من التمر دون أخذ الضريبة.

29. أبو علي الحسن بن محمد الأنباري

من أهل الأنبار، كتب لأبي يوسف البريدي[1]، ثم التحق بخدمة معزّ الدولة ابن بويه[2]، وبعده تقربه من الوزير المهلّبي، زوجه الوزير المهلّبي ابنته، واستخلفه بالحضرة، لما انحدر إلى الأهواز، وكان ذلك سنة (339هـ[3]/950م).

---

[1]) النشوار، ج2، ص362.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص72.

[3]) مسكويه، تجارب، ج2، ص124.

أخذ عنه التنوخي ست روايات[1] في النشوار والفرج، تناولت بعض الصور السياسية للخلافة، فالخليفة المعتضد يتوقع ضياع الدولة على يد ولده المقتدر لما فيه من لين، وعظم ثروة بعض الأفراد، والوزير ابن الفرات والكيد لأعدائه، إضافة إلى صورة من حضارة الخزر.

30- أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني

ذكر التنوخي، بأنه كان ضامن البصرة من الوزير المهلّبي، ثم أصبح من رجال معزّ الدولة المخلصين، " ومحله من النبل والجلالة والثقة والأدب والعلم مشهور" [2].

روى عنه التنوخي أربع روايات[3] في النشوار والفرج، تناولت المصادرات، وأخبار بعض الولاة، وطلب الوظيفة ودفع الرشوة من أجل ذلك.

31. أبو الحسين محمد بن عبد المؤمن بن هرثمة

من أهل سامراء، رحل إلى بغداد، وأقام بالأهواز طويلاً يتوكل على أبواب القضاة[4]. نقل عنه التنوخي ثمان روايات[5] عكست الفساد الأخلاقي في بغداد، وانتشاره: كاللواط والبغاء.

32. أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهروية بن أبي علان الأهوازي

خال والد التنوخي، وكان رجلاً ثرياً، تضمن ضياع السيدة أم المقتدر[6]، كما تولى الكتابة بديوان الأهواز، ثم تولى نيابة أعمال الأهواز[7].

---

[1]) النشوار، ج1، ص287؛ ج2، ص360، ص363، ص364؛ الفرج، ج2، ص137، ص292.

[2]) النشوار، ج3، ص250.

[3]) المصدر السابق، ج1، ص112؛ ج2، ص152، ص155؛ الفرج، ج2، ص363.

[4]) النشوار، ج2، ص345.

[5]) المصدر نفسه، ج2، ص225، ص227، ص228، ص229، ص334، ص345، ص351؛ ج8، ص272.

[6]) المصدر نفسه، ج1، ص211.

[7]) المصدر نفسه، والصفحة.

نقل عنه التنوخي عشر روايات[1] في النشوار والفرج، تركزت رواياته حول بعض الجوانب الاقتصادية، كالأرض وضمانها، والخراج ومقداره، فقد أفاد بمعلومات حول خراج الأهواز سنة (305هـ/918م) والذي بلغ ما يقارب سبعة عشر مليون دينار، إضافة إلى ظلم بعض العمال في جباية الخراج، وأخذهم الرشوة لتخفيف الضرائب عن بعض الأشخاص.

33. أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي

كان من ندماء الوزير أبي محمد المهلّبي، ثم استقر بسيراف[2] يتصرف بالتجارة[3].

روى عنه التنوخي خمس عشرة رواية[4]، تناولت بعض أخبار البريديين، ونكبة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب، والتنافس والعداء بين رجال الدولة، وكرم البرامكة، وبعض الشؤون الاقتصادية كالجهبذة واشتغال اليهود بها، إضافة إلى عظم ثروة بعض الأشخاص كيوسف بن وجيه صاحب عُمان، وأخبار بعض الفقهاء والقضاة. وقد أدرجنا بالجدول التالي أسماء الرواة الذين أخذ عنهم ثلاث روايات فاقل ووظائفهم وعدد روايات كل منهم، وطبيعة تلك الروايات

اسم الراوي	مهنته	عدد الروايات	طبيعة الروايات والمادة التي تناولتها

[1] المصدر نفسه، ج1، ص138، ص211، ص262؛ ج2، ص18، ص29، ص353؛ ج8، ص268، ص270؛ الفرج، ج3، ص32؛ ج3، ص34.

[2] سيراف: مدينة على الخليج (الفارسي) العربي. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص294.

[3] النشوار، ج8، ص250.

[4] النشوار، ج2، ص123؛ ج3، ص233، ص268؛ ج8، ص239، ص240، ص241، ص245، ص250، ص257، ص261، الفرج، ج2، ص123؛ ج3، ص31، ص233، ص268.

	اسم الراوي	مهنته	عدد الروايات	طبيعة الروايات و المادة التي تناولها
1	إبراهيم بن محمد الأنصاري المعروف بالثمري	قاضي	1	اهتمام عضد الدول بالعلم والعلماء، وأبيات شعرية في وصف النارنج.
2	أبو الفرح أحمد بن إبراهيم الجعفي المعروف بالثمدي	قاضي	2	الأزمة الاقتصادية التي حلت بالعراق عند دخول الديلم سنة 334هـ/946م والإسراف في ولائم الأمراء.
3	أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد البختري	قاضي		تناولت المناظرات العلمية التي كانت تدور بين العلماء.
	أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الأيذجي	قاضي	3	دارت حول موت أبي هاشم الجبائي رئيس المعتزلة، وأخبار المبرِّد
5	الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الحسيني	قاضي	1	جالس الشراب التي كان يقيمها بعض الأغنياء
6	صدقة بن علي بن محمد المؤمل التميمي	قاضي	1	حديثاً للرسول (ص) يحث فيه على تلبية نداء المؤذن للصلاة
7	أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأسدي المعروف بالأكفاني	قاضي	2	غياب الأمن والاستقرار، وما ترتب على ذلك من السلب.
8	أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف	قاضي	2	المناظرات الأدبية في مجالس الوزراء، واعتذاره عن تولي منصب الوزارة.
9	أبو عمر عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن إسحاق التنوخي	قاضي	2	نكبة الوزير عبيد الله بن سليمان وزير المعتمد،والرشوة.
10	أبو السائب عتبة بن عبيد الله	قاضي		أخبار بعض القضاة ومجالس

	بن موسى الهمذاني			الحكم وروايتين حول انتشار السباع في الصحراء.
11	علي بن محمد الأزدي	قاضي	1	دعاء يدعو به المكروب.
12	أبو القاسم عمر بن حسان بن الحسين	قاضي	2	أخبار بعض الشهود المعدّلين.
14	أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي	قاضي	1	أخبار بعض الزهاد.
15	أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن محمد المعروف بابن نصرويه	قاضي	3	أخبار الحلاج، وأخبار بعض ابتاعه.
17	أبو الحسن محمد بن محمد بن جعفر الأنباري	قاضي	1	المجالس وما كان يدور فيها من مناظرات بين العلماء والأدباء
18	أبو العباس نصر بن محمد الشاهد	قاضي	1	الحسبة وأعمال المحتسب.
19	أبو حامد أحمد بن عامر بن بشير الخراساني	فقيه	2	تعليم الصبيان في المكتب، وأخبار بعض الجواري.
20	أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر المعروف بابن السماك	فقيه	3	حول القضاة، ومجالس القاضي، وطرق الحكم بين المتخاصمين.
21	أبو رواق أحمد بن بكر الهزاني	محدّث	1	تعليم الجواري.
22	أبو الحسن علي بن عبد الله الوراق المعروف بابن لؤلؤ	محدّث	1	حول تعليم الصبيان في المكتب.
23	أبو الحسن علي بن عمر بن	محدّث	1	تناولت استخدام السفاتج في

أحمد الدراقطني			المعاملات التجارية.
24 أبو العباس محمد بن أحمد الأثرم البغدادي	محدّث	3	قصة الثلاث الذين سدت عليهم المغارة ولم تنجهم إلا أعمالهم، وعفوا الرسول (ص) عن أسرى هوازن.
25 أبو الحسن محمد بن أحمد بن طالب المعروف بابن أبي الليث الهمذاني	محدّث	3	ركزت على أخبار بعض العشاق والمحبين.
26 أبو بكر محمد بن بدر الأمير	محدّث	1	حول رد الرسول (ص) على هوازن أموالها التي غنمها منهم
27 أبو الفرج محمد بن جعفر الصالحي	محدّث	1	قصة الثلاث الذين انطبقت عليهم المغارة، ولم تنجهم إلا أعمالهم.
28 أبو الخطاب محمد بن علي بن إبراهيم التنوخي	محدّث	1	قصة الحجر الذي خاصيته طرد الذباب
29 أبو العباس محمد بن نصر بن مكرن المعدل الشاهد	محدّث	1	تلاعب وكلاء الضياع بوارداتها.
30 أبو الحسن أحمد بن علي البتي	أديب	1	طلب الفرج بعد الشدّة.
31 أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله القطان	أديب	1	نفي الوزير علي بن عيسى إلى مكة.
32 أبو الحسن علي بن نصر بن علي	أديب	3	أدعية في طلب الفرج
33 علي بن هارون بن علي المنجم	أديب	2	أبيات شعرية
34 محمد بن الحسن بن جمهور العمي	أديب	1	تناولت قصة مرض والي أرجان أبو الفضل بن غيلان

35 أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن طرخان	أديب	1	أبيات شعرية في طلب الفرج
36 أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني	أديب	3	أبيات شعرية في الحث على الصبر
37 أبو بكر محمد بن يحيى الصّولي	أديب	3	تناولت إسراف الخليفة الراضي، وأخبار المناظرة الشعرية بين أبي العتاهية ومحمد بن أمية الكاتب
38 أبو أحمد يحيى بن علي المنجم	أديب	3	أبيات شعرية في المدح.
39 أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي	شاعر	1	أبيات شعرية في العتاب.
40 أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن الحجاج	شاعر	2	حول القبض على الوزير محمد بن العباس، وأبيات شعرية في التعازي
41 أبو عمر أحمد بن محمد بن نيزك الأزدي	شاعر	1	أبيات شعرية في الصبر.
42 أبو طاهر عبد العزيز بن حامد المعروف بسيدوك	شاعر	3	مقطوعات شعرية في المدح، والتأسي على المصائب.
43 أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن منكرة الهاشمي	شاعر	1	أبيات في هجاء القاضي أبا العباس عبد الله بن أبي الشوارب.
44 ثابت بن إبراهيم بن زهرون الصّابئ	طبيب	1	حول مكارم أخلاق الأمير الموفقي
45 وهب بن يوسف الطبيب	طبيب	1	طرفة تمثلت بأن طبيب وصف لشخص أكل فروج فأكل

				مهراً.
46	أبو علي أحمد بن علي المدائني الملقب بالهائم الراوية	إخباري	2	حول مرض داء الكلف، وأبيات شعرية.
47	أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعلان الإخباري	إخباري	1	تحدثت عن أسباب ثراء ابن الجصاص التاجر.
48	أبو محمد الحسن بن محمد البومني	إخباري	2	الصفات السيئة في الوزير أبي جعفر الصيرمي، ورواية حول الغناء.
49	عايدة بنت محمد الجهنية	امرأة	2	قصيدتين؛ الأولى في مدح عضد الدولة والأخرى في هجاء الوزير أبي القاسم الكوفي
50	أم الحسن عاتكة بنت محمد المخزومية	امرأة	1	قصيدة في مدح عضد الدولة.
51	علم قهرمانة المستكفي	امرأة	1	حول عهد الخليفة المستكفي لها برعاية القاهر عندما اختل عقله.
52	أبو الفرج محمد بن العباس فسانجس	وزير	1	حول وظيفته من الطعام كل يوم أثناء تولية الوزارة
53	أيوب بن العباس	وزير	1	وصية علي بن أبي طالب لرجل شكى له كثرة العيال
54	إبراهيم بن عيسى السوسي	كاتب	1	تحدث على الصبر وكظم الغيض
55	أبو نصر بشر بن هارون	كاتب	2	مقطوعتين شعريتين في الهجاء والشكوى من المصائب.

56	جعفر بن محمد بن ورقاء الشيباني	كاتب	1	مصادرة التاجر ابن الجصاص.
57	أبو الحسن أحمد بن محمد الأهوازي	كاتب	2	مقطوعتين شعريتين في شكوى الزمان.
58	أبو القاسم الحسين بن محمد بن نبيل	كاتب	1	أبيات شعرية قالها أحد المرضى في البيمارستان بالبصرة.
59	أبو الفتح عبد الله بن محمد المروزي	كاتب	1	مفاضلة بين الوزيرين أبي الحسن علي بن الفرات وعلي بن عيسى
60	أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي	كاتب	1	حول المبالغة في عشق الجواري.
61	أبو الحسين أحمد بن محمد بن طريف	عامل	1	رسالة من المافروخي إليه يطلب منه السماح بمرور تجارته دون دفع ضريبة
62	أبو علي أحمد بن موسى القمي	موظف	2	مجالس الأمير سيف الدولة الحمداني وكرمه على ندمائه
63	أبو جعفر أصبع بن أحمد	حاجب	2	تحدثت روايته عن الأمير بجكم، وأرهاق العمال في جميع الضرائب
64	الحسن بن علي بن زيد المنجم	عامل	1	حول حبه هو نفسه للعمران.
65	أبو العلاء صاعد بن ثابت النصراني	عامل	3	عشق الجواري، وأبيات شعرية في الفخر.
67	أبو الحسن علي بن أحمد بن	حاجب	1	ضعف حالة الخلافة مقارنة

	الحاجب			بقوة معزّ الدولة.
68	أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن المهندس	عامل	1	ظلم أبو عبد الله البريدي.
69	إبراهيم بن الحسن البزاز	تاجر	1	تناولت حريق الكرخ سنة (343هـ /955م)
70	أبو علي الحسين بن عبد الله المعروف بن الجصاص	تاجر	3	دارت حول مصادرة والده
71	أبو يحيى زكريا حمد بن زكريا الرامهرمزي	تاجر	1	عن دخول الديلم إلى رامهرمز
72	محمد بن أحمد بن عثمان الزيات	تاجر	3	معاملات مالية وتجارية، وطرق التعامل المالي، والاعتداء على أموال التجار.
73	أبو جعفر مسعود بن عبد الله الضبي	تاجر	1	عن انتشار الأفاعي في بعض مناطق البصرة.
74	كما أسند عدد من رواياته لعدد من الأشخاص من العامة الذين لم نستطيع التعرف عليهم من خلال كتب التراجم	عامة	57	

و أسند عدداً من رواياته إلى أناس ليسوا من العلماء أو رجال الدولة، بل من العامة منهم: الحذاء، النخاس، الخدم والجواري. وهذا يدل على حرصه في تتبع مادته من مصادرها المختلفة، فهؤلاء هم اقرب الناس إلى بعض الأحداث، فالحذاء والدلال، أعرف الناس بما يدور في الأسواق، والخدم والجواري هم الأكثر إطلاعاً على الجوانب المخفية من حياة القصور.

لذلك لجأ التنوخي إلى تنويع مصادره، ليحصل على وضوح أكثر لمختلف جوانب حياة المجتمع من جهة، وليعطي هذا التنوع في المصادر ميزة أخرى لكتبه عن غيرها من الكتب من جهة أخرى.

وهؤلاء الأشخاص هم: الحسن بن صافي مولى محمد بن المتوكل القاضي(1)، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن بكير(2)، وأبو بكر بن عبد الملك السقطي(3)،والحسن بن محمد الجبائي(4)، أبو الفرج طاهر بن محمد الصلحي(5)،أحمد بن الجوهري(6)،أبو بكر بكر أحمد بن محمد الجراح(7)،عبد الرحمن بن عبد الله بن بكر(8)،عبد الله بن عمران(9)،إبراهيم بن الخضر(10)، إبراهيم بن علي النصيبي(11)،أبو الحسن أحمد بن الحسن(12)،أبو نصر بن عمرو البخاري(13)،أبو عمر أحمد بن محمد الخلال(14)،أبو عبد الله محمد بن شيرزاد(15)،أبو مسلم محمد الأصبهاني(16)،أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوميني(17)،أبو إسحاق محمد بن شهرام(18)،محمد بن عدي بن زحر البصري(19)،أبو

(1) الفرج، ج4، ص148.
(2) النشوار، ج4، ص224.
(3) الفرج، ج، ص
(4) المصدر نفسه، ج1، ص336.
(5) النشوار، ج4، ص138.
(6) الفرج، ج5، ص60.
(7) النشوار، ج4، ص40.
(8) المصدر نفسه.
(9) المصدر نفسه.
(10) النشوار، ج2، ص44.
(11) الفرج، ج3، ص371.
(12) النشوار، ج3، ص134.
(13) المصدر نفسه، ج1، ص134.
(14) المصدر نفسه، ج3، ص247.
(15) المصدر نفسه، ج8، ص181.
(16) النشوار، ج3، ص247.
(17) المصدر نفسه، ص1، ص248.
(18) الفرج، ج5، ص18.
(19) النشوار، ج3، ص135.

الخـــاتمـــة

حلّ القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي على الأمة الإسلامية حاملاً معه تطورات سياسة خطيرة, كان أشدها على الإطلاق حالة الضعف التي أصابت دولة الخلافة الإسلامية، وتحول الخليفة من حاكم فعلي إلى مجرد اسمٍ خالٍ من المحتوى، ولم يعد له من الخلافة سوى الاسم والخطبة له على المنابر، وحلّ التشرذم والانقسام محل الوحدة فظهرت الدويلات في مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

والنتيجة الحتميةُ لحالة الضعف السياسي والانقسام هو تراجع النشاط الثقافي، ولكن هذه الفترة من التاريخ خالفت القاعدة، حتى أن النشاط الثقافي ازداد عنفواناً، وشهدت أنتاجا ثقافياً متنوعاً، وظهرت تطورات ثقافية شاملة حتى عُد القرن الرابع الهجري العصر- الذهبي للحضارة الإسلامية ويمكن تعليل هذا بما يلي:

أ. إن النشاط الثقافي بطبيعته ينمو ويتطور بطيئاً، وهذه الحركة الوئيدة، تظهر رسوخ التطور وتجذّره بحيث يصعب القضاء عليه أو وقفه, وقد أعطت النشاط الثقافي مجالاً أرحب للتطور، فاستمر الإبداع والعطاء يؤتي أوكله في هذا القرن.

ب. إذا كان الانقسام والتجزئة معول هدم في وحدة الدولة والخلافة، فانه كان عاملاً مهماً في زيادة النشاط الثقافي، فمعظم حكام الولايات الذين استقلوا بولاياتهم مستغلين ضعف الخلافة أرادوا إصباغ الشرعية على حكمهم. وكان تقريب العلماء من بلاطهم، وبذل الأموال لاستقطاب أعيانهم شغلهم الشاغل، وذلك لما لهذه الفئة من تأثير على العامة باعتبارهم قادة الرأي والفكر. ومع مرور الأيام تحولت عواصم تلك الأقاليم إلى مراكز ثقافية مهمة، لا يمكن إغفالها عند الحديث عن النشاط الثقافي في القرن الرابع الهجري.

كان علم التاريخ أحد ميادين النشاط الثقافي الذي تأثرت بالتطورات التي شهدها القرن الرابع الهجري. فلم يعد ذاك العلم الذي اقتصر- دراسته على المحدّثين وعلماء الدين، متمسكاً بالإسناد.فدخل ميدان الكتابة التاريخية فئات جديدة من الناس نقصد بهم فئة الكُتّاب، والذين قدموا خدمات جُلىّ لدراسة التاريخ فأضحت الوثائق جزءاً مهماً في كتبهم، والتي استطاعوا الوصول إليها بحكم عملهم في دواوين الدولة.

وتطورت الكتابة التاريخية من حيث المنهجية فلم يعد التاريخ مقتصراً على الأحداث السياسية أو سير الحكام، بل امتد عمل المؤرخين إلى تدوين كل ما يمكن تدوينه، فغدا التاريخ يسير بثلاثة مسارات: التاريخ السياسي، والتاريخ الحضاري والتراجم. ويمكن إضافة اتجاه آخر إلى اتجاهات الكتابة التاريخية بعيداً عن التاريخ السياسي (المرهق) وقد حاول أصحاب هذا الاتجاه الذي سميناه (التاريخ الحُرّ) كتابة التاريخ بصورة أديبة، مركزة على ما أهمله التاريخ.

إن نظرة على الموضوعات التي شملها البحث التاريخي عند العرب والمسلمين تكشف عن مدى استفادة المسلمين من علم التاريخ كأداة حضارية في خدمة مجتمعهم فقد جاء كل نمط من أنماط الكتابة التاريخية لخدمة هدف محدد من أهداف الثقافة العربية الإسلامية. وإذا حاولنا تجميع هذه الأنماط التي أحصاها السخاوي ومن قبله الذهبي في تاريخه في مجموعات أكثر تركيزاً لوجدنا في كل مجموعة استجابة لجانب من جوانب الحياة الثقافية في ظل المجتمع العربي المسلم على مر تاريخه.

وقد عدّد الذهبي ما سماه فنون التاريخ التي تدخل في تاريخه الكبير-تاريخ الإسلام- فجعل تلك الفنون أربعين فناً ونوعاً، يشكل تاريخ السيرة والأنبياء والصحابة والخلفاء والملوك خمسة فنون منها، أما باقي الفنون فإنما تتعلق تارة بتاريخ التنظيم السياسي والإداري، أو تاريخ للجوانب الحضارية: تاريخ البخلاء، تاريخ الكرماء، تاريخ الفرسان، تاريخ أهل المجون، تاريخ عقلاء المجانين..الخ[1].

يمثّل أبو علي المحُسِّن التنوخي (ت384هـ/994م) قمة المشتغلين بهذا النوع من التاريخ – التاريخ الاجتماعي-. فكانت مؤلفاته: نشور المحاضرة، الفرج بعد الشدّة و المستجاد من فعلات الأجواد تمثل صوراً حيةً لواقع اجتماعي عاشته مدن العراق وخاصة العاصمة بغداد، ومرآة انعكس على صفحاتها مختلف الفعاليات الاجتماعية، بحيث غدت مؤلفاته معيناً لا ينضب لمن أراد دراسة واقع المجتمع الإسلامي في هذه الفترة من التاريخ.

تنبع أهمية كتب التنوخي من اعتبارين:

([1]) السخاوي، الإعلان، ص 522 وما بعدها.

1) المصداقية التي تمتع بها، فهو الفقيه والقاضي الحريص على تتبع مادة كتبه من مضانّها. لكنه لم يعتمد على الكتب المدوّنة كمصدر لكتبه إلا ما ندر، وركز على الرواية والشفوية التي التقطها من السنّة مختلف الفئات الاجتماعية: وزراء، قادة, كُتّاب، شعراء، أدباء، فقهاء، ومحدّثين وحتى أفراد من العامة.

2) أنه عندما جمع هذه الروايات لم يرد منها التسلية والمتعة، بقدر الموعظة والاعتبار " ليستفيد منها العاقل اللبيب والفطن الأريب إذا طرقه سمعه، وخالطت فهمه، من آداب النفس، وبينت الدراسة أن كتب التنوخي، حوت أخباراً عن مختلف أنواع الناس مثل الخلفاء، والوزراء والأدباء والفقهاء، والمحدّثين والتجار وغيرهم من أصحاب المهن الرفيعة الرخيصة، كما شملت جميع طبقات الناس وأصحاب المهن البسيطة كالحذاء والثلاج والدلال وغيرهم.

ويمكن تلخيص أهم مرتكزات منهجيته بما يلي:

3)قام منهج التنوخي في مؤلفاته على استعمال الإسناد والعناية به ما أمكنه ذلك، واستعمل في كثير منها، صيغاً تدل على السماع والمشاهدة والحضور.

4)أفاد من المصنّفات السابقة لعصره، والتي كان مؤلفوها من غير شيوخه، واستوعب الكثير منها.

5) استخدم أسلوب الإسناد الجمعي، الذي يوفر على المؤلف بعض المجهودات في عدم تكرار ذكر الأسانيد، لأنه يجيز له الاختصار وعدم التكرار.

6) اهتم التنوخي بإيراد معلومات مهمة حول الرواة، مثل: اسم الشهرة، والبلد، المذهب، العمل والمكانة الاجتماعية، موثقاً البعض، وناقداً للبعض الآخر.

7) تنوعت وسائل نقله، والتي يمكن تلخيصها بـ: السماع، المشافهة، القراءة، المناولة، المسألة، المذاكرة، الإجازة، المشاهدة، والنقل من الكتب.

8) رغم أنه كان من الصعب توفر الدقة في كل ما أورده التنوخي في كتبه، ولعل ذلك عائد إلى تنوع رواياته، واتساع المجالات التي تناولها من جوانب: سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وإدارية، إلا أنه حاول أن ينتقد بعض الروايات، وإظهار

شكه فيها، إضافة إلى التعليق على بعض جوانب الرواية، معتمداً على ما ورد في الكتب، أو معتمداً على تجاربه الشخصية، إضافة إلى اختصاره للروايات، إما لشيوعها بين الناس، أو لخروجها عن هدف كتبه.

9) إن اتباعه للمذهب الحنفي، لم يمنعه من تعظيم قضاة وفقهاء المذاهب الأخرى، ورغم اتهامه من قبل ابن الأثير فيما بعد بأنه " كان شديد التعصب للإمام الشافعي" إلا أنه بعد تتبع فقرات مؤلفاته، لم يجد الباحث ما يشير إلى ذلك، بل على العكس، فقد روى عن شوافع، وحنابلة، ومالكية.

10) أظهر التنوخي تعاطفه مع آل البيت، " فأن لحوم ولدي فاطمة - صلوات الله عليها- محرمة على السباع" . وعكست مؤلفاته المنزلة السامية التي كان يشغلها آل البيت في نفوس وقلوب المسلمين، فكانت زيارة الحائر لها موسم خاص يزوره الناس أفواجاً.

المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم
- المصادر المخطوطة

- التنوخي، أبو القاسم المُحسِّن بن عبد الله (ت 423هـ/1031م)عنوان الحكمة والبيان، مخطوط مودع لدى مركز الوثائق والمخطوطات/الجامعة الإدرنية (أحضر بناءً على طلب الباحث. لم يصنّف بعد) وهو صوره عن نسخة بودليان أكسفورد, رقم م. س 323/1.

- المصادر المطبوعة:

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1232م) اللباب في تهذيب الأنساب، 3ج، مكتبة المقدسي، القاهرة، 1356
______ الكامل في التاريخ، 12ج، دار صادر، بيروت، 1966م.
- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن إياس (ت 334هـ/945 م) تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت 244هـ/858م) أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، تحقيق رشدي صالح، دار الأندلس، بيروت (د ت)
- الإربلي، عبد الرحمن بن سنبط قنيتو (ت 717هـ/1317م) خلاصة الذهب المسبوك، مختصر من سير الملوك، وقف على طبعة وتصحيحه مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، 1964.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت 356هـ/966م) الأغانـــي، 16ج، مطابع كوستا تسوماس, مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د ت).
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت 668هـ/1269م) عيون الأنباء في طبقات العلمية، 2ج، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت) وكذلك طبعة دار الكتب العلمية، بيروت والتي اعتمدنا

عليها في القسم الأول من الدراسة.
- الأنبـاري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 577هـ/1181م) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط 3، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، 1985
- ابن بحشل، اسلم بن سهل الرازاز (ت292 هـ/905م) تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد 1967.
- البـخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ/ 869م)
التاريخ الكبير، ط2، 3ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1978.
______، صحيح البخاري، 3مج، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (د.ت).
- البغدادي، إسماعيل بن محمد بن سليم، هديـة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، 2ج، منشور مع كشف الظنون، دار أحياء التراث، بيروت، (د.ت).
- البغدادي، محمد بن حسن الكاتب (ت 623هـ/1226)، الطبيـخ، نشره فخري البارودي، دار الكتب الجديدة، بيروت، 1964.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/933م)، أنساب الأشراف، ط1، ج2، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، 1974
- ابن بكّار، الزبير (ت 256هـ/869م)، جمهرة نسب قريش، تحقيق محمود شاكر، مكتبة المدني، القاهرة، 1381هـ
- البيروني، محمد بن أحمد (ت 440هـ/1048م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليتزغ، 1923. وطبعة دار الكتب العلميـة 2000م، والتـي اعتُمـد عليهـا في القسـم الأول.
- التطليلي، بنيامين بن يونه (ت 569هـ/1173م)، الرحـلة، ترجمة عزرا حداد المطبعة الشرقية، بغداد، 1945م
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 873هـ/1468م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1، 16ج، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- أبو تـمام، حبيب بن أوس الطائي (ت 231هـ/845م)، الديوان برواية أبي منصور الجواليقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998

- التنوخي، أبو علي المحسِّن بن علي (ت 384هـ/994م)، المستجاد من فعلات الأجواد،
تحقيق محمد كرد علي، دمشق، 1946م.
______، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 8ج، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1971-1973م.
______، الفرج بعد الشدّة، 5ج، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1978م.
- التوحيدي، أبو حيان علي بن العباس (ت 400هـ/1009م)، الإمتاع والمؤانسة، 2ج، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1944م.
______، مثالب الوزيرين " أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد" ، ط2، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، 1998.
______، الصداقة والصديق، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، 1998م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 430هـ/ 1038م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة القاهرة، 1326هـ
______ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 5ج، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
- الجاحظ، أبو عمر عثمان بن بحر (ت 255هـ/ 868م)، البيان والتبيين، القاهرة،1961م.
______، الحيوان، ط3، 6ج، تحقيق عبد السلام هارون، أحياء التراث العربي، بيروت، 1969
______، الرسائل، شرحها محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000
-ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت 833هـ/1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط 2، 2ج، عُني بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (ت540 هـ /1110م)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ط1، وضع حواشيه خليل عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- الجواهري، محمد مرتضى (ت 1205هـ/1790م)، تاج العروس، تحقيق عبد العليم

الطحاوي، مطبعة الكويت، الكويت، 1974.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1200م) ، المنتظم في أخبار الملوك والأمم (ج5-ج10) مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد
الدكن، الهند (1357-1359هـ).
______، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ط1، 2ج، تحقيق خليل المنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت331 هـ/942م)، كتاب الوزراء والكتاب، ط1، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1937م.
- حاجي خليفة، مصطفى كاتب شلبي (ت 1067هـ/ 1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 2 ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852هـ/1448م)، تهذيب التهذيب، ط1، 12ج، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
- لسان الميزان، ط1، 7ج، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم (عاش في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط 2، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت، 1980.
- ابن حنبل، أحمد (ت 241هـ / 855م)، مسند الإمام أحمد، ط1، 6ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 367هـ/ 977م)،صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1979.
- الخطيب ، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي (ت 463هـ/1071م)، الكفاية في علم الرواية، مطبعة السعادة، القاهرة، 1972.
______، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، 14ج، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ / 1405م)، تاريخ ابن خلدون، 5ج،

منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1971م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت 681هـ/1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.
- ابن الخطيم, قيس بن عدي (ت قبل السنّة الثانية للهجرة/ بحدود سنة 623م).، الديـوان، جمع وتحقيق ناصر الدين الأسد، مكتبة دار العروبة، القاهرة (د.ت)
- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت 387هـ/997م)، مفاتيح العلــوم، المطبعة المنيرية، القاهرة، 1342هـ
- الداري، عبد القادر التميمي (ت 1010هـ/1601م)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ط1، 3ج، تحقيق عبد القادر الحلو، دار الرفاعي، الرياض، 1983م.
- الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت 945هـ/1538م)،طبقات المفسرين، 2ج، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- ابن الدبيثي، ابو عبد الله محمد بن سعيد (ت637هـ/1239م)، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، ج1، تحقيق بشار عواد، دار السلام، بغداد، 1974.
- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن أبي علي (ت 633هـ/1235م)، النبراس في تاريخ بني العباس، صححه وعلق عليه عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1946.
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت 809هـ/ 1406م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، 2ج، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).
- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت 808هـ/1405م)،حياة الحيوان الكبرى، 2ج، مطبعة حجازي، القاهرة، 1367هـ.
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد الله (ت 281هـ/894م)، الإشراف على مناقب الأشراف، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، تذكرة الحفاظ، ط3 4ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،1955م.
_____، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، حوادث (381-400هـ) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981
_____، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ط1، 7ج، دار الكتب العلمية، بيروت،

1995

______، العبر في خبر من غبر، 4ج، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

______، سير أعلام النبلاء، 25ج، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

- ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 272هـ / 885م)، سلوك الممالك، دراسة وتحقيق ناجي التكريتي، منشورات عويدات، بيروت، 1978.

- الرازي، أحمد بن عبد الله (ت460 هـ /1068م)، تاريخ صنعاء، تحقيق حسين العمري، صنعاء، 1981.

- الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت 327هـ/938م)، الجرح والتعديل، 9ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1953م.

- الروذراوري، أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين (ت 488هـ/1095م)، ذيل تجارب الأمم، نشر مع تجارب الأمم، أعتني بنشره هـ ف أمدوز، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

- الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت 236هـ/ 850م)، نسب قريش، عني بنشرة ليفي بروفنسال، دار المعارف للنشر، القاهرة، (د.ت).

- ابن الساعي، أبو طالب علي بن أنجب (ت 684هـ/1285م)، الجامع المختصر في عيون التواريخ وعنوان السير، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1934

- سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف قز أوغلي (ت 654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الفترة البويهية)، تحقيق جنان محمد، الوطنية للنشر والتوزيع، بغداد، 1990م.

- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت 771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، 10ج، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر، الرياض، 1992م.

- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م)،

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، منشور مع كتاب علم التاريخ لروزنثال، مكتبة
المثنى، بغداد، 1963
______، المقاصد الحسنة، دار الهجرة، بيروت، 1986م.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع الزهري (ت 230هـ/844م)، الطبقات الكبرى، 8ج، دار بيروت للطباعة ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957
- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (ت 224هـ/838م)، كتاب الألفاظ، ط1، مطبعة لبنان، بيروت، 1998م.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن حمد بن منصور (ت 562هـ/1166م)، الأنساب، ط1، 5ج، دار الجنان، بيروت، 1988م.
- السمناني، علي بن محمد (ت499هـ/1105م)، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق صلاح الدين الناهي، بغداد، 1970
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، نشره محمد علي صبح (د.م) ، 1946م.
______، بغية الوعاة في طبقات النحاة، 2ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المكتبة العصرية، صيدا، لبنان (د.ت).
______، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
______، تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق 1997
- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 388هـ/998م)، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1966.
- ابن شبة، عمر (ت262هـ/875م)، أخبار المدينة، تحقيق علي دندل وياسين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت(د ت)
- الشهرستاني، أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م). الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا ، وعلي فاعور ، دار المعرفة ، بيروت ، 1998م.
- الشيرازي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت 476هـ/1083م)، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، 1970م.
- الصّابئ، أبو الحسن إبراهيم بن إسحاق (ت 384هـ/994م)، المنتزع من كتاب

التاجي في تاريخ الدولة الديلمية، تحقيق محمد الزبيدي، دار الحرية، بغداد، 1977م.
- الصّابئ، أبو الحسن الهلال بن المُحسِّن بن إبراهيم (ت 448هـ/1056م)، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار أحياء التراث، القاهرة، 1958م.
______، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، 1964م.
______، تاريخ، نشره آمدروز ملحقاً بتجارب الأمم، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1362م)، نكت الهميان في نكت العميان، وقف على طبعه أحمد زكي، المطبعة العالمية، مصر (د ت)
______، الوافي بالوفيات، 24ج، باعتناء عدد من الباحثين، دار فرانز شتايز بقيسبادن، 1991-1993م.
- الصّولي، أبو بكر حمد بن يحيى (ت 335هـ/946م)، أخبار الراضي بالله والمتقي، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322هـ-333هـ من كتاب الأوراق، نشر
ج. هيورث ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، 1935
______، أخبار الشعراء من كتاب الأوراق ، نشره ج. هيورث .
- ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت 664هـ/1265م) فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، المطبعة الحيدرية، النجف، 1368هـ
- ابن طباطبا، أبو إسماعيل إبراهيم بن ناصر (من أعلام القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، منتقلة الطالبية، ط1، تحقيق محمد مهدي السيد، المطبعة الحيدرية، النجف، 1968م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م)، تاريخ الأمم والملوك، 10ج،
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، روائع التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- ابن الطقطقا، محمد بن علي (ت709 هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، 1966.
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب (280هـ/893م)، تاريخ بغداد، تحقيق محمد الأزهري الكوثري، مصر، 1949م

- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت 739هـ/1338م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، 3ج، دار الجيل، بيروت، 1993.
- ابن العبري، أبو الفرج غريغورس بن هارون الملطي (ت 685هـ /1286م).، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت 1997.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد (ت 1162هـ/1748م)، كشف الخفاء ومزيل إلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنّة الناس، ط1، 2ج، تحقيق محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
- ابن عدي، أبو أحمد عبد الله الجرجاني (365هـ /975م)، الكامل في ضعفاء الرجال، ط3ج8، دار الفكر، بيروت، 1988.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت660هـ/1261م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار (د م) دمشق، 1988.
- عريب، ابن سعيد القرطبي (ت 521هـ/1127م)، صلة تاريخ الطبري، منشور مع تاريخ الطبري، ج 11، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، روائع التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن إبراهيم (ت 571هـ/1175م)، تاريخ مدينة دمشق، 70ج، تحقيق محي الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، 1997.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت 1089هـ \1678) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8ج، تحقيق محمود الارناؤوط وآخرون، دار ابن

كثير، بيروت، 1989م.
- العميدي، محمد بن أحمد الحسيني (من أعلام القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، بحر الأنساب أو المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف، تحقيق حسين الرفاعي، القاهرة، 1356هـ
- غرس النعمة، أبو الحسن محمد بن هلال الصّابئ (ت 480هـ/1087م)، الهفوات النادرة، ط2، تحقيق صالح الأشتر، دار الأزرعي، بيروت، 1987م.
- الغزولي ، علاء الدين، (ت815هـ/1412م)، مطالع البدور في منازل السرور، مطبعة الوطن، (د.م)، 1299هـ

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت 395هـ/1004م)، مجمل اللغة، ط1، 4ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الطاهر بن يعقوب (ت 823هـ/1420م)، القاموس المحيط، 4ج، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن عمر (ت 851هـ/1447م)،طبقات الشافعية، 4ج، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1987م.
- القاضي عياض، عياض بن موسى (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك، 4ج، بيروت (د.ت).
- القرشي، عبد القادر بن حمد نصر بن أبي الوفاء (ت 775 هـ /1373م)، الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية، 5ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
- ابن قطلوبغا، زين الدين أبي العدل قاسم الحنفي (ت 879هـ/1474م)، تاج التراجم في من صنّف من الحنفية، تحقيق إبراهيم صالح، دار المأمون للتراث، دمشق، 1992.
- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت 646هـ/1248م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 3ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950م.
ـــــ أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت (د.ت).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت821 هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 14ج، دار صادر، بيروت، 1987.
- القمي، عباس، الكنى والألقاب، ط3، 2ج، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م.
- الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ/1362م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي (ت 774هـ/1372م)، تفسير القرآن العظيم، 4ج، دار المعرفة، بيروت، 1986م.
ـــــــ، البداية والنهاية، ط3، 13ج، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ/819م)، نسب معد واليمن

الكبير، 3ج، تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، 1988م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي (ت 273هـ/886م)، سنن ابن ماجه، إشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، (د ت).
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/1058م)، أدب القاضي، تحقيق محي الدين السرحان (د.م) بغداد، 1969م.
- ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، (ت 840هـ/1436م)، طبقات المعتزلة، عنيت بتحقيقه سوسنة ديفلد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961م.
- المرزباني، أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود (ت 673هـ/1274م)، نور القبس
من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، عني بتحقيقه رودلف زلهايم، فرانتز شتايز، فيسبادن، 1964م.
- المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت 742هـ/1341م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط1، 32ج، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت،1985م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1، 4ج، شرحه مفيد محمد قمحيه، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م)، تجارب الأمم، 2ج، آمدروز) الكتاب العربي، بيروت، (د.ت) . كذلك الطبعة التي حققها أبو القاسم إمامي، دار سروش، إيران والتي اعتمدنا عليها في الباب الأول من الدراسة.
- ابن معين، أبو زكريا يحيى (ت 233هـ/847م)، التاريخ، تحقيق أحمد محمد نور سيف، القاهرة، 1971.
- المقدسي، شمس الدين حمد بن أحمد (ت 380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1909م.
- المقري، أبو العباس أحمد بن حمد بن أحمد بن يحيى (ت 1041هـ/1631م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8ج، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1367هـ
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)، مختصر تاريخ دمشق لابن

عساكر، ط1، 29ج، تحقيق روحية النحاس ، دار الفكر، بيروت، 1984م.
______، لسان العرب، ط 3، 18ج، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1993.
- ان النـجار، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود (ت 643هـ/1245م)، ذيل تاريخ بغداد، منشور مع تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق (ت 378هـ 988م)، الفهـرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، 1971م
- الهمذاني، بديع الزمان (ت 398هـ/ 1007م)، المقامـات، شرحها محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- الهمذاني ، محمد بن عبد الملك (ت 521هـ/1127م)، تكملة تاريخ الطبري، ط3، تقديم وتحقيق البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961.
- اليافعي، عبد الله بن سعد اليمني (ت 768هـ/1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر مـن حـوادث الزمـان، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، بـيروت، 1970م.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ/1229م)، معجم الأدبـاء المسـمى إرشـاد الأريـب إلى معرفـة الأديـب، ط1، 7ج، تحقيق
إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م. وكذلك طبعة دار الكتب العلمية والتي اعتمدنا عليها في الباب الأول من الدراسة.
______، معجم البلدان، 5ج، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- اليعقـوبي، أحمـد بـن إسـحاق بـن جعفـر بـن وهـب (ت 292هــ/904م)، تـاريخ اليعقوبي،
ط1، 2ج، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999
- اليمانـي، عبد الباقي بن عبد المجيد (ت 398هـ/1007م)، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ط1، تحقيق عبد المجيد دياب، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1986.

- المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم، نبيله، سيرة الأميرة ذات الهمة، دار الكاتب، القاهرة (د ت)
- أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، 1980م.
- أركون، محمد، نزعة الأنسنة في الفكر العرب، ط1, ترجمة هاشم صالح, دار

الساقي، بيروت 1997
- الأصمعي ، محمد عبد الجواد، أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1951م.
- أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ط5، 4ج، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م.
- الأمين، محسن، أعيان الشّيعة، ط1، 56ج، مطبعة الإنصاف، بيروت، 1960-
- الأنباري، عبد الرزاق، منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، منذ نشأته حتى نهاية العهد السلجوقي، ط1، الدار العربية للموسوعات، 1987م.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ط 5، 6ج، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار وآخرون، دار المعارف، بيروت (د.ت).
- جـواد، مصطفى وأحمد سوسه، دليل خارطة بغداد المفصل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1958م.
- حاج ياسين، رياض،كتاب البدء والتاريخ، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان 1994
- حلمي، أحمد محمد، الخلافة والدولة في العصر العباسي، ط2، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م.
- الخالدي، طريف، فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة، ترجمة حسني زينه، دار النهار، بيروت، 1997
- الخربوطلي، علي، المسعودي، دار المعارف مصر (د ت)
- درويش، سلوى عبد الفتاح، المُحسِّن بن علي التنوخي، حياته، ودراسة تحليلية لآثاره (دراسة أدبية)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1994.
- الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد، 1945م.
______، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب،ط2، مطبعة العبيكان، الرياض، 2000م

______، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، دار المشرق، بيروت، 1974.
- روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثني، بغداد 1963
- زكار، سهيل، الجامع في أخبار القرامطة، ط3، دار حسان، دمشق (د ت)
- سالم، سيد عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1981
- الزهيري، محمود، الأدب في ظل بني بويه، مطبعة الأمانة، مصر، 1949.
- دوزي, رنهارد، التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، ط1، مكتبة دار الفرقان، عمان، 1986.
- السامرائي، حسام، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة (247-334هـ /861-945م)، دار الفكر العربي، بيروت، 1972م.
- السامرائي، قاسم، نقابة الأشراف في المشرق الإسلامي حتى نهاية فترة حكم الأسرة الجلائرية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، 1999م.
- سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية محمد حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض 1983.
- أبو سنينه، زياد، القرامطة في السواد وبلاد الشّام في القرنين الثالث والرابع، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، 1998.
- الشحاذ، أحمد محمد، بغداد في ألف ليلة وليلة، منشورات وزارة الثقافة الإعلام، بغداد، 1992
- عباس، عبد الهادي محمد، مصعب الزبيري منهجه ودورة في التدوين التاريخي، رسالة ماجستير الجامعة المستنصرية، بغداد، 1989
- العزاوي، عبد الرحمن حسين، التاريخ والمؤرخون في العراق(334-447هـ/ 945-1055 م) ، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ، 1993م.
- العلـي، صالح أحمد، خطط البصرة ومنطقتها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد 1986

- عمر، فاروق، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط2، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1977م
- العمري، أحمد، أبو بكر الصّولي، حياته وآثاره، دار المعارف مصر (د ت)
- العمري، أكرم، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، دار القلم، دمشق،1975
- عواد، ميخائيل، نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.
- عويدي، أحمد صالح، الارتباط بين الدراسات التاريخية والجغرافية في تراث المسعودي، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدراسات الإسلامية, القاهرة، 1978
- فـروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية)، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.
- فهـد، بدري محمد، القاضي التنوخي وكتاب النشوار، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1966
- كاشف، سيده، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه, القاهرة 1958
- كاهن، كلود، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط1، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، 1972م.
- كحالة، عمر رضا، معجم القبائل العربية، 3ج، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1949م.
________، اللغة العربية وعلومها، دار المعلم العربي، دمشق، 1971م.
________، التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1972.
- عباس، عبد الهادي محمد، مصعب الزبيري، منهجه ودورة في التدوين التاريخي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1989م.
- كراتشكوفسكي، أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، 2ج، ترجمة صلاح الدين عثمان، الإدارة الثقافية في الجامعة العربية، (د.م)، (د.ت).
-الكروي، إبراهيم، البويهيون والخلافة العباسية، ط1، مكتبة دار العروبة للنشر،

الكويت، 1982م.
- مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، 2ج، مطبعة السعادة، القاهرة1376هـ
- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، 2ج، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1940م.
- مجموعة من الباحثين، المدخل إلى التاريخ العربي, منشورات جامعة دمشق، دمشق (د ت)
- مرجوليوث، س، دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، دار الثقافة القاهرة، (د.ت).
- مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ط2، 4ج، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
- المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1961
- منينمه، حسن، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي (334-447هـ/945-1055م)، الدار الجامعية، بيروت، 1987م.
- هنا، محمد نصر، التدوين التاريخي ودور المخطوطات السياسية في العالم الإسلامي، دار الفجر، القاهرة، 1996.
- الناصر، صبحي، أبو بكر الصّولي ناقداً، دار الجاحظ، بغداد، 1975.
- نجيب، عامر، استقرار القبائل العربية في بلاد الشّام في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1994م.
- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تعريب كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان (د.ت).

- المقـالات والبحـوث

- بورفنسال، لي، الرازي، دائرة المعارف الإسلامية.
- بيطار، أمينة، العرب والوعي التاريخي، مجلة الفكر العربي، العدد، 27، السنّة4 بيروت، 1982.
- تيمور، أحمد، تفسير الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج2،ج11؛

مج3، ج4، ج5، ج6، ج7، ج2، ج9، ج11، دمشق، (1922-1923).
-جـواد، مصطفى، في نشوار المحاضرة (الجزء الأول)، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، 1930.
______، في نشوار المحاضرة (الجزء الثاني)، مجلة لغة العرب، بغداد، 1931م.
-حسن، محمد، كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي، مجلة عالم الفكر، مج14، وزارة الإعلام، الكويت، 1983م.
-حمارنه، صالح، الفارابي والمنهج العلمي، المؤرخ العربي، ع21. بغداد، 1982م.
- الـدوري، قحطان، أصول تلقي العلوم في المجتمع الإسلامي، مجلة تعليم الجماهير، ج4، السنّة السادسة، بغداد، 1979.
- الـزيات، حبيب، نشوار المحاضرة، الخزانة الشرقية، ج4، بيروت، 1954م.
- السامرائي، إبراهيم، نظرات في نشوار المحاضرة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج31، ج4، بغداد، 1980
- السامرائي، قاسم، هل كتب التنوخي كتاباً في التاريخ، مجلة مجمع اللغة العربية، مج50، ج1، دمشق، 1975م.
- عبد الصمد، إبراهيم، القاضي التنوخي اسم واحد وثلاثة قضاة، مجلة القضاء والتشريع، السنّة الثانية والعشرون، تونس، 1980م.
- عـواد، كوركيس، خزائن العراق القديم، مجلة سومر، مج2، ج2، بغداد، 1946
- علي، محمد كرد، كنوز الأجداد، مجلة لغة العرب، مج22، بغداد، 1931.
- فوه، كاردا، مادة الصّابئة، دائرة المعارف الإسلامية.
- فيصل، شكري، نشوار المحاضرة خلال نصف قرن ويزيد، مجلة مجمع اللغة العربية، مج48، ج1، دمشق، 1973م.
- قاسم، قاسم عبده، الإسلام والوعي التاريخي عند العرب، مجلة الفكر العربي، السنّة الرابعة العدد27، 1987.
-كرنكـو، آل الصّابئ، دائرة المعارف الإسلامية.
-كوثراني، وجيه، بعض خصائص الكتابة التاريخية عند العرب، مجلة الفكر العربي، السنّة الأولى، العدد 2، 1987

- الكرملي، انستاس، خواطر في المعربات، مجلة المجمع العلمي العربي، مج3، ج1، دمشق، 1923م.
-مجهـول، مقال تقريظ لكتاب جامع التواريخ، مجلة المجمع العلمي العربي، مج2، ج6، دمشق، 1922.
- المغربي، عبد القادر، طاقة أزهار من النشوار، مجلة المجمع العلمي العربي، مج4، ج1، ج2، ج3، ج11، دمشق، 1923م.
- ناجي، هلال، ديوان القاضي التنوخي الكبير علي بن محمد بن داوود الإنطاكي، مجلة المورد، مج13، ع1، بغداد، 1984م.
- الهاشمي، محمد، علة ركود حضارة العرب في العصور الوسطى، بحث منشور مع أبحاث في تاريخ الحضارة الإسلامية مهداه إلى أحمد فكري، الإسكندرية (د ت)

<u>المراجع الأجنبية:</u>

-Gibb-H

Government and Islam under the early abbasidesi , Paris,1961 .

-Kiderman, H

Taniikh, EI 1.

Omar,F

The Abbasid Caliphate, Baghdad, 1969.

Siddiqi, A

Caliphate and kingship In medival Persia,Philadelphia,1977

فهرس الموضوعات

مطبعة التاج
AL TAJ Printing Press
+962 6 4639070

إذا كانت كتب التاريخ حتى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي تعبر عن وحدة تجارب الأمة ووحدة الرسالات، فقد حلّ القرن الرابع الهجري بتطورات سياسية خطيرة، كان أخطرها على الإطلاق حالة الضعف التي وصلت إليها الخلافة العباسية، وما نجم عن ذلك من دويلات وإمارات انفصلت عن جسم الخلافة. حاول حكام الأقاليم والمدن (المستقلة) تأسيس دول ذات شخصية سياسية وثقافية مستقلة عن مركز الخلافة، محاولين في الوقت نفسه إضفاء الشرعية على حكمهم، فاستقطبوا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، وأجزلوا لهم العطاء، ليكونوا ضمن حاشيتهم، ويسخروهم لتحقيق غايتهم. ومع مرور الأيام تحولت مدنهم إلى عواصم ثقافية لا يمكن إغفالها عند الحديث عن الحياة العلمية في الدولة الإسلامية.

تأثر علم التاريخ بالتطورات السياسية والثقافية الجديدة، فأخذ يستجيب لمتطلبات تلك التطورات. ومن صور هذه الاستجابة ظهور اتجاهات وأنماط جديدة من الكتابة التاريخية، كان على رأسها تاريخ المدن كاتجاه مهم في هذه المرحلة. وكان هدف هذا النوع من الكتابة إبراز دور تلك المدن في أحداث العالم الإسلامي السياسية والحضارية.

ويعد التاريخ لمختلف الفعاليات الثقافية والاجتماعية من استجابات الكتابة التاريخية للتطورات أيضاً، فقد ظهرت مؤلفات متخصصة تحت عناوين " الطبقات" : كطبقات الفقهاء، المحدّثين، الأدباء و الشعراء. بل إن بعض المؤرخين سجل أخبار الفئات المتدنية من المجتمع كأخبار الطفيليين والمغنين.

لقد شكلت هذه التطورات والظروف دافعاً لاختيار موضوع " اتجاهات الكتابة التاريخية في العراق في القرن الرابع الهجري، القاضي التنوخي(ت384هـ/994م) نموذجاً" ليكون عنوانا لهذه الدراسة.

دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع
P.O. Box 927651 Amman 11190 Jordan
Tel. +962 6 5606 263 - Fax + 962 6 5606 362
E-mail : wardbooksjo@yahoo.com